موسوعة النابلسي للعلوم الإسلامية

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي



منظومة القيم
كلمات مضيئة

www.nabulsi.com info@nabulsi.com

ندوات تلفزيونية - قناة الشارقة - منظومة القيم - الدرس (1-2) : ج1 من الشارقة

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: 2008-02-08

بسم الله الرحمن الرحيم

الأخلاق في الإسلام كم تمثل في ديننا الحنيف ؟

الدكتور عمر :

قيمنا الدينية وقيمنا الإسلامية ، والأخلاق في الإسلام كم تمثل في ديننا الحنيف ؟

الدكتور راتب :

بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آل بيته الطيبين الطاهرين ، وعلى صحابته الغر الميامين ، أمناء دعوته وقادة ألويته و ارض عنا وعنهم يا رب العالمين .

فائدة بين يدي الجواب :

بادئ ذي بدء الإنسان هو المخلوق الأول رتبة لقوله تعالى :

(إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنسَانُ)

(سورة الأحزاب الآية : 73)

هو المخلوق الأول رتبة والمخلوق المكرم :

(وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً {70})

(سورة الإسراء)

لابد للإنسان أن يعرف الهدف من حياته :

لكن مقصد البيت والإنسان هو المخلوق المكلف ، مكلف أن يعبد الله ، بل إن علة وجوده في الأرض أن يعبده والدليل :

(وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ {56})

(سورة الذاريات)

تعريف العبادة :

العبادة في أدق تعاريفها : طاعة طوعية ، ممزوجة بمحبة قلبية ، أساسها معرفة يقينية ، تفضي إلى سعادة أبدية .

الدكتور عمر :

وهذه منظومة مرضية .

الدكتور راتب :

هي طاعة طوعية ، فلو أنها قسرية لا تعد عبادة ، الأقوياء يطاعون قسراً ، هي طاعة طوعية ، ممزوجة بحبحة قلبية ، ما عبد الله من أطاعه ولم يحبه ، كما أنه ما عبد الله من أحبه ولم يطعه .

تعصي الإله وأنت تظهر حبه ذاك لعمري في المقال شنيع

لو كان حبك صادقاً لأطعته إن المحب لمن يحب يطيع

* * *

هذه العبادة أساسها معرفة يقينية ، هي طاعة ، يعني مركز الثقل في العبادة العمل ، المؤمن حركي ، المؤمن يلتزم ، يعطي لله ، يمنع لله ، يرضى لله ، يغضب لله ، يصل لله ، يقطع لله .

(وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُمْ مِنْ وَلَايَتِهِمْ مِنْ شَيْءٍ حَتَّى يُهَاجِرُوا (72))

(سورة الأنفال)

ما لم نستقم على أمر الله فلن نقطف من ثمار الدين شيئاً :

ما إن تستقر حقيقة الإيمان في الإنسان حتى تعبر عن ذاتها بحركة ، والأخلاق حركة ، إذاً هي طاعة طوعية ، أساسها معرفة يقينية ، في هذا التعريف جانب معرفي و جانب سلوكي و جانب جمالي .
الجانب السلوكي هو الأصل ، أنا أقول كيف أن التجارة لها نشاطات لا تعد ولا تحصى في شراء محل، شراء مستودعات ، مكاتب استيراد ، تعيين موظفين ، دعاية ، استقدام بضاعة ، عرض البضاعة ، جمع أموالها ، توزيع الأرباح ، نشاطات لا تعد ولا تحصى ولكن يمكن أن تضغط التجارة كلها بكلمة واحدة ؟ أقول نعم الربح فإن لم يربح التاجر فليس تاجراً .

الآن نشاطات الدين لا تعد ولا تحصى ولكن يمكن أن تضغط بكلمة واحدة الاستقامة ، ما لم نستقم على أمر الله ، ما لم نلتزم ، ما لم نحل الحلال و نحرم الحرام ، ما لم يرانا الله عز وجل حيث أمرنا ، ما لم يفتقدنا حيث نهانا ، فلن نقطف من ثمار الدين شيئاً ، يبقى الدين ثقافة أرضية إسلامية وخلفية إسلامية ونظرة إسلامية وشعور إسلامي واهتمام إسلامي وعاطفة إسلامية ، أما الإسلام شيء آخر .

الخُلق في الإسلام :

الدكتور عمر :

الخلق في الإسلام ليس نظرياً .

الدكتور راتب :

هو الأصل أبداً :

((ترك دانق من حرام خير من ثمانين حجة بعد حجة الإسلام))

[ورد في الأثر]

((والله لأن أمشي مع أخ في حاجته خير لي من صيام شهر واعتكافي في مسجدي هذا))

[الترغيب والترهيب عن ابن عباس بسند ضعيف]

بل إن العبادات الشعائرية ومنها الصلاة والصيام والحج والزكاة لا تقبل ولا تصح إلا إذا صحت العبادات التعاملية .

الإسلام و الأخلاق :

النبي عليه الصلاة والسلام حينما أرسل أصحابه إلى الحبشة وملك الحبشة سأل سيدنا جعفر رضي الله عنه قال له حدثني عن الإسلام ، الآن نستمع ونصغي إلى تعريف هذا الدين من صحابي جليل كبير قال:

((أَيُّهَا الْمَلِكُ ، كُنَّا قوْمًا أَهْلَ جَاهِلِيَّةٍ ، نَعْبُدُ الْأَصْنَامَ ، وَنَأْكُلُ الْمَيْتَةَ ، وَنَأْتِي الْفَوَاحِشَ ، وَنَقْطَعُ الْأَرْحَامَ ، وَنُسِيءُ الْجِوَارَ ، يَأْكُلُ الْقَوِيُّ مِنَّا الضَّعِيفَ ، فَكُنَّا عَلَى ذَلِكَ حَتَّى بَعَثَ اللَّهُ إِلَيْنَا رَسُولًا مِنَّا نَعْرِفُ نَسَبَهُ وَصِدْقَهُ ، وَأَمَانَتَهُ وَعَفَافَهُ ، فَدَعَانَا إِلَى اللَّهِ لِنُوَحِّدَهُ ، وَنَعْبُدَهُ ، وَنَخْلَعَ مَا كُنَّا نَعْبُدُ نَحْنُ وَآبَاؤُنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ الْحِجَارَةِ وَالْأَوْثَانِ ، وَأَمَرَنَا ، الآن الشاهد ، بِصِدْقِ الْحَدِيثِ ، وَأَدَاءِ الْأَمَانَةِ ، وَصِلَةِ الرَّحِمِ ، وَحُسْنِ الْجِوَارِ ، وَالْكَفِّ عَنْ الْمَحَارِمِ وَالدِّمَاءِ))

[أحمد عن أم سلمة]

هذا تعريف صحابي جليل للإسلام ، هو قيم أخلاقية بل إن ابن القيم رحمه الله يقول : الإيمان هو الخلق فمن زاد عليك في الخلق زاد عليك في الإيمان .

إذاً هو طاعة طوعية ، خضوع لهذا المنهج بل هو غاية الخضوع لهذا المنهج ، هذه الطاعة تحتاج إلى معرفة ، وثمرة هذه الطاعة التي أساسها المعرفة ، السعادة ، السكينة ، سمها سكينة ، سمها رحمة ، سمها سعادة ، سمها توازن .

الدكتور عمر :

لو صار المسلم حليماً أما يقال إن حقوقه قد هضمت وقد تضر به سماحته ويضر به حلمه ؟ كما يقول البعض .

من أطاع الله عز وجل يُخضعه تعالى لقانون العناية الإلهية :

الدكتور راتب :

مستحيل وألف ألف ألف مستحيل أن تطيعه وتخسر ومستحيل وألف ألف مستحيل أن تعصيه وتربح ، ما عند الله من عطاء لا ينال إلا بطاعته ، لا يمكن أن تكون طاعة الله تؤدي إلى خسارة بل إلى ربح ، أحياناً في بلد معين في مجتمع معين في عصر معين في بيئة معينة تكون هناك حركة للحياة يستنبط من هذه الحركة قواعد ، هذه القواعد قد تتناقض مع طاعة الله عز وجل ، لكن المؤمن بإيمانه العميق حينما يلتزم جانب طاعة الله عز وجل ويؤثر رضوانه على الخضوع لمعطيات البيئة يخضعه الله عندئذ لقانون العناية الإلهية .

الدكتور عمر :

حتى ولو سبح ضد التيار ؟

الدكتور راتب :

هؤلاء الصحابة الذين نصروا رسول الله هم في أعلى درجات العلو عند الله عز وجل ، الذين عارضوه هم في مزبلة التاريخ .

الدكتور عمر :

وما ذنب مزبلة التاريخ ؟ بارك الله فيك ونفع فيك .

الدكتور سعد الدين نتابع أكرمك الله ، الفقه عندما معذرة يقال إن جحا قالت له زوجته : أسكت الطفل فدخلت لتطبخ خرجت و قالت له ألم تسمع صوت بكاء الطفل مازال يملأ الدنيا صراخاً ؟ قالت له يا رجل أسكت الطفل تمسك كتاباً لتقرأ فيه ، قال هذا كتاب الفقه الذي أقرأه على ذوو اللحى فينامون جميعاً، لماذا لا يجيب نتيجة مع الولد ؟ هل الفقه دكتور سعد فقه العبادات وفقه المعاملات هل ركيزتهما ركيزة أخلاقية ، أو الثمرة منهما ثمرة أخلاقية ؟

الفرق بين العبادات و المعاملات :

الدكتور سعد :

بسم الله الرحمن الرحيم ، في البداية أود أن أقول إن الفقه هو الفهم ، في اللغة فقه يعني فهم ، فلم يكن أحد يستطيع أن يفهم أمراً من الأمور ، ولعل الإشكالية في طرح المسألة بطريقة لا تصل إلى المستمع ولذلك نسأل الله عز وجل أن يوفقنا لبيان عرض فقهي يصل إلى الفاهمين و المستمعين والمستمعات . الدين ذلك الدين القيم تعبير قرآني والقيم جمع قيمة ، والقيمة ما يقام في النفس ويصلب به الإنسان ويشار إليه بالبنان بهذه الصفة ، إذاً هي صفة راسخة .

1 ـ المعاملات تستطيع إعادة ترتيب أوضاعها وفق القيم الشرعية وأما العبادات فلا :

العبادات والمعاملات هي الأحكام الشرعية الحلال والحرام والمقصود بالعبادات الأمور التي تعبدنا الله عز وجل دون أن نفهم معناها وهي سمع وطاعة وهي محصورة وقليلة في إيماننا بالله سبحانه ، مسألة عقائدية تدخل في العقل وفي المنطق أيضاً ثم الطهارة والصلاة والصيام والزكاة والحج ؛ هذا ما نطلق عليه اصطلاحاً في الفقه الإسلامي العبادات ، لأن المسلم يصلي أربع ركعات الظهر لا يعرف ما الحكمة ، والمغرب ثلاثة لا يعرف ما الحكمة ، إنما هي طاعة لله ، ويطوف البيت سبعاً لا يعرف ما الحكمة ، بداية من الحجر الأسود ويجعله على اليسار لا يعرف ما الحكمة ، فهي طاعة لله ، يصوم شهر رمضان لماذا لا يكون شهراً آخراً؟ ويصوم شهراً كاملاً لماذا لا يكون نصف شهر ؟ أو لماذا لم يقطع هذا الشهر على مدار العام ؟ هي عبادة لله ، فقلنا إن هذه الأحكام هي أحكام عبادية ، الأحكام الأخرى هي عبادية أيضاً ولكن اصطلح على كونها معاملات في التبايع من كل أنواع البيع والشركة والعارية والوديعة والمضاربة ، وأحكام التعامل المالي من الهبة والإعارة وغير ذلك من القرض والمعاملات المالية ، ثم أحكام الأسرة من الخطبة وعقد الزواج والطلاق وأحكام المعاشرة بين الزوجين وغير ذلك من أحكام حياتية في الأسرة ، ثم أحكام القضاء والشهادات وتعيين القاضي وشروط الشاهد وكيفية إقامة الدعوى ، وغير ذلك من أحكام في الفقه الإسلامي نطلق عليها معاملات ، والمقصود بكونها معاملات أن الله عز وجل أعطانا الحق في إعادة ترتيب أوضاعها وفق الضوابط العامة والقيم العامة الشرعية ، بخلاف العبادات فإننا لا نستطيع أن نعدل في تكبيرة الإحرام في الدخول في الصلاة الله أكبر لا نغيرها نقول الله الرحمن مثلاً ، أو غير ذلك من تعديل لا إنها عبادات يعني توقيفية .

2 ـ العبادة تحتاج إلى نية ولا تصلح إلا بنية بخلاف المعاملات :

الأمر الثاني أن العبادة تحتاج إلى نية ولا تصلح إلا بنية ، بخلاف المعاملات فإنها تصح بلا نية فإن البائع لا يقول نويت البيع والمشتري ، لا ، يقول نويت الشراء وإنما المصلي يقول نويت الصلاة ، والصائم يقول نويت الصيام .

من اعتاد الاستقامة في العبادة ينقل قيمة الاستقامة إلى المعاملة :

إذاً العبادات تحتاج إلى نية والمعاملات لا تحتاج إلى نية ، العبادات توقيفية ، المعاملات تقديرية أي فيها سلطة تقديرية للمتعامل المسلم بحرية كاملة لكن تحت مظلة القيم التي يجب أن نؤسسها وأن نشير إليها ، من العبادات والمعاملات نجد القيم ، فالعبادات تؤسس قيم المعاملات ، العبادات تؤسس القيم للمعاملات فإن المسلم في التزامه بالصلاة في المواعيد واحترامه لمواقيت الصلاة واحترامه لميقات الصوم واحترامه لميقات الحج التزم قيمة معينة هذه القيمة يطبقها في المعاملات ، كذلك المسلم في أدائه للصلاة والصوم يلتزم بضوابط وأركان وشروط لا بد من الوفاء بها فإذا اختل شرط فسدت العبادة ، فهو اعتاد الاستقامة في أداء العبادة أيضاً ينقل قيمة الاستقامة إلى المعاملات .

الدكتور عمر :

هو لما صلى وفشل في التعامل معي ومع الدكتور العربي ومع الدكتور راتب لما فشل صلاته يعني لا شك فيها خلل .

الدكتور سعد :

(إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ (45))

(سورة العنكبوت)

((من لم تنهه صلاته عن الفحشاء و المنكر لم يزدد من الله إلا بعداً))

[الجامع الصغير]

هو صلى الأركان وأسقط الفرض ولكنه يأتي يوم القيامة مفلساً من الأجر ، لأنه لم ينتفع من صلاته في تلك الضوابط الأخلاقية التي يجب أن تظهر مع معاملة الناس .

3 ـ العبادات مبناها المسامحة والمعاملات مبناها المشاححة :

الذي لا يعلمه كثير من الناس أن العبادات مبناها المسامحة والمعاملات مبناها المشاححة ، يعني المشاحة لا أقصد النزاع بين الطرفين ؛ وإنما أقصد بأنه لا يصح لأحد أن يعطي نفسه حق أن يأخذ حق

غيره دون رضاه ؛ لأن كل إنسان هو أحق بما له فلا يصح لأحد أن يستبح لنفسه أن يأخذ ما ليس له بخلاف العبادات ، فإن الإنسان إذا قصر تكفيه توبة وأن يأتي بدمعة عين والله يقبل توبته لكن توبة الذي أخذ حق الغير لا تقبل حتى ولو صار الدمع دماً لا تقبل توبته إلا أن يرد الظلامة لصاحبها.

من ضمن القيم التي يتعلمها الإنسان في العبادات هي الطهارة :

لهذا كانت العبادات مبناها المسامحة فإن الله عز وجل كريم وغني يسامح في حقه بخلاف العبد ، وأول ما يقضى يوم القيامة في الديون ولذلك من ضمن أسماء يوم القيامة يوم الدين فإن كل إنسان يأخذ حقه ودينه من أخيه ، سواء كان غير مسلم أم مسلم يأخذ حقوقه ، البشر لا فرق فيها بين مسلم وغير مسلم ، أما العبادات التي نشترط فيها الإسلام فلهذا المسلم يأخذ من عبادته للمعاملات ، من ضمن القيم التي يتعلمها الإنسان في العبادات هي الطهارة ، والطهارة التنزه عن الأدناس والتحلي بالفضائل هذه المعاني يطبقها في المعاملات ، أيضاً الاستقامة الإتيان بضوابط العبادة على أكملها ثم يطبقها في المعاملات ، أيضاً التعاون .

الدكتور عمر :

أنا أغسل يدي في الوضوء أقصد أيضاً أن أغسلها من الرشوة ومن إيذاء الغير ومن كتابة الكلمة الداعرة والكلمة الفاجرة في الصحيفة و ...

الدكتور سعد :

المتوضئ يعلم أنه يتنزه عن الدنائس وعن النقائص وهو يغسل يديه ويستشعر بهذه المعاني ، يجدد إيمانه ويجدد الوعظ في نفسه ، هذا الوعظ في نفسه هو الذي سينطلق به إلى معاملة الناس .

الدكتور عمر :

وإذا تمضمض أيضاً فهو يمتنع عن الغيبة والنميمة .

الدكتور سعد :

في كل جزء من أجزاء أركان الوضوء والاغتسال ، إذا اغتسل من الجنابة كذلك.

الدكتور عمر :

دكتور سعد أنتم تعلمون دعاة المستقبل إن شاء الله هنيئاً لهم بأساتذتهم ، هل نريد في منظومتنا الفقهية الجديدة طريقة العرض الجديدة ؟ هل نربط هذا بذاك أم نظل هكذا في تعليم الناس الأحكام ؟

الانتقال من التعاون في العبادة إلى التعاون في المعاملة :

الدكتور سعد :

لا شك أن الكتاب والسنة يشتملان على هذين المعنيين ، معنى الإتيان بالفرض والإتيان بضوابطه ووظيفة الفرض فضلاً عن القيمة الأخلاقية منها ، الدين لا غبار عليه بل الدين ممتلئ وغني بنصوصه التي إذا عجز الدعاة أمثالي عن إيصاله فإن النص وحده كاف ، والنص يجد فيه متعة ويجد فيه جلال عندما ينتقل من العبادة إلى المعاملات ، في العبادات أيضاً نجد التعاون ، فإن المسلم لا يصلي إلا بدخول الوقت ، وإذا صلى فإن الإسلام يدعوه إلى الجماعة ، والجماعة تبدل صلاة الفرد بسبع وعشرين درجة فهو يشعر بقيمة الجماعة ولا يشعر بوحدانيته ، إنه لا يعيش مسلماً منعزلاً عن الناس وإنما يعيش في وسط الآخرين ، هذا المعنى ينقله إلى المعاملات ، حتى جعل الله البركة في الشركة في الرزق بالجماعة فإن من تاجر وحده بخلاف من تاجر مع غيره ، فإن البركة في هذه الجماعة تنتقل قيمة التعاون من العبادة إلى معاونة الناس في قوله تعالى :

(وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ (2))

[سورة المائدة : 2]

شاملة تعلمنا من العبادة وانتقلنا إلى معاملة الناس .

الدكتور عمر :

فإذا وصفت أنت من الدعاة العاجزين نحن نريد عشرة من الدعاة العاجزين من مثلك و نكون بخير بارك الله بك أكرمك الله ، الدكتور العربي كلما شنفت آذاني بحضور محاضرة لكم أنت دائماً تذكرنا بمدى تقصيرنا في منظومة قيمنا كمسلمين ويعني تريد كيف الآخر وضع لنفسه ضوابط بشرية ولكن من هو يتبعها فربما يفلح أحياناً ، الدكتور العربي نحن والآخر أين طرف الخيط بين المنظومتين ، أو إن منظومة القيم منظومة واحدة ؟

القيم عندنا و القيم عند إخواننا في الإنسانية :

الدكتور عربي :

شكراً أستاذنا أنا أرى أن اختيارك أو اقتراح عنوان هذه الندوة اقتراح ملهم ، ذلكم أن الإنسان أياً كان نوعه ومستواه وتوجهه لا يستطيع أن يعيش دون قيم والذي يجادلنا في ذلك نضرب له هذا المثال ، هل يستطيع أحدنا أن يمشي على رأسه ؟ لا يستطيع ذلك إلا أفراد يدربون في ملعب من الملاعب ، الأصل أن الإنسان يسير على قدميه ، أضيف صورة أخرى انظر إلى الشجرة ذات بعدين جذورها تحت

مستوى الأرض وغصونها ترتفع إلى السماء ، فالإنسان شجرة معكوسة جذورها سماوية وفروعها أرضية ، ما الفرق بين القيم عندنا والقيم عند أخواننا في الإنسانية ؟

1 ـ غير المسلمين قيمهم ذات جذور أرضية وتطبيقات أفقية وقيمنا متجذرة في السماء :

غير المسلمين ذات جذور أرضية وذات تطبيقات أفقية قيمنا متجذرة في السماء ويطلب إلينا طلب أمر أن نجسدها في حياتنا الأفقية فإذا ما جسدناها كانت تعبيراً عن أصلها السماوي ، هذه الملاحظة الأولى .

2 ـ القيم المتجذرة في الأرض طاقاتها تنفد :

الملاحظة الثانية أن القيم المتجذرة في الأرض طاقاتها تنفد والدليل أننا في بداية الألفية واقع الناس وتصريحات مفكريهم تؤكد ذلك ، يقول آخر ما أجمع عليه عقلاء البشر أن الثقافة الحالية استنفذت مبررات وجود الإنسان ، والخلاصة كما قال أحد الكتاب قديماً من المشرق العربي ، الناس الآن رجلان رجل نام في النور ورجل استيقظ في الظلام والذي ينام في النور يعتبر عاصياً ، وما نراه من خلل أشرت إليه أثر من آثار معاصينا ، هذه الملاحظة الثانية .

3 ـ القرآن الكريم خزان للقيم :

الملاحظة الثالثة أنا دائماً أذكر نفسي وإخواني بالخاصية العظيمة لكتاب الله عز وجل ، المصحف الشريف ما هي افتتاحيته ؟ افتتاحيته تمثل منبعاً وخاتمته تمثل المصب ، المنبع يتمثل في البسملة التي تلتها صفتان من أعظم صفات الله عز وجل الرحمة .

إذاً عندما أقرأ القرآن أعتقد اعتقاداً جازماً أن القرآن خزان للقيم وهنا تسعفني اللغة ، أنا دائماً أقول بين الكلمة العربية ومفاهيم القرآن علاقة حب ، فالقرآن يحب العربية والعربية تحب القرآن ، وتعلمون تصاريف قام ، قام بالشيء ، قام على الشيء ، قام يعني ضد الانبطاح ، ضد الكسل ، ضد النوم ، سبحان الله نتأمل المخلوقات في معظمها ، رصد العلماء أن المخلوقات كلها ذات أشكال أفقية ما عدا الإنسان ، الإنسان يقم منتصباً بين الأرض والسماء ما معنى ذلك ؟ معنى ذلك يجب أن تنسجم أبعاده السماوية والأرضية ولعل آية في كتاب الله عز وجل تلخص ذلك :

(وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ (20)وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ (21)وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ (22))

[سورة الذاريات]

على الإنسان أن يتعامل مع القيم بالفهم السليم للإسلام :

الرزق ليس رزق البعد الجسماني فقط الرزق القيمي ، فالرزق القيمي هذا هو الرزق ، وإذا ذكرنا كلمة الرزق الناس لا يفهمون إلا ما يتعلق بالجهاز الهضمي ، لا أين الجهاز الفكري ؟ أين الجهاز الخلقي ؟ إذاً المسلمون الأولون ما الذي صنعوه ؟ ما الذي تغير في المدينة المنورة في عهد الرسالة ؟ لم يتغير عمران ولم تتغير علاقات اجتماعية ولم تتغير بنية تحتية كما يقول الماركسيون ، جاء أناس مثل أبي بكر وعمر وغيرهما ورأى الناس في سلوكيتهم ما لم يكونوا يرونه ، نحن الآن كيف نتعامل مع القيم ؟ نتعامل مع القيم من خلال الفهم السليم والهضم السليم والإبراز السليم هذه أبعاد ثلاثة هي قوله تعالى :

(وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ)

(سورة فصلت)

ماذا قدم ؟ قدم الواقع الاجتماعي ، والواقع الاجتماعي انعكاس للواقع النفسي ، فعندما يتساءل الناس ما هذه الماركة ؟ ما هذه العلامة ؟ نقول هذا ليس لنا نحن فهمنا ووفقنا الله فجسدنا ، إذاً إذا أردتم أن تعرفوا سر قيمنا فلنعد للإنسان الشروط التي تتيح له أن يرفع رأسه لكي يمشي على الأرض سوياً ويستوحي السماء ، في السماء رزقكم .

الدكتور عمر :

بارك الله فيك دكتور عربي .

من سلك طريقاً ملتوياً ليصل إلى هدفه هذا إنسان غير مخلص ولن يوفقه الله تعالى :

الدكتور راتب :

للتقريب هذه المرأة يجب أن تحج ما في معها محرم ، تعمل عقد زواج صوري هذا طريق معوج للحج لا يرضي الله ، الله عز وجل لا يعبد إلا وفق ما شرع ، أما أن أسلك طريقاً ملتوياً كي أصل لهدف معنى ذلك الذي يفعل هذا ليس مخلصاً ، ثم يقول الله عز وجل :

(وَاذْكُرُوا إِذْ كُنْتُمْ قَلِيلًا فَكَثَّرَكُمْ (86))

(سورة الأعراف)

أحياناً يكون الإنسان ضعيف الله عز وجل يقويه ، المسلمون كانوا قلة لكنهم كانوا في أعلى درجات القرب من الله فتحوا العالم ، الآن مليار وخمسمئة مليون ربع سكان الأرض في ستة آلاف مليون ، المسلمون مليار وخمسمئة مليون وهم يملكون ثروات طائلة كثيرة قليلة ، كثيرة لا تقدر بثمن أكبر احتياطي نفط في العالم في بلاد المسلمين ، وفي العراق بالذات وأرخص نفط في استخراجه نفط

العراق، أربعمئة وخمسين مليار برميل احتياطي بعيد الأمل ، يملكون ثروات كبيرة ، موقع استراتيجي، أمة واحدة ، إله واحد ، نبي واحد ، قرآن واحد ، آمال واحدة ، آلام واحدة ، والحدود بينهم والسدود ، بينما الذين خاضوا حروب لمئتي عام في أوربا ؛ أوربا كلها بلد واحد .

الدكتور عمر :

النورانية سبحان الله عز وجل نكمل حورانا لكن بعد الفاصل حتى ألتقط أنا عقلي لكي أعيد ترتيب ما يسمع من هذه الدرر الغالية من هذه النخبة بارك الله فيكم بعد الفاصل .

مرحباً بكم أخوتي مرة أخرى ونحن نتحاور ونتجاذب أطراف الحديث ونخرج هذه الدرر المكنونة عند علمائنا الأخيار الذين أشرف أنا بتواجدي معهم في هذه الحلقة المتميزة ، دكتور محمد راتب النابلسي أنت دائماً تنظر إلينا بابتسامة عريضة تشرح صدورنا ، هذا الوجه النوراني الذي لا نزكي قلب صاحبه على الله سبحانه وتعالى ، دكتور راتب وأنت ترصد في حياتك الدعوية سلوك المسلمين ومنظومة القيم عندهم أي الخلق تبخر أولاً منهم ثم تبعها انفراط العقد في خلق آخر ؟

منظومة القيم عند المسلمين :

الدكتور راتب :

بسم الله الرحمن الرحيم ، لا بد من تقديم مقدمة ، الإنسان حينما كلف أن يعبد الله ، الله عز وجل أعطاه مقومات هذه العبادة ، من أولى هذه المقومات أعطاه كوناً وهو الثابت الأول في هذا الإسلام العظيم لأن كل شيء في هذا الكون ينطق بكمال الله ووحدانيته ووجوده ، هذا الكون هناك آيات كثيرة تصل إلى عدد كبير جداً في القرآن تتحدث عن الكون ، ما لم يتفكر بهذه الآيات لن يعظّم صاحب هذه الآيات ، أي أن الإنسان إذا عرف الآمر ثم عرف الأمر تفانى في طاعة الله أما إذا عرف الأمر ولم يعرف الآمر تفنن في التفلت من الأمر ، لأن الأخلاق في مجملها حركة ضبط بين الشهوات التي أودعها الله في الإنسان ، أودع الله في الإنسان الشهوات ، يحب المال ، يحب المرأة ، يحب العلو في الأرض ، هذه الآية واضحة وهي أصل في هذا الموضوع زُين ، لكن هذه الشهوات في أصل تركيبها بإمكان الإنسان لأنه مخير أن يتحرك بها مئة وثمانين درجة جاء الشرع العظيم أعطاه حيزاً وليكن مئة درجة .

أساس الأخلاق معرفة الله عز وجل :

الأخلاق في أصلها أن يوقع حركته في هذا الحيز المسموح به بعيداً عن الإفراط والتفريط ، فلذلك أعطاه الكون ليتعرف على الله ، يعني فرضاً نجم يبعد عنا أربع سنوات ضوئية من أجل أن نصل إليه

بمركبة أرضية نحتاج إلى خمسين مليون عاماً متى نصل إلى نجم القطب أربع آلاف سنة ، المرأة المسلسلة مليونا سنة ضوئية ، نجم الأخير اكتشف حديثاً أربعة وعشرين مليار سنة ضوئية ، فالإنسان إذا قرأ قوله تعالى :

(فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ * وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ)

(سورة الواقعة)

أنا أقول الأخلاق أساسها أن تعرف الله أولاً إن عرفت الله الإنسان يعد للمليار قبل أن يعصيه ، وقبل أن يأخذ ما ليس له ، وقبل أن يخون العهد ، وقبل أن يعتدي على أعراض الآخرين ، الأصل أن يعرفه لذلك حينما عرفنا أمره ولم نعرفه ضعفت أخلاقنا .

الكون أول مقوم من مقومات التكليف :

أول مقوم من مقومات التكليف الكون هو مظهر لأسماء الله الحسنى وصفاته الفضلى ، الكون الثابت الأول ، آيات كثيرة أية آية في كتاب الله ، آية الأمر تقتضي أن نأتمر ، آية النهي تقتضي أن ننتهي آية ، وصف الجنة والنار تقتضي أن نسعى للجنة وأن نفر من النار ، آية الأقوام السابقة تقتضي أن نتعظ ، إذاً في ألف آية تتحدث عن الكون سدس القرآن تقتضي ماذا ؟ أن نفكر كي نعظم ، هذا ما فعله النبي عليه الصلاة والسلام في المرحلة المكية ، حينما عرف أصحابه بالله عز وجل وهذا مضمون الآيات المكية .

الدكتور عمر :

دكتور راتب نحن قد قصرنا كدعاة في تعريف الناس بالله ؟ إذا رأينا اليوم بخيلاً أو مؤذياً أو ظالماً أو متسلطاً ، هنا أصبحت تتعلق في رقبتنا ، تقصير الدعاة في عدم تربية الناس على تعريفهم بالله عز وجل ؟

من عرّف الناس بخالق السماوات و الأرض دلّهم على الطريق الصحيح :

الدكتور راتب :

الإنسان إذا تلقى رسالة من مكتب بريد تعال استلم رسالة يوم الخميس لا تتحرك شعرة بجسمه ، قد يتلقاها من جهة قوية لا ينام الليل ، ما الفرق بين الرسالتين ؟ الآمر ، أنا حينما أعرف الناس بالآمر ، بخالق السماوات والأرض ينصاعون لحكمه لأن الله عز وجل ماذا قال الآية دقيقة جداً :

(اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا (12))

(سورة الطلاق)

لتعلموا اللام لام التعليل ماذا نعلم ؟

(أنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا)

(سورة الطلاق الآية : 12)

لماذا اختار الله من اسميه الاسمين فقط ؟ أنا أوضح هذا بمثل من واقعنا ، تقف على الإشارة الحمراء في مركبتك والشرطي واقف وضابط السير واقف ، وأنت مواطن عادي والعقوبة قطعية وصعبة جداً لا يمكن أن تخالف لماذا ؟ لأن واضع نظام السير يطولك علمه من خلال هذا الشرطي وتطولك قدرته من خلال حجز المركبة وسحب الأوراق ، فإذا آمنت أن الله يعلم وسيحاسب وسيعاقب لا يمكن أن نعصيه ، هذا قانون :

(لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا)

(سورة الطلاق)

منهج الله عز وجل منهج شمولي :

لذلك الإنسان يتحرك ، لماذا يتحرك ؟ متى يعصي الله ؟ خلال الحركة ، أودع الله فيه الحاجة إلى الطعام ليحافظ على وجوده الفردي ، أودع فيه الحاجة إلى الطرف الآخر الجنس ليحافظ على النوع ، أودع فيه الحاجة إلى تأكيد الذات ليحافظ على الذكر ، إذاً هو كائن متحرك في أثناء الحركة إذا كان يعرف الله عز وجل يوقع حركته على منهج الله ، لذلك منهج الله عز وجل بخلاف ما يتوهم المسلمون ليس خمسة بنود ، أنا أتصور منهج الله عز وجل مئة ألف بند يبدأ من فراش الزوجية وينتهي بالعلاقات الدولية ، منهج شمولي ، الأصل أن الله خلق الكون كي نعرفه وأعطانا عقلاً كي يكون أداة معرفة الله .

لدكتور عمر :

يعني منبع الخراب السلوكي إذا أجزت التعبير .

الدكتور راتب :

من ضعف معرفة الله ضعف التوحيد .

الدكتور عمر :

هذه قنبلة متفجرة في هذه الحلقة ، هذا كلام خطير ، ما هي القيمة الأولى التي تركها الناس ؟ هي عدم المعرفة بالله أنا فهمت هذا .

الدكتور راتب :

تترك بالتسلسل .

الدكتور عمر :

نحن لدينا لا أقول شبه شلل وإنما نقول بوضوح شلل في معاملاتنا وسلوكياتنا مع بعضنا البعض إلا ما رحم ربك ، هل هذا لجهلنا بفقه المعاملات أم بتقصيرنا بفقه العبادات ؟

عدم وعي الناس بفقه المعاملات الحقيقية يؤدي إلى شلل في معاملاتهم و سلوكياتهم :

الدكتور سعد :
ربما يكون هناك خطأً في بعض الأحكام الفقهية التي صدرت في أعراف معينة ومن فقهاء معينين وعمت ، وربما يكون الأمر الذي يرجع إلى هذا عدم وعي الناس بفقه المعاملات الحقيقية .

أمثلة على الخطأ في بعض الأحكام الفقهية :

1 ـ حكم إفشاء السلام :

بداية أضرب مثالاً للدلالة على النقطة الأولى حكم إفشاء السلام كقيمة تركها المسلمون اليوم ، ألتقي مع غيري من الناس في الطريق أو في عملي أو في المسجد أو في أي مكان أجد الناس بخلاء في إفشاء السلام ، رغم أن إفشاء السلام قيمة إسلامية واجبة وجوب كفاية ، وبيّن النبي عليه الصلاة والسلام فضلها ووضعها في حياة المسلم :

((رَجُل سأل النبي صلى الله عليه وسلم ، قال : أيُّ الإسلام خيرٌ ؟ قال : " تُطعِمُ الطعامَ ، وتَقْرَأُ السلامَ على مَنْ عَرَفْتَ ومَنْ لم تَعرف))

(أخرجه البخاري ومسلم والنسائي عن عبد الله بن عمرو بن العاص.)

هناك فتوى قيلت بأن إفشاء السلام يجب أن تكون خاصة للمسلمين ، جمهور الفقهاء على غير هذه الفتوى يرى الحنفية ويرى بعض الشافعية ويرى الحنابلة أن إفشاء السلام لعموم الناس ، استدلالاً بهذا الحديث واستدلالاً بحديث رواه الدار قطني والبيهقي من سند حسن أن الله عز وجل لما خلق آدم عليه السلام قال له انطلق إلى هذا الملأ ؛ ثم أخبرني ماذا قالوا لك وماذا قلت لهم ؟ والله أعلم بما يقول وبما يقال له ، فلما عاد ذهب آدم عليه السلام إلى الملأ من الملائكة فقال أنطقه الله ، وقال السلام عليكم ، قالوا وعليك السلام ورحمة الله ، فلما عاد أخبر ربه بما حدث فقال يا آدم هذه تحيتك وتحية ذريتك من بعدك .

إفشاء السلام يؤدي إلى التحابب بين الناس :

إذاً هي تحية الإنسان لأخيه الإنسان ، نتمنى من المسلمين أن يبدؤوا الناس بالسلام فإن السلام سبب للتحابب ، ألا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم أفشوا السلام بينكم ، لو أن كل مسلم كلف خاطره بالسلام على كل من يراه من البشر أعتقد كان فتح همزة وصل فيها حنان وفيها رقة معه ومع غيرة .

الدكتور عمر :

دكتور سعد أكتفي بالسلام بإظهار بياض الأسنان فقط وأنا قلبي صاحب لون آخر ، قطعت علي الطريق في هذه البداية .

2 ـ المعاملة بين الناس :

الدكتور سعد :

عفواً الأمر الآخر أن معاملة الناس في الشق الآخر من الحديث تستلزم فيها أولاً حرية إسلامية غير عادية ، يعني الإسلام لم يقيدنا في التبايع أن نقول بعت أو اشتريت بل يمكن أن نقول خذ وهات ، يمكن أن نقول حتى طريقة التسليم والتسلم ، حتى طريقة الحرز ، حتى طريقة القبض ، كل هذا مباح للإنسان وينطلق فيه الإنسان بحسب مصلحته ، المهم أن الإسلام يحرم الغش ، من غش فليس منا . يأمر بالأمانة .

(إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا(58))

(سورة النساء)

فينهى عن الخيانة ، أيضاً يأمر بالعدل :

(إِنَّ اللّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ)

(سورة النحل الآية : 90)

فلا يصح للإنسان أن يظلم آخر ولا يحل مال امرئ مسلم إلا عن طيب نفس منه وفي الحديث الشريف : إنما البيع عن تراض . وفي قوله تعالى :

(إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِنْكُمْ (29))

(سورة النساء)

من التزم بالقيم الإسلامية الصحيحة لقي ربه بقلب سليم :

لو أن الإنسان اعتبر أساس المعاملة تراضياً ووضوحاً وشفافية وصل لكل ما يريد تحت هذه المظلة حلالاً زلالاً ، أما أن يغش للوصول وكان صاحب الشأن يمكن أن يسامحه لكنه بخل أن يظهر الحقيقة فأخذ الحرام ، لهذا نقول عن قيمنا الإسلامية في المعاملات مفتوحة المجال للمسلم طالما التزم بعدة ضوابط لا يختلف عليها اثنان ، قال لك العدل والأمانة وترك الغش وترك التدليس وعدم الخيانة وعدم النهش الذي هو ما يدخل به الإنسان ليرفع السعر على غيره ، ولا تناجشوا . فإذا التزم المسلم بهذه القيم صار في المعاملات صار حراً طليقاً ويبارك الله له في رزقه ويبارك في حياته وعاش هنيئاً مريئاً يلقى الله بقلب سليم .

الدكتور عمر :

أكرمك الله على هذا ، دكتور عربي ونحن ندير الحوار بنا منظومة القيم ، هل هي فطرية في الإنسان أم هي اكتسابية يكتسبها سواء بتعليم أم بقدوة ، أو قد ينشئ الآخر منظومة قيم يحاول أن يحافظ عليها وهي من بنات أفكاره ، ونحن لدينا خلق سماوي وأوامر سماوية

(ويزكيهم)

هذه ربع الرسالة المحمدية ، وقدم الله عز وجل بقضية ويزكيهم عن قضية تعليم الكتاب والحكمة كما دعا الخليل وابنه بعدما عملوا التزكية بعد التعليم ، الله عز وجل جعل التزكية قبل التعليم ، هل فطرية أم اكتسابية ؟ ولماذا صلّح الآخر قيمها فيما نرى ؟ يقول لك يا أخي موعد أوربي ، موعد إنكليزي الموعد تماماً ، نريد دكتور عربي وهو رجل يعايش الشرق والغرب .

الخَلق و الخُلق :

الدكتور عربي :

هو كعادتكم ما تفضلتم به ينطوي على الإجابة ، مما تمتاز به تصوراتنا أنها تصورات توليفية تألف وتؤلف ، عندما استمعت إلى العنوان قبيل هذه الحلقة خطر على بالي هذا السؤال ما القاسم المشترك من الناحية البيانية ومن الناحية المفهومية بين الخَلق والخُلق ؟ من الناحية البيانية مادة الخُلق ومادة الخَلق مشتقتان من جذر واحد خلق ، الخلق لله وحده سبحانه وتعالى وقد قال الله عز وجل :

(لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ)

(سورة التين)

الخُلق بذوره مغروسة في فطرة الإنسان ، وتحدث بعض العلماء وهم يقارنون بين مختلف الكائنات وجدال طويل وذهب بعضهم أخيراً اطلعت على دراسة منذ أسبوعين إلى أن بعض الحيوانات لا تتمتع فقط بغريزة وإنما بحس خلقي ، وضربوا أمثلة لذلك ، كلمة الخُلق عندنا تذكر لا تنصرف إلا إلى بعض المفاهيم التجريدية يقال فلان لا أخلاق له ، ومثلاً كلمة الفاحشة في القرآن الكريم أصل الكلمة صفة تنطبق على النية وتنطبق على القول وتنطبق على الفعل ولكن غلب استعمالها على الرذيلة المعروفة وإنما يستحسن أن نستصحب المفهومين الكلمة بوصفها صفة والكلمة بوصفها اسم حسب مقتضيات الظروف ، إذاً الإنسان مطالب بأن ينمي هذه البذرة الفطرية ولما قال القرآن الكريم :

(قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا {9} وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا {10})

(سورة الشمس)

وكلمة أفلح تذكرني بعمل الفلاح ، فلح الأرض وأفلح الهمزة هنا لتحصيل الثمرة ، ثمرة الجهد والفلاح يعرف ما هو الجهد الذي يبذله ، الأرض مستعدة فعليه أن يختار البذور وبذورنا لسنا نحن الذي نختارها الله اختارها لنا ، واجبنا أن نهيئ الشروط الضرورية لتنمية هذه البذور .

كلمة الخُلق في كل اللغات لا مدلول لها إلا في سياق العلاقات :

مثلاً تجد إنساناً وقد أشرتم إلى ذلك عندما يتوضأ ، نحن قرأنا في كتب الفقه يقول لو تترك جزيئاً بسيطاً لم يسمه الماء الوضوء ناقص ، لكن ولا مرة قلنا ما هو البعد المعنوي للمضمضة ، لماذا أتمضمض ؟ والحديث الذي أخذه الناس على ظاهره إذا غسلت تتساقط الذنوب ، لا كيف تتساقط الذنوب ؟ هذا ترميز يعني أن الإنسان وهو يتوضأ مثلاً يتمضمض يتذكر ما هي نسبة الكلمات التي آذى بها خلقاً من خلق الله في هذا اليوم ؟ كثيرة ، إذاً يعمل على وأتبع السيئة الحسنة تمحوها ، مثلاً يأتي شخص يقول لك سنلتقي في الرابعة تأتي الرابعة ما جاء أنت تشك تقول رابعة اليوم أم رابعة الغد أم رابعة الشهر القادم ، هذه المشكلة أين منظومة القيم التي شكلها الإسلام في ترتيبه لوظائف الوقت ؟ عجيب نحن نقرأ نظرياً وظيفة المسلم في اليوم والليلة ، لكن أين آثار معرفتنا النظرية في الحياة الاجتماعية ؟ أنا أحفظ عندما أقوم أتوضأ وأصلي وأذهب إلى كذا ، لكن لماذا عندما أخالطك لا ترى أثراً ؟ لذلك كلمة الخلق في كل اللغات وخاصة في لغتنا لا مدلول لها ولا مفهوم لها إلا في سياق العلاقات ، علاقات العدل مع ربنا .

الدكتور عمر :

ليست تجريبية .

من اطّلع على نعم الله عز وجل أحبّ الله و عشق ما يحب الله :

الدكتور عربي :

ليست تجريبية كلمة الخلق إذا ما ذكرت لا تنصرف إلا إلى العلاقات ، علاقات العبد مع ربه ، تفضل الأساتذة وحدثنا أستاذنا عن المعرفة ، معرفتنا اليوم أصبحت معرفة عقيمة ، والمعرفة ليست حسب الفلسفة الإغريقية تجريدية يهيم الإنسان في أودية الخيال ، معرفتنا لا قيمة لها إلا إذا أثمرت ماذا تثمر ؟ تثمر المعرفة ، عرف والمعرفة تثمر ماذا ؟ تثمر المحبة ، أنا إذا عرفت فضائلكم أحببتكم ، والعبد عندما يطلع على نعم الله علينا من خلال التأمل في حياته ، والنعم التي تترادف عليه لا شك أنه إذا كان جهازه الاستقبالي سليماً أحب الله والمحبة لا قيمة لها إلا إذا جعلتنا نعشق ما يحب الله ، هذه هي الأخلاق :

(وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ)

(سورة القلم)

الخلل الذي أصاب المسلمين اليوم نتيجة خطئهم في فهمهم و تطبيقهم للدين :

تعلمون الذي استمع إلى النبي عليه الصلاة والسلام يقرأ عليه قوله تعالى :

(إِنَّ اللّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ)

(سورة النحل الآية : 90)

وجد زبدة الأخلاق التي تسعد الناس أفراداً وجماعات في علاقاتهم مع السماء ومع الأرض متمثلة في هذه الآية ، لكن مثلاً في مرة من المرات في بداية الاستعمار الفرنسي في الجزائر جادل أحد العلماء الفرنسيين علماً من أعلام الجزائر يسمى رحمه الله الشيخ عبد الحليم بن سمايا ، قال له يا شيخ إنني وجدت في قرآنكم خطأ ، قال له تفضل ، قال : القرآن يقول ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلاً وكلكم تحت أرجلنا ، فماذا قال الشيخ وهذا الداعية ؟ (الداعية ليس جماعاً للنصوص ، الداعية يفكك ويدرس الواقع ليقدم له العلاج)ماذا قال الشيخ ؟ كلمات معدودة قال له : اسمع أنتم كفار ونحن لسنا مؤمنين والقرآن صحيح .

إذاً إذا لاحظ الناس خللاً في حياتنا الاجتماعية فلنعلم أن الخلل في فهمنا أحياناً وفي تطبيقنا أحياناً وفي فهمنا وتطبيقنا أحياناً أخرى .

الدكتور عمر :

أي عندما قال أحدهم ، ربما تذكر كثيراً في محاضراتك أن الإنسان مات ، هل مات الإنسان عندهم لأنه

قد ماتت قيمه ؟ .

الإنسان الميت هو الإنسان الذي قطع الصلة بينه و بين قيمه :

الدكتور عربي :

فعلاً هذه المقولة تدرج و تربط بمقولة سابقة لها التي قالها الفيلسوف الألماني نيتشه : قال الإله مات ، يقصد إلههم ، الإله الذي أنشأته تصوراتهم ، و كذلك آخر كلمة قالها أعظم فيلسوف فرنسي ميشيل فوكو في كوليدج ديفرانس في كلية فرنسا ، آخر درس له ، و درسه كان يتوافد عليه الناس بكثرة و الذي يأتي متأخراً لا يسمع ، أعلن في آخر درس له : الإنسان مات ، ما معنى مات ؟ بأنه قطع الصلة بينه و بين القيم ، و المرحلة الثانية عاد يتحرك دون إحساس بالقيم ، و المرحلة الثالثة الفلسفات و التصورات التي وضعها الناس بدل القيم السماوية انتهت بهم إلى طريق مسدود ، و هذا الرجل مات منتحراً ، هذا نفسه ، و كثير من العباقرة .

الذي يؤلمني وأنا أعيش في الغرب أكثر من ثلاثين سنة أسأل نفسي من شروط تعذيب الله و محاسبة الناس للناس بلوغ الرسالة ، أنا أسأل هل هؤلاء الغربيون الذين نعيش بين ظهرانيهم وصلتهم الرسالة ؟ كيف وصلتهم ؟ هل أنا أطلب إلى كل غربي أن يفتح القرآن الكريم مترجماً و يفهم ؟ أقول مثلاً ديننا مبني على النظافة و أحاديث صحيحة ، و آتي له بمئات الأحاديث ، أقول له أنا تعال نشرب القهوة في المسجد ، و الله يقول لي أنا أذهب إلى الحمامات أنا استحي ، ماذا أقول له ؟ أخاف يدخل لماذا ؟ يقول لي أنت كنت تغشنا عندما قلت لنا ديننا مبني على النظافة أين النظافة ؟ و هكذا إذاً لسان الحال لسان الواقع أبلغ من المقال ، و قديماً قالها الربانيون ، أي اصحب من يدلك حاله على الله .

والحمد لله رب العالمين

ندوات تلفزيونية - قناة الشارقة - منظومة القيم - الدرس (2-2) : ج2 من الشارقة
لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: 15-02-2008

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة :

الدكتور عمر :
العلاقة بين الأمر والنهي في كتاب الله عز وجل وعلاقتها بقضية منظومة القيم التي يستشعر أي ناظر أو مشاهد لحركة المسلمين في الحياة بأنه كما كان شيخنا الغزالي رحمه الله نحن كحي سكني انقطع عنه التيار الكهربائي وكأن منظومة القيم نحن ابتعدنا عنها وهي موجودة كما هي ولكن علاقة الأمر والنهي في الكتاب والسنة بمنظومة القيم .

علاقة الأمر و النهي في الكتاب و السنة بمنظومة القيم :

الدكتور راتب :
بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آل بيته الطيبين الطاهرين وعلى صحابته الغر الميامين ، دكتور عمر جزاك الله خيراً على هذا اللقاء الطيب .
بادئ ذي بدء على الأرض ستة آلاف مليون إنسان ، أنا أعتقد اعتقاداً جازماً أنه ما منهم واحد إلا وهو مجبول على حب وجوده وعلى حب سلامة وجوده وعلى حب كمال وجوده وعلى حب استمرار وجوده، وهو في الأصل الإنسان أعقد آلة في الكون ، تعقيد إعجاز لا تعقيد عجز ، ولهذه الآلة صانع حكيم ولهذا الصانع الحكيم تعليمات التشغيل والصيانة ، فانطلاقاً من حب الإنسان لوجوده ، ولسلامة وجوده ، ولكمال وجوده ، ولاستمرار وجوده ، ينبغي أن يتبع تعليمات الصانع هذا أصل الانضباط الأخلاقي .
الآن لأن هذا الكلام كلام الله ولأن الأمر والنهي من عند الله ، من عند الحكيم العليم ، فلا بد من أن تكون العلاقة بين الأمر ونتائجه والنهي ونتائجه علاقة علمية ؛ بمعنى أنها علاقة سبب بنتيجة كيف ؟ قد يقول أب لأولاده وفي البيت بابان استخدموا هذا الباب فجاء أحد أبنائه وعصى أمره فخرج من الباب الآخر فضربه ، ليس هناك علاقة علمية بين خروج إنسان من باب صُنع للحركة وبين الضرب الذي

تلقاه من أبيه ، نقول هذه علاقة وضعية الأب وضعها ، أما حينما يضع الابن يده على المدفئة تحترق يده بأمر أو بلا أمر علاقة سبب بنتيجة ، أنا حينما أفهم الأمر الإلهي من عند الخبير ، قال تعالى :

(وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ)

(سورة فاطر)

الناس رجلان :

الله سبحانه وتعالى وحده يعلم أسباب سلامتنا وسعادتنا فإذا أعطانا منهج تفصيلي افعل ولا تفعل معنى ذلك أن افعل تعني السلامة والسعادة وأن لا تفعل تعني الشقاء والبعد ، من هنا أنطلق من أن البشر على اختلاف مللهم ، ونحلهم ، وانتماءاتهم ، وأعراقهم ، وأنسابهم ، وطوائفهم ، ومذاهبهم لا يزيدون عن الله عن رجلين أو عن نموذجين ، نموذج عرف الله كما قلت في الحلقة السابقة فانضبط بمنهجه وأحسن إلى خلقه فسلم وسعد في الدنيا والآخرة ، ونموذج آخر غفل عن الله وتفلت من منهجه وأساء على خلقه فشقي وهلك في الدنيا والآخرة .

الدكتور عمر :

وأشقى غيره كما أن الآخر أسعد غيره .

الدكتور راتب :

لا يشد الإنسان إلى الله إلا معاملة الله له بعد أن اصطلح معه :

يؤكد هذا المعنى قوله تعالى :

(فَأَمَّا مَن أَعْطَى وَاتَّقَى * وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى)

(سورة الليل)

صدق أنه مخلوق للجنة بناء على هذا التصديق اتقى أن يعصي الله ، و بنى حياته على العطاء ، الرد الإلهي الكريم :

(فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى)

(سورة الليل)

الذي يشد الناس إلى الله أنا أقول وأرجو أن أكون على صواب ليس أن الدين أفكاره صحيحة هي صحيحة مئة بالمئة ، الدين قدّم تفسيراً عميقاً متناسقاً رائعاً دقيقاً للكون والحياة والإنسان ، ولكن الذي يشد الإنسان إلى الله معاملة الله له بعد أن اصطلح معه .

((إذا رجع العبد إلى الله نادى منادٍ في السماوات والأرض أن هنؤوا فلاناً فقد اصطلح مع الله))

[ورد في الأثر]

العلاقة العلمية بين الأمر ونتائجه علاقة علمية محضة فلذلك مستحيل أن نعصيه ونربح أو أن نطيعه ونخسر ، لو أنها علاقة وضعية إذا كان في قانون أرضي وضعي الإنسان يتهرب منه لكن ما في نتائج، ما دام واضع القانون ما ضبطه لا يوجد عليه شيء .

الدكتور عمر :

دكتور راتب معذرة أنت بذلك تشير إلى قضية خطيرة أن كلامنا لأنفسنا أولاً ثم لغيرنا من أخواننا وزملائنا في مجال الدعوة وتلاميذنا أن لو ركزوا مثلاً في الخطة العشرية كما تصنع الدول خطة خمسية على إصلاح الخلل السلوكي ومنظومة القيم وركزوا على هذا تركيزاً قوياً أظن أكيد سوف تؤتي ثمارها .

المنهج الإسلامي منهج موضوعي :

الدكتور راتب :

أبداً ، أنا اعتقادي أن إيجابيات الغرب وأحد أسباب قوته إسلامية ، لا لأنهم يعبدون الله أبداً ؛ لكن هداهم ذكاءهم إلى أن الإنسان إذا فعلت معه كذا أعطاك كذا ، في قضايا علمية ، بل لو أن إنساناً أدار معملاً أو مؤسسة أو مستشفى أو جامعة وراقبناه خلال شهر ، إنسان يحمل أعلى شهادة في إدارة الأعمال وإنسان مؤمن بأعلى درجة من الإيمان نفاجأ النتائج متشابهة والبواعث مختلفة ، المؤمن أطاع الله بمنهجه القويم (عبادة) فربح الدنيا والآخرة بينما الذكي يطيع هذه المبادئ الموضوعية فيربح الدنيا وماله في الآخرة من خلاق ، لذلك أقول المنهج الإسلامي منهج موضوعي بمعنى لو جاء إنسان ملحد وطبقه لقطف ثماره في الدنيا ، أنا حينما أوقن أن كل أمر أمرني الله به لمصلحتي ولسلامتي وضمان لمستقبلي ، الله عز وجل قال :

(إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ)

(سورة الإسراء)

(سُبُلَ السَّلَامِ)

(سورة المائدة الآية : 16)

يهديهم سبل السلام مع أهليهم مع أنفسهم في عملهم مع من فوقهم مع من تحتهم ، أنا حينما أوقن أن هذا لصالحي ، جاء أعرابي النبي عليه الصلاة والسلام ، قال : يا رسول الله عظني ولا تطل ، فتلا عليه النبي صلى الله عليه وسلم الآية الكريمة :

(فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ)

(سورة الزلزلة)

قال : كُفيت ، قال : فقُه الرجل ، وفقُه في اللغة لا تعني أنه عرف الحكم ، أما فقُه أصبح فقيهاً .

من خاطب الناس بمبادئ العقل نجح في دعوته :

أنا أقول عوامل أن نستعيد هذه المنظومة الأخلاقية أن نعلم علم اليقين أن هذه الأوامر ضماناً لسلامتنا . إنسان يمشي في الطريق وجد لوحة كتب عليها حقل ألغام ، العاقل يحترم من وضعها بل يثني على من وضعها لا يراها حداً لحريته بل يراها ضماناً لسلامته ، هنا المشكلة الإنسان يتحرك أما حينما تصح رؤيته تصح حركته ، شخص جاء إلى باريس وسأل إلى أين أذهب ؟ نسأله نحن لماذا أتيت إلى هنا ؟ إن جئت تاجراً اذهب إلى المعامل والمؤسسات ، إن جئت سائحاً إلى المقاصف والمتنزهات ، إن جئت طالباً إلى المعاهد والجامعات ، تصح حركتي حينما أعرف سر وجودي ، أنا انطلاقاً من محبتي لذاتي ، من محبتي لسلامتي ، من محبتي لكمال وجودي ، لاستمرار وجودي ، أطبق تعليمات الصانع ، هذا أكبر دافع منطقي وعقلاني ، والعقل الآن له دور كبير في الحياة ، العصر عصر علم ، أنا حينما أخاطب الناس بمبادئ العقل أنجح في خطابي .

من اعتمد في دعوته على محبة الإنسان لذاته و سلامته تنجح دعوته مع الآخرين :

إن بعض العلماء الكبار له كلام رائع جداً قال : من دعا إلى الله بأسلوب ومضمون سطحي غير متماسك ، أو دعا إلى الله بأسلوب غير علمي وغير تربوي لا يكون عند الله مُبلّغاً ، لأن الإنسان في فطرته يؤمن أن هذا الدين عظيم يجب أن يتناسب مع عظمة الله عز وجل .

فأنا حينما أقنع الناس أن هذه الطاعة لكم قال تعالى :

(وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا (71))

[سورة الأحزاب]

(مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا (46))

(سورة فصلت)

لأنني أعتمد على محبة الإنسان لذاته ولسلامته ولكمال وجوده أنا أعتمد على هذا ، فتنجح دعوتي مع الآخرين في هذا الموضوع .

معيار الحلال و الحرام :

الدكتور عمر :

هذا كلام جميل ويسوقنا سوقاً إلى طريق الدكتور سعد ومسألة العلم بمسألة الحلال والحرام ، أنا استطعت أن ألخص كلام أستاذنا الدكتور راتب الله يبارك فيه ، الدكتور سعد تأتي هيئة مثل هيئة الإيزو تضع معايير و مقاييس معينة للمؤسسات التي تعطيها تسعين بالمئة وتسعة وتسعين بالمئة وكل شيء له مقياس ، رختر ، والمقاييس والموازين ، منظومة القيم أو معيار الحلال والحرام ألستم أنتم فقهاء الأمة تستطيعون أن تبسطوا لنا معياراً ، أولاً الحلال والحرام يدركه كل إنسان ولكن أحياناً يتعامى ، ويتغابى، وعلى كل لسنا مع الذين يتعامون ولا الذين يدعون الغباء ، لكن نحن معكم أنتم أيها الفقهاء عندما تضعون لنا معياراً نستطيع أن نبينه للناس هذا حلال وهذا حرام .

معيار الحلال و الحرام معيار قديم وضعه رسول الله صلى الله عليه و سلم :

الدكتور سعد :

جزاك الله خيراً وشكر لكم ، تعلمنا منكم الكثير وما زلنا نتعلم ، أما المعيار فلم أضعه وإنما وضعه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، عندنا في الحلال والحرام قسمان كبيران قسم يتعلق بالعبادات وقسم يتعلق بالمعاملات .

الدكتور عمر :

كما قلنا في الحلقة السابقة .

الدكتور سعد :

أما الأحكام العبادية فإن المعيار فيها يتعلق بالعابد وهو يعرف منزلة نفسه وقدره عند الله عز وجل ، استفتِ قلبك وإن أفتاك الناس وأفتوك ، لما جاء وابصة يسأل النبي عليه الصلاة والسلام يا رسول الله ما البر وما الإثم ؟ فقال صلى الله عليه وسلم البر ما اطمأنت إليه النفس والإثم ما حاك في الصدر وكرهت أن يطلع عليه الناس . استفتِ قلبك وإن أفتاك الناس وأفتوك ، يعني هو يعلم الإثم الناس يسيؤون فهم هذا الحديث ويحاولون أخذ هذا الحديث على منفعتهم ومصلحتهم وكل منهم يفتي نفسه ويقول عن رسول الله يقول استفتِ قلبك وإن أفتاك الناس وأفتوك .

الدكتور عمر :

يعني كلهم وابصة .

الدكتور سعد :

لكن الحديث جاء لبيان الإثم .

القلب هو المعيار في العبادات :

كل إنسان في قلبه استشعار بما حرّم الله وبما أحلّ الله ، فكل منا إذا كان يعلم الحكم من أهل العلم واسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون ، يستطيع أن يمارس حياته التشريعية على ضوء تلك المعرفة وأما المسألة التي لم يتعلمها أو لم يسمعها فهل هو غير مكلف بها ؟ إن قلبه يشير إليها ففي هذه الحال نقول إن القلب هو المعيار الذي يعرف الإنسان أي الحلال وأي الحرام في الأمور العبادية ، إذاً هذا معيار في العبادات ، في قصة تعلمناها بيديكم ومن لسانكم الكريم في كثير من اللقاءات الكريمة ، قصة عمر رضي الله عنه مع الأعرابي الذي أساء صلاته ، ثم سأله فأراد عمر أن يطيب خاطره فقال له أي الصلاتين أفضل ؟ فقال الأعرابي واندهش عمر من الإجابة ، قال صلاتي الأولى ، التي فيها خلل ؟ قال نعم صليت فيها خوفاً من الله وصليت الثانية خوفاً منك يا أمير المؤمنين ، هنا بكى عمر رضي الله عنه لأنه يعلم بأن الصلاة علاقة بين العبد وربه ، حتى إذا كانت فيها أخطاء إلا أن الإخلاص كان يجبها ، كان يكفيه أن يعلمه وهذا التعليم إن استطاع أن يتعامل مع هذا التعليم وهذا فضل من الله وإذا لم يتعلم .

(وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا (132))

(سورة طه)

علاقة الإنسان بربه مبناها الخشوع و الإخلاص :

لا بد من الهدوء في الأمور العبادية ، علاقة الإنسان بربه مبناها الخشوع مبناها العلاقة الروحانية الإخلاص كما ورد في الأخبار ، الإخلاص سر من أسراري لا يطلع عليه ملك فيكتبه ولا جان فيفسده أقذفه في قلب من أحب من عبادي ، هنا نريد أن نرفع من شأن الإخلاص والعلاقة السرية بين العبد وربه وننميها ونحاول أن نحمل الإنسان مسؤوليته مع الله بقلبه يتعلم من أهل الذكر فإذا لم يجد فرصة للتعليم عليه أن يتحول .

معيار الإنسان في المعاملات هو أن كل ما يتمناه الإنسان لنفسه لا بد أن يتمناه لغيره :

هذا في جانب العبادات أما في جانب المعاملات ، فالمعيار وضعه رسول الله صلى الله عليه وسلم حينما قال :

((لا يُؤمِنُ أحدُكُمْ حتَّى يُحِبَّ لأخيه ما يُحِبُّ لنفسه))

[أخرجه البخاري ومسلم عن أنس]

فكل ما يتمناه الإنسان لنفسه إذ لا بد أن يتمناه لغيره هذا هو المعيار إذا أراد أن يقيس قيمه الدينية وعلاقته مع الله في المعاملات أن ينظر إلى هذا ، والعكس مفهوم المخالفة فوراً صار بعيداً عن الإيمان وأضرب مثالاً لفقيه وعالم وأضرب مثالاً آخر من عامة الناس ، بالنسبة لأهل الاجتهاد ، كما أن المجتهد يتمنى أن يكون اجتهاده الذي بناه بعلمه و مجهوده وتعبه وفكره يتمنى من غيره أن يحترم هذا الاجتهاد ، عليه أيضاً أن يحترم اجتهاد غيره ، لابد أن يحترم اجتهاد غيره وأن يحب لغيره الاجتهاد ولا يكون أنانياً ، وإذا كان أنانياً يريد فقط أن يكون هو المجتهد وغيره لا يجتهد فقط رأيه الذي يسود وغيره رأيه لا يسود ، هنا خرج من الحديث : لا يُؤمِنُ أحدُكُمْ حتَّى يُحِبَّ لأخيه ما يُحِبُّ لنفسه . على كل مجتهد أن يظهر ميزة اجتهاده وأن يتبارى ويفخر بما أعطاه الله من منحة فقه ، ولكن لا يحق له أن يغبط الناس حقهم ولا يظلم الناس ، هذا مثال بين أهل العلم .

على كل مجتهد أن يظهر ميزة اجتهاده و ميزة اجتهاد الآخرين :

مثال آخر في حياة الناس كما أن الإنسان يتمنى لنفسه أن تجارته تسود وأن عمله يروج وأن رزقه يزيد ويزيد وأن بيته يتسع وأن يمتلك سيارة لنفسه يمتلك سيارة لأولاده وأن يرى أولاده في نعمة ورخاء وعيش كريم وعلم يتمنى للآخرين كذلك فإذا لم يتمنَ هذه الأمنية للآخرين خرج عن الحديث لا يُؤمِنُ أحدُكُمْ حتَّى يُحِبَّ لأخيه ما يُحِبُّ لنفسه .

في التجارة وأنا أتمنى أن آخذ السلعة بأرخص ما يكون ، أيضاً أتمنى أن البائع لا يخسر ، وأن تكون صفقتي معه لا يندم بعدها ، ولا أغشه في مساومتي معه حتى أنقص من قدر السلعة بما يضر البائع ، والبائع كذلك إذا كان يأخذ السعر الأعلى ويتمنى أن يربح عليه أن ينظر إلى المشتري ويتخيل نفسه مشتري مرة ويتمنى أن تكون السلعة بالعدالة ، هنا نحقق المعيار لا يُؤمِنُ أحدُكُمْ حتَّى يُحِبَّ لأخيه ما يُحِبُّ لنفسه .

الدكتور عمر :

دكتور سعد الآن أنت أوقعتنا في حرج كبير ، نحن بعيدون كل البعد عن معيار الحلال والحرام كما بينه الشارع الحكيم ، هذا واقع مرير ، أنت الآن كجراح يقول والله هذا عضو يجب أن ُيستأصل .

الدكتور سعد :

نحن وظيفتنا فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُسَيْطِرٍ .

الدكتور عمر :

أنا أقول هذا الكلام لكي أستنهض همم المشاهدين والمشاهدات لكي يضعوا معيار الحلال والحرام أمامهم الذي وضعه رب العباد سبحانه ، وما قصر علماؤنا في توضيحه . الدكتور عري الكشاط واقعنا الاجتماعي وأنت تعيش بين أخواننا في الإنسانية في الغرب وترى واقع المسلمين وفي فرنسا حيث تعيش أو في غيرها ، لماذا لا تأثير لنا عند الآخر ؟ لماذا احترم الآخر أجدادنا وعندما ذهب إليهم أحفادهم استقلوا بهم واستقلوا بما يحملون من بقايا الرسالة ؟ هل لأن منظومة القيم غير واضحة ، أم هي عير مطبقة ، ونحن بعيدين كل البعد عن حقيقة المفاهيم ؟

القرآن الكريم منظومة قيمية تربط الإنسان بربه :

الدكتور عربي :

نحن تعلمنا منكم ومن غيركم ومن أساتذتنا أن الحياة متقابلة إذا كان جسم هنا وجسم هنا نحن لا نؤمن بقضية الصراع ، نؤمن بقضية التدافع وهذا تعبير جميل ويعبر عن قيمنا ، إما أن أتأثر وإما أن أؤثر ، ولكي أنتقل إلى درجة التأثير يجب أن تكون طاقاتي متفاعلة ، أما إذا خمدت هذه الطاقات فإنها تصبح طاقة ميتة ، هذا الماء نعمة من نعم الله إذا جرى وتحرك أروى وسقى ، إذا تجمد ، وجعلنا من الماء كل شيء حي يصبح عاملاً من عوامل الموت ، فيزيائياً نعرفه لكن معنوياً أخطر ؛ أي أن الموت الأبدي هو الموت المعنوي ، مثلاً لو درسنا أستاذ بالفيزياء هذا الفضاء مملوء بالأمواج ، هذه الأمور تكتشف من خلال التجربة إذا كان عندي جهاز راديو وفتحته فإن العديد من الإذاعات ألتقطها هذا يدلني إلى أن أجسد منظومة القيم الإسلامية في القرآن الكريم ، القرآن الكريم يساوي منظومة قيمية تربط الإنسان بربه ، وتربط الإنسان بالكون كله إنساناً وغير إنسان .

على المسلمين أن ينشروا الثقافة الإسلامية لأن هذا واجب من واجبات دينهم :

المسلمون الأولون كيف فجروا كوامن طاقاتهم ؟ فجروها بأمرين بالتخلق بخلق القبول ، قبول ما يأتي من عند الله عز وجل ، وبالتخلق الإقبال على خلق الله ، قبل وأقبل فقبل الآخر ، قبلت أقبلت قبل الآخر، هذه علاقة ، ويقول احد أسلافنا كنا نستعين على حفظ أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم بالعمل بها ، الآن يعني انفسخت وانمحت الحدود بين الشرق والغرب والذين يطبلون لفكرة الصراع بين الشرق والغرب كذبة ، ولا نحكم على الغرب بتصريحات بعض الساسة ، لا الغرب مجتمع ناس بشر يريدون أن يعيشوا مطمئنين سالمين مسالمين وهذه الثقافة يجب أن ننشرها وهذا من واجبات ديننا .

إذاً الغرب في الشرق والشرق في الغرب وهذه فرصة ، فرصة قد يحسن الغرب استثمارها فيستفيد ويفيد وقد يسيء استثمارها فيضر ويلحق الضرر .

الدكتور عمر :

أنت دائماً تحدثنا عن ثقافة الرجل الأبيض وأنه يريد أن يمليها على الغير سواء بالعولمة أو بغير ذلك ، وثقافة الرجل الأبيض وأنا سمعتك مرة في أحد المؤتمرات تتحدث عن حتى قلت أنا ليست المركزية وإنما هي المركزانية ، حتى أنت بحثت عن الكلمة وقلت أنا لا أريد أن أترجمها بالمركزية وإنما هي المركزانية ، هل مركز لا أقول الصراع الفكر الغربي ونحن نريد أن نعطيه منظومتنا .

واجب المسلم اليوم أن يُبلّغ الغرب منظومة قيمه ليهديهم إلى الإسلام :

الدكتور عربي :

الرجل الغربي يعاني من عقدة هذه المركزانية التي تفضلتم بها ، يعني كما يقول المثل الفرنسي الرجل الذي شَكلته الحضارة هذه يظن نفسه هو صرة العالم ، والذي يستمر على هذا الوضع هو لم يفقد القدرة على أن يرفع رأسه ليرى الآخرين فلا يرى إلا نفسه وبمرور الأيام الرأس يصبح تحت ، فهذا الواقع ، ناكثون والآن وضعنا نحن مثل الذي يريد أن يتعلم السباحة وهو جالس نظري ، نحن الآن حينما نتحدث عن منظومة قيمنا ، لو نبلغها للغرب حقيقة ينبهرون يقول كيف عندكم هذا الشيء وأنتم في هذا المستوى ؟ إما أنتم صادقون وإما أنتم غير جادين ، والغرب اليوم الذي عجن قيمه من طين الأرض من فلسفته من فكره غارق ، ماذا نقول له ؟ نقول له مثلنا العربي يداك أوكتا وفوك نفخ ، ونقول لبعضنا كباسط كفيه إلى الماء ليبلغ فاه وما هو ببالغه .

واحد ذي رونا الذي تجادل مع الإمام محمد عبدو ورد عنه جمال الدين الأفغاني يقول من آخر ما قال : ما دخلت مرة مسجداً من المساجد إلا وتمنيت لو أنني كنت مسلماً . هذا الرجل رغم عداوته الشديدة وأباطيله الذي بثها حول الإسلام تمنى الإيمان .

كما يقول احد أخواننا الذين هداهم الله للإسلام هو فيلسوف كبير قال : المسجد حجارته تشاركني الصلاة.

لغة الإحسان لغة مشتركة بين الناس جميعاً تشد الآخرين إلى الإسلام :

فقدنا الحس الجمالي ، الآن الغرب ما هي اللغة التي نتحدث بها ؟ ليست اللغات المعروفة ، لغة مشتركة بين الناس جميعاً لغة الإحسان ، لماذا قال صاحب يوسف ليوسف إنا نراك من المحسنين ؟ رؤية عملية

ما قال إنا سمعناك تخطب إنك محسن ، ما قال إنا سمعناك ألفت آلاف الكتب إنك محسن ، يوسف أحسن إلى هذا السجين الذي لم يكن يشاركه عقيدته ، الغرب أيضاً من ثقافته لا أقول النفعية ، النفعانوية ، ما نفعته يؤمن في جهة من الجهات أخواننا اشتروا مكاناً وأرادوا تحويله إلى مسجد فاحتج أهل الحجج ومعهم حق وأنا نصحتهم بأن لا يعملوا ذلك يذهبوا أرض الله واسعة ، وكانت سيدة هي التي تولت أكبر معارضة هناك ، في يوم من الأيام أحد أخواننا لقيها في الطريق فكانت حزينة فرنسية وكان صاحب لحية ، قالت هذا صاحب لحية مخيفة شعثاء غبراء ، قال لها صباح الخير يا فلانة مالك حزينة ؟ قالت كلبي مريض ، قال لها بسيطة أنا بيطري ، فعالجه وكتب الله له الشفاء ، فراحت تقول يا ناس تعالوا اتركوهم يبنون المسجد ، هذا الرجل ليس مسلماً ولكنه بيطري والدليل أنه عالج كلبي فشفاه .

من أحسن إلى الآخرين كسب ودّهم :

إذاً ، إذا شعر الناس بأننا نحسن إليهم ، أولاً نحسن إليهم لوجه الله نحبهم ، وباختصار القرآن الكريم يفتتح بالبسملة تليها صفتا الرحمة وينتهي بالناس آخر سورة بالقرآن الكريم عنوانها الناس وتردد كلمات الناس كثيراً ، ما معنى ذلك ؟ القرآن مسلك طريق نسلكه ودليل القبول ، قبول الله عز وجل لما نأتيه من أعمال وما ننجزه من صالحات يتمثل في إعادة ، تعجبني هذه العبارة للشيخ أبو الحسن الندوي رحمه الله قال : إن الإنسان فقد إنسانيته. المسلم فقد فعاليته الاجتماعية والغربي فقد إنسانيته ، لكي يساعد المسلم الغرب في استعادة إنسانيته علينا أن نستعيد البعد الغائب بعد الفعالية ، قيم الإسلامية لا أحد يناقش بصحتها و بصوابها لكن المشكلة الآن فكرة خاطئة إذا وجدت رجالاً فعالين تتغلب على الفكرة الصائبة ، الفكرة الصائبة إذا لم تتجسد في سلوكيات مؤثرة مُنَورة لا تصنع شيئاً وهذا حالنا .

الإسلام بضاعة ثمينةيُروج لها مروج فاشل :

الدكتور عمر :

بارك الله بك دكتور عربي ، ذكرتني بما قاله شيخنا الغزالي وأنا أعلم كم كنت تحبه وكم كنت قريباً منه رحمه الله يقول : الإسلام بضاعة ثمينة يُروج لها مروج فاشل ، والغرب عندهم بضاعة مزجاة ولكن يروج لها تاجر شاطر أو مندوب مبيعات .

الدكتور عربي :

مرة كنا في ذكر الشيخ الغزالي رحمه الله في باريس فذهبت إليه في الفندق كي نتمشى في الصباح فرأينا صورة لم تعجبني .....

الذي ينقذ الناس من هذا التناقض ومن هذا التطرف ذات اليمين وذات الشمال أين الوسطية التي تتمثل في أناس يجمعون بين عاطفة القلب وتألق الفكر ، بين صوابية النظرة وفعالية العمل .

الدكتور عمر :

بارك الله بك دكتور عربي مع هذه الكلمات الجميلة وذكر شيخنا الغزالي ، نلتقط أنفاسنا ونحن نشحن الهمم خلف الدكتور عربي وهو يحدثنا عن فعالية منظومة القيم عند المسلمين وعند الغير ، ونواصل بعد الفاصل هذا الحديث الذي أود ألا ينتهي .

مرحباً بكم أحبتي ونحن بين هذه الكوكبة ننتقي معهم أطايب الكلام وأطايب الفكر وكل واحد منهم عبارة عن هرم معرفي جزاهم الله عنا خيراً ، ونفع بهم الله أمة محمد صلى الله عليه وسلم ، دكتور راتب ونحن نتحدث عن منظومة القيم لا بد من أن نتحدث عن مصدر القيم .

القيم الأخلاقية الأصيلة التي لا تتأثر ولا تتبدل هي قيم مستمدة من الله عز وجل :

الدكتور راتب :

بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد .

دكتور عمر جزاك الله خيراً على هذه الندوة الثانية ، بادئ ذي بدء قد نجد إنساناً غير ملتزم بالعبادات إطلاقاً لكنه يلفت نظرنا بصدقه وأمانته ودقته في المعاملة نقع في حيرة وقد نقع في اضطراب ، إن كان الدين هو الذي يدفع الإنسان إلى القيم هذا كيف تمسك بهذه القيم ؟ هذه النقطة دقيقة جداً ومن السهل توضيح ملابساتها ، الإنسان بذكائه يهتدي إذا كان صادقاً عاش بين الناس عالي النفس ، إذا أتقن عمله ربح ربحاً كثيراً ، أحياناً انطلاقاً من مصالحه المادية الأرضية في الدنيا يصدق ويتقن عمله ويأتي بالشيء على وضعه الصحيح ، لكن المفاجأة التي نفاجأ بها أن هذا الإنسان الذي شدهنا بأخلاقه ودقته وصدقه وأمانته وإتقان عمله إذا هُددت مصالحه ينقلب إلى وحش كاسر ، وهذا ما عايناه من الغرب كان حضارة فأصبح قوة غاشمة ، أنا أرى أن القيم الأخلاقية الأصيلة التي لا تتأثر ولا تتبدل لا بإقبال الدنيا ولا بإدبارها ، لا بالصحة ولا بالمرض ، لا بالفقر ولا بالغنى ، هي قيم مستمدة من الله عز وجل كيف؟

مكارم الأخلاق مخزونة عند الله تعالى :

ورد في بعض الآثار ، مكارم الأخلاق مخزونة عند الله تعالى ، فإذا أحب الله عبداً منحه خلقاً حسناً ، لكن الآية الكريمة أقوى في التعبير عن هذه الفكرة ، قال تعالى :

(إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ (45))

(سورة العنكبوت)

قال بعض العلماء ذكر الله أكبر ما فيها ، لكن عالماً آخر قال معنىً آخر قال : ذكر الله لعبده في الصلاة أكبر من ذكر العبد لربه ، العبد إذا ذكر ربه أدى واجب العبودية ، أما إذا ذكر الله عبده منحه الحلم ، منحه الحكمة ، منحه الصبر ، منحه الإنصاف ، لذلك حينما قال الله عز وجل :

(وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا (180))

(سورة الأعراف)

أنت حينما تتعرف إلى أسماء الله الحسنى وصفاته الفضلى تتقرب إليه بخلق مستمد من كماله .

الخُلق الحسن دليل محبة الله عز وجل للعبد :

إذاً أنا لا أرى أن للأخلاق مصدراً أرضياً ، المصدر الأرضي يستمر مادامت المصالح متوافرة فإذا هددت يصبح الإنسان وحشاً كاسراً وهذا يتبدى أحياناً في علاقة الإنسان بأهله ، خارج البيت ناعم لطيف يبتسم أنيق ينحني نصفين فإذا دخل إلى البيت فهو كالوحش ، النبي عليه الصلاة والسلام قال :

((خَيرُكُمْ خَيْرُكُمْ لِأَهْلِهِ ، وَأَنَا خَيْرُكُمْ لِأَهْلِي))

[ابن ماجه عن ابن عباس]

في البيت ما في رقابة ولا في سلطة أنت السيد ، فلذلك أنا أبحث عن خلق أصيل ، أبحث عن خلق ثابت، أبحث عن قيم لا تتأثر ولا تتبدل بالظروف ، شيء ثابت جداً أن الله عز وجل يمنح الأمن ، الإنسان إذا شعر بالأمن من الله عز وجل اطمأن ، هناك من يوهم صاحبه أنه من المال ، المال يعطي بعض الأمن ، القوة تعطي بعض الأمن ، أما إذا :

((من أصبح منكم آمنا في سربه))

[أخرجه البخاري ، والترمذي وابن ماجة عن عبد الله بن محصن]

الإنسان حينما يتصل بالله يذوق طعم القرب :

أمن الإيمان إذا كنت مع الله كان الله معك ، ويا رب ماذا فقد من وجدك ؟ وماذا وجد من فقدك ؟ وإذا كان الله معك فمن عليك ؟ وإذا كان عليك من معك ؟

فلو شاهدت عيناك من حسننا الذي رأوه لما وليت عنا لـــــغيرنا

ولو سمعت أذناك حسن خطابنا خـلعت عنك ثياب الـــعجب وجئتنا

ولو ذقت من طعم المحبة ذرة عذرت الـــذي أضحى قتيلاً بحبنا

ولـــو نسمت من قربنا لك نسمة لـــمت غريباً واشتياقاً لقربنا

***

الإنسان حينما يتصل بالله يذوق طعم القرب ، يتجلى الله على قلبه ، يلقي في قلبه الحلم ، يلقي في قلبه الإنصاف ، يلقي في قلبه الرحمة ، أنا أرى أن الرحمة من الله ، والحلم من الله ، والإنصاف من الله ، فحينما بحثنا عن مصدر أرضي للقيم هذا المصدر أعطانا إياها لحين ، مادامت مصالحنا محققة فإذا هددت انكشف الإنسان على حقيقته .

(مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّى يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنْ الطَّيِّبِ (179))

(سورة آل عمران)

الاتصال بالله هو سبب الرحمة والإنصاف والتواضع :

إذاً الله يلقي الحلم ، الرحمة ، يعطيك السكينة ، السكينة دكتور عمر يسعد بها الإنسان ولو فقد كل شيء ويشقى بفقدها ولو ملك كل شيء ، إن الله يعطي الصحة ، والذكاء ، والمال ، والجمال للكثيرين من خلقه ، لكنه يعطي السكينة بقدر لأصفيائه المؤمنين .

أنا أرى أن الله عز وجل حينما يصلي الإنسان صلاة صحيحة ، صلاة كما أرادها الله عز وجل لا يعقل ولا يقبل أن تؤدى الصلاة أداءً شكلياً ، سقط الوجوب كما تفضل الأستاذ الجليل وإن لم يحصل المطلوب، إذا اتصل بالله صلاة صحيحة أساسها الاستقامة على أمره ما في حجاب إطلاقاً .

سمع شاب من شيخه أن لكل معصية عقاباً ، يبدو أن قدمه زلت ، فارتكب معصية صغيرة وبحسب كلام شيخه هو ينتظر العقاب من الله ، مضى أسبوع ، صحته ، بيته ، في أثناء المناجاة قال : يا رب ، لقد عصيتك ولم تعاقبني ، قال : وقع في قلب هذا الشاب : أن يا عبدي قد عاقبتك ، ولم تدر ، ألم أحرمك لذة مناجاتي ؟

فهذا الاتصال بالله هو سبب الرحمة والإنصاف والتواضع ، فإذا كان الأصل من عند الله فشيء ثابت لا يتبدل .

الدكتور عمر :

بارك الله فيك وشكر الله لك ، ألا تلاحظون معي نسمات الشام تهب علينا في هذه الرقة والعذوبة سبحان الله كأننا اقتربنا من غوطة دمشق ، بارك الله بك .

الدكتور راتب :

هذا من حسن ظنكم .

الدكتور عمر :

دكتور سعد أظن الدكتور راتب وضعنا على الطريق في هذه القضية ، أيضاً تكملةً لمصدر القيم نواصل هذا الفتح الرباني .

الدكتور سعد :

هو فتح روحاني ، وأنا أتحدث من جانب مادي .

الدكتور عمر :

لا ليس مادياً ، لا لا .

الدكتور سعد :

الفقهاء دائماً يتحدثون بماديات ويتحدثون عن الأركان والشروط .

الدكتور عمر :

لا هم أهل الواقع الذي يصحح لنا ، ما يصح هذا إلا بهذا .

الدكتور راتب :

الهيكل العظمي لكل شيء .

مصدر القيم:

1 ـ المصدر يجب أن يكون أولاً لله :

الدكتور سعد :

بداية نقول المصدر يجب أن يكون لله لقوله تعالى :

(إِنْ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ (40))

(سورة يوسف)

وهذه الحاكمية من منطلق أن ما دون الله مخلوق ونحن عبيد لله ، فإذا كنا عبيداً فلا بد من الاعتراف وترجمة تلك العبودية بجعل الحاكمية لله ، ولهذه الحاكمية قمة في الرحمة والاتساع وتمكين العقل من العمل لا كما يظن البعض أن الحاكمية لله أنه نزل في كتاب الله وسنة رسوله ، بل بيان دقيق وشامل لجميع الأحكام حلال وحرام نص نقوم بتنفيذه أبداً ، إنما هذه الحاكمية فيها سعة كبيرة ومتعة عقلية للإنسان لا توجد في أي نظام آخر .

2 ـ سنة الرسول الكريم :

يرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم معاذاً إلى اليمن فأراد أن يختبره وهذا اختبار الوالي والحاكم لمن يعينه ويطمئن على سلامة قيادته ، يقول بما تحكم يا معاذ ؟ قال أحكم بكتاب الله ، قال فإن لم تجد ؛ ورسول الله يعلم أن في كتاب الله كل شيء ما فرطنا في الكتاب من شيء ، ولكن فإن لم تجد أنت بعقلك، أنت بحكمك ، لم تجده لم يتسع فكرك لاستيعاب النص حتى تسقط الآية القرآنية على الواقع ، فقال أحكم بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم .

3 ـ الاجتهاد :

......قال فإن لم تجد وهو يعلم أيضاً بأن حديث النبي عليه الصلاة والسلام أوتي جوامع الكلم ، يشمل كل شيء فقال أجتهد برأيي ، ففرح رسول الله صلى الله عليه وسلم وضرب على صدره ، وقال الحمد لله الذي وفق رسول الله لما يحبّ الله ورسوله .

على المسلم أن يلتزم في الترتيب الإيماني العقدي العقل و الفكر النير :

في هذا الحديث الشريف بيان للتدرج ، لا للتدرج المادي وإنما للتدرج الاعتقادي أن الحكم يجب أن يكون خالصاً لله ، ورسول الله عبد من عباد الله :

(سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ)

(سورة الإسراء الآية : 1)

فهو أيضاً يطيع الله عز وجل في كتابه إلا أن الله أوحى إلى رسوله بالبيان :

(وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ (44))

(سورة النحل)

وقضى الله عز وجل أن يقول كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم صادقاً :

(وَمَا يَنْطِقُ عَنْ الْهَوَى(3)إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى(4))

(سورة النجم)

فكان كلامه في حكم وهو وحي من الله عز وجل في حكم الوحي المنصوص إن كان وحياً بالمعنى ولفظه من عند النبي عليه الصلاة والسلام إلا أنه في حكم الوحي المنصوص ، فعلى المسلم أن يلتزم في هذا الترتيب الإيماني العقدي وهو يعلم أن كتاب الله عز وجل وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم يحتاجان إلى عقل وإلى فكر نير ، يقرأ هذا العقل وهذا الفكر ما ورد في كتاب الله ويطبقه بنية خالصة

وباستفتاء قلب صادق وليس بمكر ولا خبث ، أخوف ما أخاف على أمتي رجل طليق اللسان يجادل أمتي بالقرآن يأخذ من كتاب الله ليهدم كتاب الله ، يأخذ من سنة رسول الله ليهدم سنة رسول الله ، هذا الإنسان الشرير ليس لنا حلاً أمامه إلا الترك :

(خُذْ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنْ الْجَاهِلِينَ(199))

(سورة الأعراف)

ضوابط الكتاب والسنة ضوابط عامة بين كل البشر :

لكن حديثنا هنا عن عامة المسلمين نقول : يجب أن يكون الحكم لله في كتابه ثم في سنة رسوله وإذا لم نجد في نص الكتاب أو في السنة استعملنا العقل ، والعقل لا يخرج عن الكتاب والسنة ولا يجوز للعقل أن يشرد ، بل من خلال ضوابط الكتاب والسنة ، وضوابط الكتاب والسنة ضوابط عامة قاسم مشترك بين كل البشر المسلم وغير المسلم :

(إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى (90))

(سورة النحل)

أي إنسان يطلب الظلم إلا أن يكون مجنوناً أو ظالماً وأي إنسان يدعو إلى الشح والبخل إلا أن يكون هو كذلك ، إذاً المعايير الفقهية التي يأخذها المسلم من الكتاب والسنة أيضاً بمعايير فيها وسط أو في قاسم مشترك بين البشر جميعاً تحقق عولمة الإسلام ، فالإسلام صالح للتطبيق .

الدكتور عمر :

عولمة الإسلام أو عالمية الإسلام ؟

عالمية الإسلام :

الدكتور سعد :

عالميته أو عولمته معنىً جميل وليس بالمعنى الاصطلاحي ، لكن أقصد بالعولمة عالميته وهيمنته وقدرته على معالجة كل قضايا البشر في كل الأزمنة وفي كل الأمكنة ، هذه عولمة أو هذه عالميته دون الوقوف على المصطلح وبيان المصطلح الأكاديمي ، نقول : إن المصدر يجب أن يكون من شرع الله لأن المسلم عبد لله ، والعبودية هذه تستلزم الطاعة ، وفي منطق الفكر البشري منطق متسع جداً فيأخذ المسلم من كتاب الله عز وجل ومن سنة رسوله ما يعالج قضايا عصره المستجدة التي لم يجد لها نص واضح وصريح ، مثلاً حكم السجائر حكم الدخان لم يرد في كتاب أو سنة بهذا اللفظ لكن في كتاب الله عز وجل ما ينهى المسلم عن أن يقتل نفسه :

(وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا(29))

(سورة النساء)

والأطباء يقولون إن هذه السيجارة إنها السم القتل البطيء فكيف يقدم عليها ؟ وفي قول النبي عليه الصلاة والسلام : لا ضرر ولا ضرار .

وهكذا يستطيع أن يسقط الحكم في كل ما هو جديد بفكره وعقله ومنطقيته الوسطية التي يأخذ من الكتاب والسنة القاعدة التي يعالج بها قضايا عصره .

الدكتور عمر :

دون هوى ودون نفس أمارة بالسوء . دكتور عربي بهذه المنظومة العجيبة ، الغرب وهو يركز على علوم محددة لأنك أخبرتنا أن منظومة قيمه أرضية الجذور ، هل سوف يغير الغرب فكرته أي يغير الآخر فكرته عن أصول هذا العلم استنبطه هو وقعده كقواعد ثم أطلقه بيننا فصرنا نحن كالببغاوات التي تردد ، أم يطور فيه أم أنه يضيف إليه أم يريد أن يلغيه ؟

الغرب منظومة قيمه أرضية الجذور :

الدكتور عربي :

يقول أساطير الفكر في أوربا وفي أمريكا بأن الخزان الفكري لهذه الثقافة نفذ ، هذا ما انتهى إليه كل المفكرين ، المنبع ، الأنتروبولوجيا التي أترجمها في كلمة بأن ترجمات تقول علم الإنسان ، الإناسة ، علم الإنسان ، لكن أنا أحدد كلمة الإناسة لأنها خفيفة وهي علم الإنسان كما تفضلتم ، يعني يمثلها قوله تعالى :

(فَانْسَلَخَ مِنْهَا (175))

(سورة الأعراف)

انسلخ الإنسان من بعده السماوي ، ماذا كانت النتيجة ؟ يقول أحد المفكرين الفرنسيين الذي درس هذا الموضوع يقول : الغرب بعدما انفصل عن الدين عاش تجربة السكر والهيام ، قال الآن طارت السكرة. وكتب كتاب عنوانه رهيب هو استوحاه من مفكر بروتستانتي قديم ، قال انتهت السكرة والصحوة الآن ، لما صحا الغرب يقول أحد المفكرين الفرنسيين الذي رحل عنا منذ شهور وأنا قلت : أنا آخر ربما منظر كبير في الفكر يقول ماذا ؟ قال : نحن تركنا البعد الغيبي وغرقنا في واقع فعبدناه والآن الواقع الذي صنعناه انتهى ، المشكلة الآن عند الآخر مشكلة المصدر ومشكلة المتلقي ، لأن المصدر وقت الرخاء استفاد الناس منه متعة وانضباط حياة ، لما الآن جاءت المشاكل الاقتصادية والبؤس ، وصرنا وراء طوابير الفقراء في الغرب والذين يموتون برداً في الشتاء ، الآن هذه القساوة المادية نبهت الإنسان ، و

جزى الله الشدائد كل خير ، عندنا المشكلة ليست مشكلة مصدر مشكلة متلقي ، الإسلام عظيم لو كان له رجال .

احترام الإنسان و ربطه بالله عز وجل يؤدي إلى انتشار الإسلام :

المطلوب منا الآن قال أحد المستشرقين وقد رحل منذ سنوات بعد دراسته الموضوعية لكتاب الله عز وجل ؛ وكان يتذوق إلى حدٍّ ما اللغة العربية هذه الملاحظة التي ذكرتها لكم أنا استوحيتها منه ، كون القرآن مفتتح بالبسملة ومختتم بالناس قال هذا يساعدنا على أن نضع أسساً جديدة لما نسميه عندنا في الغرب بالأنتروبولوجيا يعني الوجدان ، يعني القيم الروحية ، القيم الخلقية التي تملأ هذه الفراغات التي فرغها الغرب ، مثلاً الغرب قدّم خبرات جليلة ويجب أن نشكره ، الحضارة الغربية مثلاً يقول لك الطائرة تطير في الساعة الثانية ، طائرات بعض البلدان في العالم المتخلف قد تطير الساعة اثنين ونصف ، الثالثة ، الرابعة ، مثل بعضه ما في حتى اعتذار ، في أوربا يقع تأخر دقيقتان يعتذرون ، أنا مرة منذ أسبوعين تأخرت الطائرة خمس عشرة دقيقة ممكن ، قبل أن ننزل نادونا قبل مغادر المحطة خذوا استمارات و املؤوها لتعويضكم عن هذا التأخير ، هذا ماذا يعني ؟ ارتباط بالقيمة المادية واحترام الإنسان ، نحن نريد أن نضيف إلى هذا ربط الإنسان بالله عز وجل ، وأختم الله عز وجل ذكر في القرآن الكريم وهذه حقيقة :

(إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنثَى (13))

الخلق لله لا أحد يستطيع أن يشارك .

على المسلمين أن يحصنوا حصونهم من الداخل بالتعاون على البر والتقوى :

المسألة الثانية الجعل :

(وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا (13))

(سورة الحجرات)

الخلق لا دخل للإنسان فيه ، هنا الجعل قد يكلفه الإنسان ، إن سلباً وإن إيجاباً ، اليوم البشرية إذا رفضت أن تجعل من التعددية سلماً للتعارف فإنها ستلقى جزاءها ، لكن ينبغي أن نحصن حصوننا من الداخل كيف ؟ بالتعاون على البر والتقوى :

(وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى)

(سورة المائدة :2)

مفاهيم التعاون على البر والتقوى يجعلنا ننطلق نحو الآخر متعارفين من خلال ما نقدمه له ، وعلى مستوى التبادل المتساوي .

الدكتور عمر :

لكن هل الغرب بعد أن تحول من ألسنة الإله إلى ألسنة الإنسان هل هذا الغرب فقد هويته كبشر ؟

أخلاقنا الإسلامية هي العطر الذي يدل الناس على وجود الإسلام :

الدكتور عربي :

تماماً ، هذا لست أنا الذي أقوله ، يعني الآن في ثورة بدأت بصفة خاصة منذ منتصف القرن الماضي ، ثورة حتى في التحاليل النفسية ، هذا لماذا ؟ الغرب فقد هويته لماذا فقد هويته ؟ لأنه قطع الصلة بين البعدين السماوي والأرضي ، والآن من الذي يستطيع ربط البعدين من جديد ؟ المسلمون الحقيقيون ، تكلم أساتذتي في مختلف النقاط لا ينبغي أن نسجنها في المسجد ولا في البيت ، هل يستطيع أي إنسان أن يقول لي إن عطر الزهرة محصور في هذه الورقة ، عطر الزهرة هو الزهرة وما رأيت في حياتي زهرة ألقت خطاباً تمجد فيه بعطرها ، إنما عطرها هو الذي يدل على وجودها ، فأخلاقنا الإسلامية هي العطر الذي يدل الناس على وجود الإسلام ، ولا يكتشف الناس الإسلام إلا من خلال وجود إسلامي اجتماعي يتمثل في الرحمة والحب .

قيل للإمام الحسن البصري رضي الله يا إمام الله يقول إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ونحن نصلي وما انتهينا ، قال له : اسمع صدق الله وكذبت صلاتك .

اليوم الذي نقول فيه بلسان الحال وبلسان المقال صدق الله وصدقت صلاتنا عند ذلك نؤثر إيجاباً ولا نتأثر سلباً بل نختار الجوانب التي نتأثر فيها والناس يتكافؤون في الخير ، ونهاية الكلام الحضارة الحديثة لا تعرف إلا منطق القوة والمسلمون ينبغي أن يضعوا مكان منطق القوة قوة المنطق .

والحمد لله رب العالمين

بسم الله الرحمن الرحيم

إيذاء الرسول الكريم ليس من الآخر فقط ولكن الإيذاء منا أيضاً :

الدكتور عمر :

في مقدمة كلامي أقول أليس من بني جلدتنا من يؤذي رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ أليس الظالم منا مؤذياً لحبيبنا محمد صلى الله عليه وسلم ؟ أليس الذي أخذ ميراث أبيه وحجب أخواته البنات أو ظلم زوجته أو ظلم يتيماً وهو وصي له ، أو حارب دين الله عز وجل أو خرجت امرأة مسلمة من أب مسلم وأم مسلمة متبرجة إلى الطريق العام تفضح بزينتها ما ستر الله عز وجل ؟ أليس هؤلاء من المؤذين للنبي الكريم صلى الله عليه وسلم ؟

أليس التاجر المحتكر لسلعته قد آذى الحبيب المصطفى عليه الصلاة والسلام ، أليس المعلم الذي لا يراعي أبناءنا وبناتنا في تعليمه وتدريسه ويلجئهم إلى ابتزاز أموال الآباء والأمهات في الدروس الخصوصية وكذلك الطبيب الجشع الذي لا يتقي الله رب العالمين ولا يخلص في مهنته أو الحرفي في أي حرفة من الحرف لا يخلص فيها أليس هؤلاء كلهم من الذين آذوا النبي عليه الصلاة والسلام ؟

يعني ليس الإيذاء من الآخر فقط ولكن الإيذاء منا ، فلما آذى كثير منا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، تجرأ الآخرون على النيل أو إرادة الإيذاء والسخرية وحاشاه رسول الله صلى الله عليه وسلم من هؤلاء ومن هؤلاء ، يعني نريد في هذه الحلقة ونحن نتحدث عن سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نبسط الحديث عن هذه القضية .

تقصير المسلم في معرفة رسول الله صلى الله عليه و سلم و تعريف الناس به :

الدكتور راتب :

بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آل بيته الطيبين الطاهرين وعلى صحابته الغر الميامين ، دكتور عمر جزاك الله خيراً على هذا اللقاء الطيب .

أريد أن أعقب على مقدمتكم القيمة ، بلغني أنه عوتب هذا الذي تطاول على نبينا الكريم وبين له بعضهم فضائل هذا النبي وكمالاته فقال كلمة رائعة قال : ظننته كأتباعه . إذاً الخطأ منا أولاً ، فنحن

بادئ ذي بدء هل عرفناه معرفة صحيحة وهل اتبعناه ؟ وهل عرَّفنا الناس به ؟ هناك تقصير في معرفتنا له وفي تعريف الناس به ، لذلك الله عز وجل يقول :

(وَكُـلاًّ نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ)

(سورة هود الآية : 120)

إذا كان قلب سيد الخلق وحبيب الحق يزداد يقيناً بسماع قصة نبي دونه فلأن يمتلئ قلبنا إيماناً وتألقاً بمعرفة سيرة سيد الأنبياء ، نحن مقصرون في معرفة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ألم يقل الله عز وجل :

(أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا رَسُولَهُمْ (69))

(سورة المؤمنون)

لأن معرفة رسول الله صلى الله عليه وسلم شطر الدين كلمة الإسلام الأولى لا إله إلا الله محمد رسول الله .

على الجاليات الإسلامية في الغرب تطبيق منهج الله بحذافيره :

نحن حينما نتعرف على رسول الله إلى أخلاقه إلى منهجه إلى كمالاته إلى مواقفه إلى سيرته القولية إلى سيرته العملية قطعنا جانباً كبيراً من أسباب تعريف الناس برسول الله ، نحن عندنا تقصير بادئ ذي بدء والبطولة أن نعترف بخطئنا أولاً ثم بعد ذلك نعتب على غيرنا ، أما أن نكون كما تفضلتم في درجات لا تحتمل من إيذاء النبي بسلوكنا ، العالم الغربي يرانا لسنا في مستوى هذه الدعوة العظيمة ، لو أننا في مستوى هذه الدعوة وأنا أقسم بالله ولا أبالغ لو أن الجاليات الإسلامية في الغرب طبقوا منهج الله تماماً لكان موقف الغرب من الإسلام غير هذا الموقف ، بل لو أننا فهمنا الإسلام ، بل لو أن الصحابة الكرام فهموا الإسلام كما فهمناه ، كما تصورناه نحن والله ما خرج من مكة المكرمة ، هذا الإسلام العظيم خرج بمبادئ وقيم ، ممارسات صحيحة .

الدكتور عمر :

دكتور راتب معذرة هؤلاء أبناؤنا الذين يعيشون في الغرب هم إفرازات لنا مع الأسف الشديد ، إن العصا من العصية وهل تلد الحية إلا الحية ؟ هؤلاء إفرازاتنا هؤلاء أبناؤنا الذين لم نحسن تربيتهم ، لم نحسن تعليمهم ، فلما ذهبوا إلى هناك ذهبوا بصورتنا القبيحة ، فأساؤوا وأساؤوا إلى دينهم .

على أبنائنا في الغرب أن يُعرفوا الناس بالنبي الكريم و يبعدوا الخصومات عنهم :

الدكتور راتب :

الذي يؤلمني أنني سافرت إلى بلاد كثيرة وجدت الأمراض المستشرية في بلادنا قد نقلت إلى الجاليات هناك ، الخصومات ، والغرق في الجزئيات ، والمماحكات ، وتبادل التهم .

على كل نحن ينبغي أن نعرف رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعرفته جزء من ديننا ، بل من لوازم إيماننا ، هناك رأي آخر فضلاً عن أنه ينبغي أن نعرفه ينبغي أن نعرف به والدليل :

(قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُمْ بِوَاحِدَةٍ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنَى وَفُرَادَى ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِكُمْ مِنْ جِنَّةٍ (46))

(سورة سبأ)

هذا الإنسان الأول الذي هو سيد الخلق وحبيب الحق هذا الإنسان الذي ختم الله به النبوات والرسالات ، هذا الذي بلغ سدرة المنتهى هذا الذي أقسم الله بعمره حينما قال :

(لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ)

(سورة الحجر)

هذا الذي ما خاطبه الله باسمه أبداً ، يا أيها النبي ، يا أيها الرسول ، هذا الذي وصل إلى درجات العلا، هذا الذي وصل إلى سدرة المنتهى ينبغي أن نعرفه ، ينبغي أن نطبق منهجه .

أنا والله لا أعترض على من يمدحه ولكن أعترض على من لا يتبعه ، لا يكفي أن نمدحه ينبغي أن نضيف إلى مدحه اتباعه .

الدكتور عمر :

يعني هذا دكتور راتب ادعاء ومحبة ، أنا عندما لا أتبعه أنا أدعي محبته ، وهناك فرق بين .

الفرق بين محبة النبي الكريم و بين اتباعه :

الدكتور راتب :

نعم نعم ، بالمناسبة دكتور عمر ما قبل الله منا محبته إلا بالدليل ، لم يقبل محبته ادعاء ولا كذباً وزوراً قال تعالى :

(قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللّهَ فَاتَّبِعُونِي)

(سورة آل عمران الآية : 31)

إذاً معرفة رسول الله صلى الله عليه وسلم في حقنا فرض عين ، وتعريف الناس برسول الله فرض عين أيضاً من أجل أن ينصف الناس نبينا وألا نفاجأ بتطاول عليه ، نحن لنا باع طويل في هذا التقصير، هذا الإنسان الذي يعيش في أوربا أو في أستراليا هل يمكن أن يفتح كتاب البخاري ؟ لا والله ،

هل يفتح كتاب القرطبي ؟ لا والله ، كيف يعرف الإسلام ؟ من هذا المسلم الذي أمامه فقط لذلك :

((أنت على ثغرة من ثغر الإسلام فلا يؤتين من قبلك))

[ورد في الأثر]

أنا أتصور أن كل مسلم يجب أن يشعر أنه سفير المسلمين في أي مكان .

الدكتور عمر :

ناهيك عن هؤلاء الذين يعيشون في الغرب ، نحن نتكلم عن بني جلدتنا الذين نعيش بين أظهرهم ، لو دخل على بيتنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وجلس كما نجلس وشاهد إعلامنا وسمع ما يقال هل يقول هذه أمتي التي قال تعالى : كنتم خير أمة . هؤلاء هم أتباع محمد صلى الله عليه وسلم ؟ المسافة شاسعة ، ولا بد من أن نفيق على حقائق الأمور ، قضية العصبية الهوجاء والعواطف الغوغاء التي لا تنصر ، هذه بصراحة لا ترجعنا إلا إلى الخلف .

على كل مؤمن أن يُقيّم عمله :

الدكتور راتب :

سيدي ورد في السنة أن النبي صلى الله عليه وسلم :

((أمَّتي أمتي ، فيقال له : لا تدري ما أحدثوا بعدك ، فيقول : سحقاً سحقا))

[متفق عليه]

يا فاطمة بنت محمد يا عباس عم رسول أنقذا نفسيكما من النار أنا لا أغني عنكما من الله شيئاً لا يأتيني الناس بأعمالهم وتأتوني بأنسابكم من يبطئ به عمله لم يسرع به نسبه .

إذاً نحن قبل أن نتهم وقبل أن نتحرك وقبل أن نثور ثورة هوجاء عمياء وقبل أن نزيد الطين بلة ينبغي أن نرجع إلى أنفسنا وأن نتهم أنفسنا وأن نقيّم أعمالنا لعل الله يجعل هذا الحدث درساً بليغاً لنا يعيننا على أن نقوّم أمورنا وأن نسلك الطريق الصحيح .

الدكتور عمر :

وقفة مع النفس هذا ما ألخص به كلام الدكتور النابلسي ، دكتور سعد يعني أنت تلحظ كما يلحظ كلنا مدى التقصير الكبير الذي نظلم به أشرف وأعظم إنسان هيأه تفوقه أن يعيش واحداً فوق الجميع ؛ فعاش بتواضعه واحداً بين الجميع ، نحن نبحث عن رجل فيه التواضع في أمة محمد في عام ألفين وثمانية ميلادي ، قد لا نجد في كل عائلة سوف يأتي زمان على أمتي يقال إن في بني فلان رجل أمين ، المسألة لا بد من عرض هذه القضية حتى نحبه حباً عملياً وحتى لا يتجرأ لا من بني جلدتنا ولا من غيرنا على مقامه الشريف صلى الله عليه وسلم .

الإساءة لرسول الله أمر مقيت :

الدكتور سعد :

صدقت ولكن في بداية حديثي أود أن أبين وأقرر ما يجتمع فيه الشرع والعقل من أن الإساءة لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولجميع أنبيائه سبحانه ولكل المصلحين بل لآحاد الناس أمر مقت ، فإذا كانت الإساءة أمراً مقيتاً يمقته العقل والشرع في حق آحاد الناس فما بالك بذوي الهيئات ؟ فما بالك بأصحاب النبوات ؟ فما بالك بسيد الخلق ؟ إذاً هذا أمر مقيت لا يعلوه مقتاً أي شيء آخر إلا الإساءة في حق الله ، فما بعد تلك الإساءة إلا الإساءة في جناب الله عز وجل ، والناس يتعاملون بحكم كونهم عبيداً لله والله عز وجل يرعاهم في الأرض في فترة حياتهم ودنياهم :

(إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً)

(سورة البقرة الآية : 30)

تصنيف الله عز وجل للبشر :

إذا كان الله عز وجل قد خلق آدم عليه السلام ثم حواء وبثّ منهما رجالاً كثيراً ونساء ، كي يعمر تلك الأرض بآدم وذريته إلى قيام الساعة ؛ بسنة كونية وإلهية في إعمار الأرض وعبادة الله عز وجل والتعرف على الخالق ؛ ثم العود الحميد بإذن الله لمن آمن في لقاء الله الموعود يوم القيامة والآخرة خير وأبقى ، فإن الله عز وجل قد صنفنا :

(هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنْكُمْ كَافِرٌ وَمِنْكُمْ مُؤْمِنٌ (2))

(سورة التغابن)

فهذا التصنيف أيضاً من سنة الله في أرضه ، هناك من كفر بالله والله يرزقه ويسكن أرضه ويأكل خيره، هو ينكر وجوده سبحان الله هو يسكن أرضه ويأكل خيره وينكر ذاته وينكر العبودية والله حليم يمهله ، وهو يريد بقاءه من أجل أن تكون هذه السنة حاكمة يوم القيامة فإذا كان الحساب في قول الله عز وجل :

(فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ * وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ)

(سورة الزلزلة)

هذه سنة الله عز وجل في خلقه ، وهذا هو الوضع الكوني لا يمكن لنا أن نجعل الكفار مؤمنين ، إنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء ، فوجودهم سنة كونية وصبرنا عليهم أمر نتعلمه من شريعتنا.

العقل و الشرع يثبتان بأن الإساءة بغير حق أمر مقيت :

لكن الذي أود أن أقوله إن غير المسلم مع المسلم في عقل ، وهذا العقل يحكمه بصفته إنسان والعقل والشرع يجتمعان في أن الإساءة بغير حق ليس لها مبرر فهذا أمر مقيت ، فإذا كان النبي صلى الله عليه وسلم قد جاء برسالة عادلة يعلن فيها في قول الله عز وجل :

(إِنَّ اللّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ)

(سورة النحل الآية : 90)

ثم يأتي آخر ويقول إنه ليس مصلحاً ، بالتأكيد إنه قد أساء في حق نفسه ، فكل عاقل ينكر عليه هذا الأمر فهو أمر مقيت ، لكن مع كون هذا أمراً مقيتاً أود أن أبين أن هذا الحسد في حق النبي صلى الله عليه وسلم ، كان موجوداً في حياته .

مقابلة النبي عليه الصلاة والسلام الإساءة بالإحسان :

عاصر النبي حثالة والتقى بهم وسجل القرآن هذا الحسد وهذا الحقد عليهم ونقرأه ونتعبد الله به إلى يوم الدين ، هذا الحسد الذي ترجم من الوليد بن المغيرة عندما أخذ المصحف ومزقه وأخذ السيف ومزق المصحف قطعاً بسيفه ثم قال له إذا جئت ربك يوم البعث فقل يا رب مزقني الوليد . ماذا صنع النبي صلى الله عليه وسلم ؟ هذه إساءة فضلاً عن إساءة الكفار بل من أقارب النبي صلى الله عليه وسلم أعمامه وبنو عمومته الذين رفضوا نصرته بل وأثاروا عليه الصبية والسفهاء فرجموه بالحجارة حينما ذهب إليهم إلى الطائف ، وعاد وقد دميت قدماه يشكو إلى الله :

((اللهم إني أشكو إليك ضعف قوتي ، وقلة حيلتي ، وهواني على الناس ، يا رب المستضعفين ، إلى من تكلني ؟ إلى صديق يتجهمني ، أم إلى عدو ملكته أمري ، إن لم يكن بك غضب علي فلا أبالي ، ولك العتبى حتى ترضى ، لكن عافيتك أوسع لي))

[الطبراني عن عبد الله بن جعفر ، وفي سنده ضعف]

((إِنْ شِئْتَ أَنْ أُطْبِقَ عَلَيْهِمْ الْأَخْشَبَيْنِ ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : بَلْ أَرْجُو أَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ مِنْ أَصْلَابِهِمْ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ وَحْدَهُ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا))

[متفق عليه عن عائشة]

فالنبي صلى الله عليه وسلم إذا كان قد يئس من هؤلاء فإنه لم ييأس من ذريتهم من بعدهم ، فهذا الذي أساء في حق النبي صلى الله عليه وسلم وغيره من المنكرين ، نحن نرجو له الخير ونرجو له أن يشرح الله صدره لمعرفة الحق حتى يهتدي وينقذ من الضلال الذي هو فيه ، فإذا لم يكن فحسبه أنه يعيش بحقده ونرجو من الله عز وجل أن يكون من ذريته من يعرف قدر النبي صلى الله عليه وسلم .

الإسلام يعطي المؤمن الثقة بنفسه و بقرآنه و برسوله :

نريد أيضاً نقول إن الإسلام أراد أن يعطينا الثقة في أنفسنا فنحن نعلم بأن القرآن محفوظ :

(إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ (9))

(سورة الحجر)

نعلم بأن النبي صلى الله عليه وسلم هو صاحب مقام رفيع :

(وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ)

(سورة الشرح)

(أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ * وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ * الَّذِي أَنقَضَ ظَهْرَكَ * وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ)

(سورة الشرح)

(لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ (128)فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ (129))

(سورة التوبة)

هكذا يعلمنا القرآن ونعلم من إسلامنا الثقة في النفس ، نحن أمة تثق في كتابها ، تثق في نبيها ، تثق في دينها ، وإذا كنّا نتحلى بهذه الثقة فبالتأكيد سنتعامل مع كل المعطيات الانفعالية بهدوء وثبات وبعقل صحيح .

الوصية التي ينقلها كل جيل كافر إلى الجيل الذي يليه :

نطمئن أن الله عز وجل يبين لنا أن كل هؤلاء سبقهم من فعل هذا :

(كَذَلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ (52)أَتَوَاصَوْا بِهِ (53))

(سورة الذاريات)

كأن كل جيل يوصي الجيل الذي يليه يسفهون الأنبياء والرسل و يتهمونهم بالسحر والكذب وفي قول الله عز وجل :

(أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَتَرَبَّصُ بِهِ رَيْبَ الْمَنُونِ (30))

(سورة الطور)

ما معنى نتربص به ريب المنون ؟ يعني يقولون إننا منتظرون موته ، نحن نريد أن نصبر عليه ، حاولنا أن نثنيه عن دعوته الإصلاحية فعجزنا نصبر عليه عمره وأجله كم يعيش عشر سنوات أربعين سنة نصبر عليه .

(قُلْ تَرَبَّصُوا فَإِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُتَرَبِّصِينَ (31))

(سورة الطور)

تأتي الأمة ويحيي الله عز وجل هذا الدين جيلاً بعد جيل إلى قيام الساعة ، وسيظل الله عز وجل يحمي تلك الأمة حتى بأفرادها القليلين سيكون منهم الأمة المصلحة المحافظة على هذه الشريعة .

من أهداف الهجمات الشرسة على المسلمين :

1 ـ إخراج ضعاف الإيمان من الإسلام إليهم :

لكن يجب أن ننتبه على أن هذه الهجمة شرسة ، التي تأتي إنما يراد بها أحد أمرين الأمر الأول يريدون الأخذ بضعاف الإيمان منا إليهم .

(وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً (89))

(سورة النساء)

هم يريدون من ضعاف الإيمان أن يخرجوا من الإسلام إليهم حتى كما يقال في الهواء سواء ، يعني يخرجون من الحق ، ولا يريدون أن يعيشوا في الباطل وحدهم وإنما يريدون أن يأخذوا أصحاب الحق معهم ، هذه واحدة .

2 ـ إحداث فتنة كبيرة :

أما الأمر الثاني إحداث فتنة هذه الفتنة يدل عليها حديث صحيح ورد في الصحيح عن عائشة رضي الله عنها :

((أَنَّ الْيَهُودَ دَخَلُوا عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالُوا السَّامُ عَلَيْكَ فَلَعَنْتُهُمْ فَقَالَ مَا لَكِ قُلْتُ أَوَلَمْ تَسْمَعْ مَا قَالُوا قَالَ فَلَمْ تَسْمَعِي مَا قُلْتُ وَعَلَيْكُمْ))

وظنت السيدة عائشة أن النبي لم يتنبه إلى هذه اللفظة القريبة من السلام أو السام فقالت وعليكم السام واللعنة فقال النبي صلى الله عليه وسلم : مهلاً يا عائشة ، هذا هو النبي صلى الله عليه وسلم يقول قَالَ فَلَمْ تَسْمَعِي مَا قُلْتُ وَعَلَيْكُمْ .

((يَا عَائِشَةُ ، إِنَّ اللَّهَ رَفِيقٌ يُحِبُّ الرِّفْقَ فِي الْأَمْرِ كُلِّهِ))

[متفق عليه]

((إِنَّ الرِّفْقَ لَا يَكُونُ فِي شَيْءٍ إِلَّا زَانَهُ ، وَلَا يُنْزَعُ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا شَانَهُ))

[مسلم]

هذا هو أدب النبوة في التعامل مع حساده وجهاً لوجه وفي درس عملي .

تعامل النبي الكريم مع الغير سواء كان من المسلمين أو غير المسلمين :

نحن نريد أن نتحلى في ضبط النفس ، نريد أن نبرز جمال النبي صلى الله عليه وسلم وجمال تعاونه مع من ؟ مع اليهود عندما كان يتعامل معهم حتى في الأمور المالية :

((وَلَقَدْ رُهِنَ لَهُ دِرْعٌ عِنْدَ يَهُودِيٍّ بِعِشْرِينَ صَاعًا مِنْ طَعَامٍ أَخَذَهُ لِأَهْلِهِ وَلَقَدْ سَمِعْتُهُ ذَاتَ يَوْمٍ يَقُولُ مَا أَمْسَى فِي آلِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَاعُ تَمْرٍ وَلَا صَاعُ حَبٍّ وَإِنَّ عِنْدَهُ يَوْمَئِذٍ لَتِسْعَ نِسْوَةٍ))

[البخاري]

فدلّ هذا على أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يتعامل مع يهود وكان بإمكانه أن يتعامل مع تجار المسلمين وما أكثرهم ، في هذا الوقت الذي زاد عدد الصحابة قبل أن يموت النبي في بعض الأخبار مئة ألف صحابي ، كان في إمكان النبي أن يتعامل مع تجار مسلمين ولكنه أراد أن يعلمنا لأن الإسلام لم يأتِ ليخاطب نفسه وإنما جاء ليخاطب الغير فلابد من التعامل مع الغير شاء الغير أم أبى ، كلما أغلقوا باباً فتحناه ، لا نريد أن نغلق باباً كما أن النبي صلى الله عليه وسلم كان له صبي من اليهود يخدمه فلما مرض ذهب النبي صلى الله عليه وسلم ليعوده وكان والد هذا اليهودي بجواره ابتسم له النبي وقال له أسلم فنظر الصبي إلى أبيه ماذا أصنع ؟ فقال له أبوه أطع أبا القاسم ، فأسلم الصبي مسلماً بفضل الله عز وجل .

هذا هو تعامل النبي صلى الله عليه وسلم مع اليهود ومع غير اليهود ، الحمد لله الذي أنقذه من النار ، كل هذا يؤكد أننا في حاجة إلى استثمار هذا الحدث لإظهار الوجه الكريم الحقيقي للنبي في تعامله مع الغير سواء كان من المسلمين أو غير المسلمين ، من الأقارب أو من الأباعد ، فهي فرصة لإحياء سيرة النبي صلى الله عليه وسلم ولا ضير فإن النبي محفوظ وكرامته محفوظة ، ورفعنا لك ذكرك ، وحفظ الله للنبي لا يمكن للبشرية جمعاء أن تمس هذا الذكر الرفيع المستوى .

الدكتور عمر :

بارك الله فيك أكرمك الله ، طالما نحن دخلنا على الآخر ولماذا هو قد يأتينا بين الفينة والفينة بهذه الفقاعات الفارغة ، إما أنها طفولة حضارية أو أن الحاسمين للحق ولحملة الحق على مرّ الزمن هؤلاء هم ، ونحن كما قلت في المقدمة وضعنا لهم الوسيلة ليدخلوا بهذا المدخل أو يتحدثوا بهذا الحديث ، ماذا يقول الدكتور عربي الكشاط بـ (نحن والآخر مع النبي صلى الله عليه وسلم)

نحن و الآخر مع النبي عليه الصلاة والسلام برأي الدكتور عربي الكشاط :

الدكتور عربي :

عندما نلقي نظرة على الخريطة البشرية نتأكد من الحقيقة التالية ، هذه الحقيقة تتمثل في تعددية أوجه النظر ، وكل فضاء ثقافي يتأثر بشروط جوية بالمعنى الثقافي للكلمة .

التنوع حقيقة بشرية موجودة منذ أن خلق الله الإنسان :

من الناحية الجغرافية نحن موجودون هنا أنا أرتدي الثياب غير الثياب التي أرتديها في أوربا ، أنا لا سلطان لي على المحيط الطبيعي لكن سلطاني على تغير الثياب التي تناسب كل فصل من فصول السنة، هذا المثال الملموس ينسحب على الأجواء الثقافية ، ما هي ميزة العلاقات بين الناس اليوم ؟ الميزة الأولى من الناحية الجغرافية انعدام الحدود ، الآن في أوربا يمشي الإنسان إلى حيث يشاء كأنه ينتقل من شارع على شارع .

الناحية الثانية وهي الأخطر العلاقات بين مختلف الفضاءات الثقافية تتسم بالصراع ، وهذا الصراع تغذيه ذاكرة مثقلة بكثير من السلبيات ، هذا بخصوص والناس لا يستطيعون إلا أن يتعايشوا والله تبارك وتعالى يجب علينا نحن المسلمون ونقول إخواننا في الإنسانية شئنا أم أبينا فإن التعدد حقيقة لا يستطيع أحد إلغاءها .

واجب كل إنسان أن يبذل كل ما يملك ليُبلغ رسالة الإسلام :

المطلوب منا ومن غيرنا أن يجعل من هذه العلاقة علاقات تعددية بمختلف فروعها وأصولها وسيلة للتعارف وهذا مراد الله عز وجل ، قال تعالى :

(يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى (13))

(سورة الحجرات)

الحمد لله لا طاقة للمخلوق على تغيير طبيعة الخلق لكن تبارك وتعالى بنى على هذه الحقيقة أمراً وجهه إلى الناس قال

(لِتَعَارَفُوا)

فأبى الناس إلا أن يتناكروا ، والتناكر التعارف تلاحظون في تشاور ، يعني أنا عندي ما أعتقد أنه ينفع الناس واجبي الأول والأساسي أن أبذل كل ما أملك لأعرف بما عندي ، لكي أنفع الناس ، هذا واجب الإبلاغ واجب التبليغ واجب البيان وديننا دين البيان ، ورسالة سيدنا محمد مبدأها ومنتهاها توثيق ما هو

معروف لدى الفطرة البشرية ومهما حاول الناس أن يمسخوا الفطرة فإن الفطرة لا تستطيع إلا أن تظل متعلقة ولو بخيط رقيق بمبدعها ، نأتي إلى بعض الفضاءات الثقافية سلوكها .

الدكتور عمر :

فهمنا موضوع التنوع هذه حقيقة بشرية موجودة منذ أن خلق الله .

الدكتور عربي :

هذا التنوع ، التنوع الجغرافي لم يكلفنا الله بالتعامل معه إلا بالتكيف معه مثلما ضربت الأمثلة على اللباس ، التعامل البشري بين البشر وبشر ، بين دين ودين وبين ثقافة وثقافة هذا مرجعه إلى موقف الإنسان نفسه من ذاتيته من هويته من دينه وموقفه من الآخر.

العاقل يستخلص ما ينفع وينمي ويذر ما لا ينفع وما لا ينمي :

في عصورنا الزاهرة جَسد أسلافنا هذه الحقيقة القرآنية فعرفوا مراد الله منه ، أولاً ثم انتقلوا إلى تعريف الناس بما يؤمنون به بما عندهم ومن خلال تعريف الناس بما عندهم حصلت عملية التعارف ، مثل ما ذكرنا في حلقة سابقة يعني في المدينة المنورة ما الجديد ؟ الجديد أناس عاشوا الجاهلية ثم باختيارهم ووعيهم صبّوا نفوسهم في القوالب النبوية فكان سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام مثل البذرة الطيبة في البلد الطيب أثمرت هذا الجيل الرائع ، قال أحد الغربيين سابقاً : لو أن المسلمين لم يقدموا للعالم ثمرات تعاملهم السابق مع الإسلام لتغير تاريخنا للعصور التاريخية ، ما يسمى بعصر النهضة تأخر قرون ، وهذا تأكيد من ناس عقلاء وأفتح قوس لأقول الإسلام لا يبيح لنا أن نقسم العالم إلى أبيض وأسود ، بل العكس مثل اللبن :

(مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَبَنًا خَالِصًا سَائِغًا لِلشَّارِبِينَ (66))

(سور النحل)

العاقل الذي يستخلص ما ينفع وينمي ويذر ما لا ينفع وما لا ينمي ، سلوك المجتمعات البشرية اليوم ميزته الأساسية سلوك عنفي ثقافة تنتج العنف .

الدكتور عمر :

لم تكن ثقافة العنف موجودة من قرون ؟

ابتعاد الثقافة الإسلامية عن العنف :

الدكتور عربي :

ثقافة العنف كانت محدودة ، مثلاً ثقافتنا الإسلامية أبداً ما صدرت العنف في يوم من الأيام وما يسميه غيرنا عنف إنما هو رد فعل طبيعي تبيحه حتى القوانين البشرية ، لكن في ثقافات عرفها التاريخ ما امتازت إلا بميزة إلا كونها ثقافة عنفية معلنة ، معروف لست أن الذي أقوله ، تحليلات ، نسأل الآن لما زيد من الناس لا يصدر عنه إلا سلوك عنف ؟ العنيف أولاً يستوحي ذاكرته ، نسأل ما هي ذاكرة بعض الثقافات فيما يتعلق بالإسلام ؟ ما هو سلوك الإنسان الذاكرة التعامل مع اليوم الحادث ، ذاكرة ما نسميه الآخر ذاكرة تلقت معلومات صدامية في كل ما يتعلق بالنبي عليه الصلاة والسلام .

أولاً قيل عنه وهذا ما يتغذى به التلاميذ في المدرسة والثانوية والجامعة ، إنه نبي كذاب عليه الصلاة والسلام وتحدث عن أخلاقه وعن علاقاته وهذا شيء معروف ، ولكن هذا بقيت رواسبه في الأذهان ، بعض الظروف العالمية الآن ، العالم مطبوع بطابع العنف والصراع بعثت رواسب هذه الذاكرة إلى السطح فأصبح الناس لا يرون ولا يتحدثون عن النبي صلى الله عليه وسلم إلا من خلال هذه الذاكرة السلبية تغذيها بعض الأحداث المدبرة بمكر وبعض الأحداث نشارك بها نحن مع الأسف لجهلنا ، فنحن نقدم خدمة مجانية ونسيء إلى نبينا عليه الصلاة والسلام .

على كل مسلم أن يبذل جهده لتعلم ثقافات الشعوب الأخرى :

نسأل نحن قبل ، إذا الإنسان عافانا الله جميعاً كان في غابة من الغابات وجاء حرامي وأشعل النار ماذا يفعل ؟ هل يقف ليلعن النار ؟ سيبقى بعد لحظات ستلتهمه النار ، هل الآن يقول لما فلان أشعل النار ، ليبذل كل ما في وسعه لتسليط خراطيم المياه لعله يطفئ النار ، الآن المسؤولية كيف أنا أستجيب ؟ هذا يستثيرني ، الثقافات أنا ما أعتبره مقدساً ورمزاً قد لا تعتبره الثقافة الأخرى هكذا ، إذا رجعنا إلى كلمة نبوة في اللغات الأوربية ليس لها نفس المدلول عندنا ، المحتوى اللغوي يؤثر في الوجدان ، يؤثر في الأذهان ، حتى تسأل كبار المثقفين والمستشرقين تقول لهم مثلاً ما هو تعريف النبي ؟ خذ أي قاموس النبي فيه هو من يقرأ لك الغيب . هذا النبوة ، بينما نحن تعني عندنا شيئاً آخر .

على كل إنسان مؤمن أن يراعي طريقة التعامل مع الآخر :

إضافة أخرى أعداد المسلمين الذين يعيشون في الغرب كثيرة ولله الحمد هل نسأل أنفسنا هل بذلنا ما في وسعنا من أجل بلورة تصوراتنا ؟ أنا أسأل نفسي وأنا أعلم الجواب ، لم أبذل جزءاً يسيراً مما هو مطلوب مني كمسلم ، أنا مسلم وليس لي معلومات حول الإسلام ولا حول الثقافة الغربية لكن هناك فرق كبير بين المعلومات والثقافة ، الثقافة أعني بها طريقة التعامل مع الآخر ، هل أنا إذا كنت صادق الوعد، طيب الكلمة ، جميل الهندام ، لذيذ المعشر ، هل هذا يحتاج إلى أن أتعلم في مدرسة ؟ من البديهيات ، هل أعلم الآخر عن طريق إلقاء محاضرات طويلة ، لماذا لا أكون مثل ذلك الصحابي رضي الله عنه الذي أدرك حاجات مخاطبيه ، ما الذي جاء بكم ؟ قال في كلمات جئنا لنخرج الناس من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد ، الآن كل الناس تدندن حول حقوق الإنسان ، هل يعرف الناس أننا نحن الذين صدرنا وجسدنا قيم حقوق الإنسان ، أنا مرة شاركت في فرنسا في مؤتمر حول غاندي واللا عنف فقالوا لي تحدث ، فقلت سيدنا محمد واللا عنف ، قالوا محمداً لم يكن عنيفاً ؟ قدمت تقدمة احترامنا وتقديرنا لنضال غاندي لكن قلت نحن عندنا مصدرنا وكانوا من علية القوم ثقافة .

الدكتور عمر :

هذا كلام خطير أن الحقائق وصلت حتى إلى المثقفين منهم أن محمداً لا عنف .

الدكتور عربي :

تعجب لماذا ؟ لأمرين .

الدكتور عمر :

نتوقف عند فاصل قصير ونعود .

مرحباً بكم أخوتي في الله ونحن نتحدث في هذا البرنامج هذا سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، كنا قبل الفاصل نتعجب مع تعجب الآخر عندما كان الدكتور عربي القشاط يلقي محاضرته عن محمد صلى الله عليه وسلم ولا عنف وهم يظنون أن المسألة غير ذلك ، هذا يظهر مدى تقصيرنا ، ونحن يبدو أننا انغلقنا أكثر من اللازم ونظن أن الآخر يفهم عن نبينا ما نفهمه .

الإسلام يأمرنا أن نكون من صنّاع الفعل لا من الذي يردون الأفعال :

الدكتور عربي :

بعد الانتهاء من المحاضرة وقع نقاش جماعي وفردي وتعجب الناس وقال لي بعضهم لما لم تشاركونا في بلورة هذه التصورات وربما يفهم بعض المستمعين بأننا نريد أن نعوم القضية ، لا المسألة نحن أمام

فعل عنفي سواء قصد أصحابه أم لم يقصدوا فإنهم يريدون الإيذاء نحن نتأذى من هذا ، هذه حقيقة ، لكن هل أنا مسؤول عن هذا الذي يستثيرني ؟ أم أنا مطالب باختيار صورة استجابتي لهذا الظلم ؟ أنا مسؤول عن هذا ، لماذا أقول أنا مسؤول عن هذا ؟ لأن بعض الدوائر تشتغل ليلاً نهاراً بذكاء على نفسياتنا وأدرك البعض منهم أن البعض منا يعني يقتدي في سلوكه بالثور ، الثور إذا أراد أن يتعبه زيد من الناس أكثر له بالتلويح بالمنديل الأحمر فيستثيره وينفق كل طاقاته بالدوران والغليان ، النتيجة أن الثور ستنفذ قواه وسيقع ، ثانياً الإسلام يأمرنا أن نكون من صناع الفعل لا من الذي يردون الأفعال لما؟ في جميع القضايا إذا سجن الإنسان نفسه في خانة ردود الأفعال فإنه يخسر دائماً ، لكن إذا صنع الفعل في فعل غير جيد عنف ، أنا أرد عليه بفعل لا عنفي .

الدين موجود في قلب كل إنسان وإن انسحب من الفضاء الاجتماعي :

بعض الناس يقولون لا عنف سلبية لا ، تعرفون لماذا العنف ضعف ، النبي صلى الله عليه وسلم يقول: ليس الشديد بالصرعة . وهذه صرعة معنوية إنما الشديد من يملك نفسه عند الغضب . لماذا يعنف العنيف ؟ أولاً معاناة ثانياً وجود المسلمين في الغرب ذكر أخواننا في الغرب بأن الله موجود وأن هناك قيماً ، ومن طبيعة البشر بعدما مرّ عليه زمان طويل وظنّ أنه تخلص من الله عز وجل ونسي الدين ونسي القيم فإذا به يأتي هؤلاء الناس الفقراء البسطاء ويصلون خمس مرات في اليوم ويصومون شهراً في السنة ويلتزمون في حياتهم في قيم الحلال والحرام ، طول هذه القرون كنا نكذب على أنفسنا وقال أحد الباحثين الكبار في باريس وله كتب كبيرة ينبغي معرفتها والاطلاع عليها ولقد سبقه قبل ذلك مفكر ألماني كبير يقول : إن الدين قد انسحب من الفضاء الاجتماعي في الغرب لكن لا تعتقدوا أن انسحاب الدين من الفضاء الاجتماعي انسحاب من قلب الإنسان . هذه حقيقة سجلها مفكرون غربيون .

الدكتور عمر :

يعني انسحاب من الساحة أما داخل الفطرة .

كل إنسان يسخر من النبي الكريم إنما هو يسخر من نفسه :

الدكتور عربي :

أما داخل الفطرة تصرخ جوعاً وتصرخ ظمأ ، هذا الذي سواء شعر أو لم يشعر أنا لا أقول زيد من الناس إنما أتصور مصدر العنف هذا الذي لو حللنا موقفه الساخر إنما هو يسخر من نفسه ، نحن نعرف كما يقول المثل لو أن مخلوقاً من المخاليق يبسق على الشمس فإن بساقه لا يعود إلا على وجهه القذر ،

إذاً رسول الله صلى الله عليه وسلم شمس وهل إذا دغدغت أشعة الشمس وجه التراب هل يعفر التراب أشعة الشمس ؟ لا هذا :

تواضع تكن كالنجم لاح لناظر على صفحات الماء وهو رفيع

هذه عظمة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، سيدة فرنسية جاءت إلى مجموعة من المسلمين بابنتها الشابة وقالت لهم أرجو أن تساعدوا ابنتي في اعتناق الإسلام ، قالوا لها لماذا ؟ إذا اكتشفت الإسلام تدخل في الإسلام ، قالت : لأنني لاحظت وأنا جارة لبعض العائلات المسلمة أن الأمهات والآباء عندما يبلغن سناً معيناً من الكبر فإن أولادهم يحافظون عليهم وأنا أريد عندما أكبر ألا تنفصل عني ابنتي .

هذه كيف اكتشفت الإسلام ؟ ما قرأت ، اكتشفت بالتعامل أن المسلمين هكذا الكبير يعطف على الصغير والصغير يحترم الكبير ، ونعرف لعالمنا قدره ، فهذه القيم هي التي شدتها .

على المسلمين أن يوقدوا مصباح الحق بسلوكياتهم لا بكلامهم :

وباختصار الآن هذه الرسوم المستهزئة أولاً الاستهزاء ليست ظاهرة جديدة ، يعني كلما طلع فجر الحقيقة حاولت قوة ...الظلام دليل على غيبة النور ، فإذا عمّ الظلام جاء العقلاء وأوقدوا المصباح ، هذه القضية التي يجب أن توقد مصباح الحق .

الدكتور عمر :

بسلوكياتنا لا بكلامنا .

الدكتور عربي :

الواقع السلوكي أبلغ من الواقع الكلامي ، يأتي الكلام في المرتبة الثانية لأن الكلام إما تصوير لواقع أو تأشير لواقع سنصنعه .

(وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ)

(سورة فصلت : الآية 33)

القول جاء في المرتبة الثانية بعد العمل الصالح .

الواقع السلوكي أبلغ من الواقع الكلامي :

عنوانكم معبر هذا محمد صلى الله عليه وسلم ، هذا اسم إشارة ، الآن ممنوع عندنا التماثيل أن نضع تمثالاً للنبي لا ، هذا محمد هذا اسم الإشارة إلى ما يجب أن يشير ؟ يجب أن يشير إلى سلوكيات محمد صلى الله عليه وسلم متجسدة في بشر والبشر الآخرون سيرون هذه الأخلاق متجسدة رحمة للإنسان ،

نقول إن الإنسان يجب ، يا أخي ديننا هو الدين الوحيد الذي أرسى بل أنشأ من العدم ما يسمى الاعتراف بالآخر :

(وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا (40))

(سورة الحج)

القرآن الكريم ما عندنا نحن عقدة نقص نقل كفر أهل الكفر :

(يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ (64))

(سورة المائدة)

(فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ (32))

(سورة الأنفال)

سيدنا موسى عليه السلام ألم يقل في مرارة على قومه :

(وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِي وَقَدْ تَعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ (5))

(سورة الصف)

ردود أفعال المسلمين تجاه الرسوم المسيئة للنبي الكريم يجب أن تتسم بالحكمة :

نحن نسأل الناس هؤلاء نقول لهم لما تؤذون الرسول ؟ قالوا هذه حرية تعبير ، قلت لهم هذه مسألة فيها نظر لأننا نعيش ونعرف حدود التعبير ، وفي أمثلة تكذب هذا ، فينبغي الآن أن نعي ولا نعطي فرصة لغيرنا ليلوح لنا بالمنديل الأحمر حتى يشغلنا عما نجب أن نقوم به .

ثانياً ردود الأفعال في بعض البلاد الإسلامية لا تتسم بالجمالية ولا تتسم بالحكمة ، هذا الصراخ ، الصراخ إذا ارتفعت الكلمة كان ذلك دليلاً على غموض الفكرة وضعفها ، إذا تحركت العضلات دلّ ذلك على موت القلوب ، إذا كثر الصراخ دلّ ذلك على انعدام قواعد المنطق بيننا ، ديننا دين المنطق :

(قُلِ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ (91))

(سورة الأنعام)

ليست كلمة قل الله تظهر حقيقة إيماننا بالله الواحد في توحدنا في انضمام صفوفنا في تألف قلوبنا في عمراننا ، تأتي مسألة أخرى ربما أسبق وأترك المجال للأساتذة المقاطعة ، قد تكون وسيلة من الوسائل أنا أقول ينبغي أن يتدارسها أولو الشأن ، لكن المقاطعة لا تنفع إلا إذا قررنا أن ننفض عنا غبار الاستهلاك ، نحن نستهلك ما يصنعه غيرنا ، نستقل اقتصادياً ، نستقل اجتماعياً وعند ذلك إذا اقتضى الأمر أن تكون المقاطعة وسيلة من الوسائل وتبقى الكلمة الأخيرة للتعليم وللتشاور وللحوار وللرد بالتي هي أحسن .

الدكتور عمر :

بارك الله بك أستاذ عربي وأنا تركت الأستاذ عربي لأنه أقدرنا وأعرف بالآخر في هذه المسألة والحقيقة لأنه يعيش بينهم ويعرف كيف يفكر الآخر ، ونحن نحكم على الآخر دون أن ندرس ما هي الأرض الثقافية التي يأخذ منه ، دكتور راتب ماذا تريد أن تضيف ؟

الدكتور راتب :

أريد أن أعلق على ما تفضل به الدكتور عربي .

التعدد في القرآن الكريم أدرج في صنفين :

1 ـ إنسان تعرف على الله فسلم وسعد في الدنيا والآخرة :

التعدد أصبح واقعاً شئنا أم أبينا ولكن هذا التعدد في القرآن الكريم أدرج في صنفين ، هناك إنسان تعرف على الله فانضبط بمنهجه وأحسن إلى خلقه فسلم وسعد في الدنيا والآخرة .

2 ـ إنسان غفل عن الله فشقي وهلك في الدنيا والآخرة :

وهناك إنسان غفل عن الله وتفلت من منهجه وأساء على خلقه فشقي وهلك في الدنيا والآخرة ، كل هذه الأصناف والأطياف تندرج في أحد هاتين البندين ، الدليل القرآني :

(فَأَمَّا مَن أَعْطَى وَاتَّقَى * وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى)

(سورة الليل)

صدّق في الأصل أنه مخلوق للجنة عرضها السماوات والأرض بناء على هذا التصديق انضبط اتقى أن يعصي الله ومن أجل أن يدفع ثمن الجنة بنى حياته على العطاء ، يعطي من وقته ، من ماله ، في تميز صارخ بين النموذج الأول والثاني ، بنى حياته على العطاء وانضبط في مجموعة قيم مبادئ ينضبط بها ، أيقن أنه مخلوق لجنة عرضها السماوات والأرض ، الرد الإلهي :

(فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى)

(سورة الليل)

(وَأَمَّا مَن بَخِلَ وَاسْتَغْنَى * وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى)

(سورة الليل)

كذب أنه مخلوق للجنة فاستغنى عن طاعة الله وبنى حياته على الأخذ الرد الإلهي :

(فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى)

(سورة الليل)

وبحسب هذه الآية لن تجد نموذجاً ثالثاً .

الفرق بين الأنبياء و الأقوياء :

كل هذا التعدد ينضوي في هذين البندين هذا من حيث عامة الناس أما من حيث القمم يقع على رأس الهرم البشري زمرتان على اختلاف الأسماء الأنبياء والأقوياء ، والأنبياء ملكوا القلوب ، والأقوياء ملكوا الرقاب ، الأنبياء أعطوا ولم يأخذوا والأقوياء أخذوا ولم يعطوا ، الأنبياء عاشوا للناس ، الأقوياء عاش الناس لهم ، الأنبياء يمدحون في غيبتهم والأقوياء في حضرتهم .

الدكتور عمر :

الآخر لا يقدر هذا الكرم لأن الآخر يعتبر نفسه من الأقوياء ، لأن أتباع سيدنا محمد من الضعف والمهانة كما قال الدكتور عربي كسبهم ليس من رؤوسهم وليس من أفكارهم ، نحن في العالم العربي باعتراف منظماتنا الجامعة العربية والأمم المتحدة مئة مليون أمي ونحن كلنا ثلاثمئة وخمسين مليون ، ونحن فقط نفاخر ، والأخوة أبناء الكتب يسخرون من العلماء ويسخروا من الدعاة ، الآخر يقيس الإسلام ونبي الإسلام بمن يعتنق الفكرة .

عدم احترام الآخر لنا إن كان بأسنا بيننا شديد :

الدكتور راتب :

أنا أضيف إلى ذلك إن كانت نسب البطالة عالية جداً ونسب الفقر عالية جداً ونسب البطالة عالية جداً ونسب العنوسة عالية جداً ونحن نقع على رأس قائمة المستوردين وفي أسفل قائمة المصدرين ، وبأسنا بيننا وسلمنا لأعدائنا كيف يحترمنا الآخر ؟ فلذلك القضية مصيرية .

الدكتور عمر :

قضية الانفعال دكتور راتب هذا شيء طيب هذه الفطرة كلنا نحب سيدنا محمد لا أحد بل ربما لا يصلي لكنه يحب النبي صلى الله عليه وسلم ، مدى ما نؤذي نحن به نبينا وديننا قد يفوق ، ونحن ننظر بالقضية مع الدكتور سعد هل بعد الكفر ذنب ؟ أنا أتكلم عن من يدعي محبة رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يأكل الحقوق وأموال اليتامى .

معرفة رسول الله صلى الله عليه وسلم فرض عين :

الدكتور راتب :

وهذا النبي الكريم ألّف أحد من المؤلفين كتاباً عن النبي صلى الله عليه وسلم وهداه له فقال : يا من جئت الحياة فأعطيت و لم تأخذ ، يا من قدست الوجود كله ، ورعيت قضية الإنسان ، يا من زكيت سيادة العقل ، و نهنهت غريزة القطيع ، يا من هيأك تفوقك لتكون واحداً فوق الجميع فعشت واحداً بين الجميع ، يا من كانت الرحمة مهجتك ، والعدل شريعتك ، والحب فطرتك ، والسمو حرفتك ، ومشكلات الناس عبادتك .

لكن الذي أتمنى أن يكون واضحاً من أعماقي أن معرفة رسول الله صلى الله عليه وسلم فرض عين بدليل عندنا في أصول الفقه قاعدة ما لا يتم الفرض إلا به فهو فرض ، الوضوء فرض لأن الصلاة لا تتم إلا به ، إذا قال الله عز وجل :

(وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا (7))

(سورة الحشر)

كل أمر في القرآن الكريم يقتضي الوجوب ما لم تقم قرينة على خلاف ذلك ، كيف أأتمر بما أمرني وأنتهي عما نهاني إن لم أعرف ما الذي أمرني وما الذي نهاني ، فهذا الأمر القرآني الذي يقتضي الوجوب من لوازمه أن أتعرف إلى سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم القولية .

من لم يتبع سنة النبي الكريم لا يستطيع أن يقنع أحداً بها :

يا ترى الأخوة الكرام المستمعون أو المشاهدون هل في بيتهم كتاب في الحديث الصحيح وليكن رياض الصالحين يقرأ الأب لأولاده حديثاً واحداً ؟ لا بد من أن معرف سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم القولية ، حينما قال الله عز وجل :

(لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآَخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيراً (21))

(سورة الأحزاب)

كيف يكون النبي صلى الله عليه وسلم أسوة لنا ؟ كان مع أصحابه في سفر ، فأرادوا أن يعالجوا شاة ، دفقوا قال أحدهم : عليّ ذبحها ، وقال الثاني : عليها سلخها ، وقال الثالث : وعليّ طبخها ، فقال عليه الصلاة والسلام : وعليّ جمع الحطب ، فقالوا : نكفيك ذلك ، فقال : أعلم أنكم تكفونني ذلك ، ولكن الله يكره أن يرى عبده متميزاً على أقرانه.

[ورد في الأثر]

الآن النبي عليه الصلاة والسلام في بدر الصحابة كان ثلاثمئة وأربعة عشر رجلاً ، والرواحل قليلة ، كل ثلاثة على راحلة ، الآن والمدهش قال : وأنا وعلي وأبو لبابة على راحلة ، لقطة رائعة جداً ، ما هذا التواضع ؟ قائد الجيش ، زعيم الأمة ، قمة المجتمع ، رسول الله يسوي نفسه مع جندي ، ركب النبي عليه الصلاة والسلام ، وانتهت نوبته في الركوب ، وجاء دور أصحابه في الركوب ، فتوسلا إليه صاحباه أن يبقى راكباً ، فقال كلمة والله لو رددتها آلاف المرات لا أرتوي قال :

((مَا أَنْتُمَا بِأَقْوَى مِنِّي ، وَمَا أَنَا بِأَغْنَى عَنْ الْأَجْرِ مِنْكُمَا))

هذه سنته فنحن لو تحدثنا عنه مادحين إن لم نتبعه لا نقنع أحداً به .

الدكتور عمر :

أصبت كبد الحقيقة .

الدكتور راتب :

لا نقنع أحداً .

على المسلمين أن يهبوا عملياً لنصرة الرسول الكريم وليس بالغوغائية :

الدكتور عمر :

لو دخل النبي عليه الصلاة والسلام إحدى جامعاتنا في دولنا الإسلامية ورأى بناتنا .

الدكتور راتب :

رأى بناتنا هؤلاء البنات من آباء مسلمين ومن أمهات مسلمات وهن من رواد المساجد شيء لا يصدق.

الدكتور عمر :

نضع أصبعنا على حقائق الأمور لأننا نعاني من الناس ، كيف تسكت لهم ، سبحان الله نحن نريد أن تنتبه الأمة إلى حقائق الأمور حتى تهب عملياً لنصرة الرسول صلى الله عليه وسلم وليس بالغوغائية .

الإنجازات الحضارية الإنسانية وحدها كافية لإقناع الآخر بالإسلام :

الدكتور راتب :

والله لو سكتنا سكوتاً كلياً وقدمنا إنجازاً حضارياً لأقنعنا الناس برسول الله ، لو صمتنا نهائياً وقدمنا إنجازاً حضارياً إنسانياً لأقنعنا الناس برسول الله .

الدكتور عمر :

كان يذكرنا الدكتور عربي في جماعة السوربون يوجد تمثال لابن سينا وعمامته التي تشير أنه عربي مسلم لو فردناها ممكن أن تكون خمسة أمتار ، لو قسمت لصار بعض من بناتنا في جماعة السوربون محجبات ، رفضت الجامعة أو رفضت فرنسا قطعة قماش على رأس حفيدة ابن سينا ولكن قبلت عمامة ابن سينا لأنه قدم لهم ، لأنه صاحب يد عليا وحفيدته أنا أريد أن ....

الدكتور راتب :

طالبان سوريان في بريطانيا لهم صديق بريطاني فكلما اقترب منهم تكلموا الإنكليزية فلفت نظره ذلك سألهم لماذا ؟ قالوا لأن نبينا نهانا أن نتكلم إذا كنا ثلاثة اثنان دون الثالث ، فقال هذا نبي حضاري ، والله لا نحتاج إلى مزيد إقناع ولا إلى مزيد كلام إذا وقفنا موقفاً أخلاقياً إنسانياً لأخذ الناس صورة أخرى عن نبينا .

الدكتور عمر :

أنتم تريدون أن تُحمّلوا المشاهدين والمشاهدات كل واحد مسؤولية أن يقوم بعمل كان يحبه رسول الله . دكتور سعد أكيد في الفقه هناك حكم واضح لشاتمي رسول الله صلى الله عليه وسلم وللمتطاول على جنابه .

علينا ألا نهتم بالمعارك الجانبية حتى لا تشغلنا عن القضية الأساسية :

الدكتور سعد :

بالتأكيد إذا عرف الناس الحكم الشرعي التزموه ، فعرفوا أن المسألة لا تخرج بعصبية أو بخطابة أو تحت تأثير فقاعة ؛ إنما لا بد من عرض الأمر على الفقهاء ومعرفة الرأي الفقهي المستنبط من الكتاب والسنة لكن قبل أن أذكره لا بد من أن أؤكد أن المقصود من هذه الإساءة المفتعلة ردة البعض منا وأخذهم من الإسلام إلى حضن غير الإسلام :

(وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً (89))

(سورة النساء)

أيضاً إحداث الفتنة الداخلية يريدون إشغالنا بفتنة داخلية كما أن السيدة عائشة عندما ردت رداً عنيفاً على ذلك اليهودي الذي قال السام عليك يا رسول الله كان يقصد بالبعد النبوي الشريف لو مكنها لخرج الأمر من تحت سيطرة الإدارة التي تؤمن المجتمع وتجعل البعض يموج على بعض وتحدث الفتن والغوغائية .

الدكتور عمر :

عدم الاهتمام بالمعارك الجانبية حتى لا تشغلنا عن القضية الأساسية .

حكم المتطاول على رسول الله صلى الله عليه وسلم :

الدكتور سعد :

هذا ما أريد أن أؤكد عليه فضلاً عما تفضل به الدكتور عربي من أن مسألة اللا عنف عند الإسلام وعند نبي الإسلام ، وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين ، ويقول عن نفسه إنما أنا رحمة مهداه وفي كل تصرفاته وأقواله وفي كل أفعاله وفي كل حياته تجسد إنسانيته ورحمته ، هذا ما ننتهز الفرصة لبيانه وتوضيحه فربما كان هذا المسيء للنبي في الرسوم الخاطئة في حق النبي تجعل آلافاً مؤلفة من غير المسلمين يعلنون إسلامهم فرحاً بهذا الدين وهذا النبي التي وقعت عليه هذه الإساءة الظالمة .

أما بالنسبة للحكم الشرعي فإن الفقيه دائماً يريد أن يحقق المسألة ولا يرسل أو يصدر حكماً مرسلاً ، إصدار الحكم المرسل هذا بعيد كل البعد عن المنطقية الفقهية ، فإن الفقه هو الفهم ، والفهم يستلزم طرح القضية ومعرفة أبعادها .

1 ـ إن كانت الإساءة تصدر عن إنسان عديم الإرادة يرفع التكليف عنه :

الإساءة في حق النبي صلى الله عليه وسلم ما حكمها ؟ يفرق الفقهاء بين حالين : الحال الأولى إذا صدرت من عديم الإرادة والحالة الثانية إذا صدرت من صاحب إرادة ، وهل تصدر عبارة مثل هذه أو رسم مثل هذا من عديم الإرادة ؟ نعم نسمع لقول النبي صلى الله عليه وسلم : رفع عن أمتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه .

وفي قوله تعالى :

(إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ (106))

(سورة النحل)

هذه الثلاثة ترفع التكليف عن صاحبها ، ترفع الإثم ولا ترفع الخطأ الموجود لأن الخطأ أمر مادي والأمور المادية لها حكمها سنذكره بعد قليل ، الأمر الثاني في قول النبي صلى الله عليه وسلم : رفع القلم عن ثلاثة عن الصبي حتى يبلغ وعن النائم حتى يستيقظ وعن المجنون حتى يفيق .

هذه مسلمات لكن إذا كانت الإساءة صادرة من صاحب إرادة سواء كان مسلماً أو غير مسلم ، نحن نتكلم عن الإرادة الإنسانية لأن الإسلام جاء يخاطب الإرادة ، يخاطب العقل .

2 ـ إن كانت الإساءة تصدر عن إنسان صاحب إرادة هنا يمتثل للحكم الشرعي :

فإذا كان المسيء والذي نحكم عليه صاحب إرادة هنا يمتثل للحكم الشرعي الذي في قمة الموضوعية .

لصاحب الإرادة نوعان :

1 ـ المسلم الذي أساء في حق النبي عن عمد وهو صاحب إرادة يعدّ كافراً :

نفرق أيضاً صاحب الإرادة بين حالين المسلم والغير وهو الآخر ، الفقه الإسلامي يعرف حكم الآخر ليس جديداً أن يتعرف الحكم الشرعي أو الفقيه على الآخر لأن من مناط الحكم ومن أساسيات صدور الحكم الشرعي معرفة الآخر ، وإصدار حكماً خاصاً له وحكماً آخر للمسلم ، أما المسلم الذي أساء في حق النبي صلى الله عليه وسلم وهو صاحب إرادة فإنه إن كان صاحب إرادة عن عمد كما أننا خرجنا المكره والنائم والمجنون فإنه يعد كافراً والعياذ بالله .

من تحكّم في رأيه بدون تعقل للآراء التي يسمعها من الغير فهو مرتد و يجوز قتله :

ليس هذا الكافر الذي خرج عن الإسلام بهذه الإساءة المتعمدة فوراً يشب ولا يعود وإنما على المسلمين أن ينصبوا له علماء وأن ينصبوا له من التربويين من يأخذ بيده إلى الحق مرة أخرى ، يصوبون له الحق ويرفعون عنه تلك الشبهة ، وإذا عجزنا على ذلك كان الحكم الآخر الذي يجده أكثر الفقهاء من أن هذا الذي كان من الاستحالة أن يعود نظراً لمرض نفسي عنده أو لتحكمه في الرأي بدون تعقل لهذه الآراء التي يسمعها من الغير فإن كثير من الفقهاء يقولون : بأن الأفضل للحاكم أن يحكم عليه بالردة بالخلاص بالموت ، أو يسجن مدى الحياة لكن في جميع الحالات يخلص إمام المسلمين المجتمع من أمثال هؤلاء المفتنين ولماذا حكمنا عليه بالخروج من الإسلام ؟ لأنه سبّ النبي صلى الله عليه وسلم عن عمد وقصد وهو مسلم ، لماذا حكمنا عليه بالخروج من الإسلام ؟ لأن إيمانه بالنبي كنبي ورسول ومبلغ عن الله عز وجل لا بد أن يكون على قمة هذا الإيمان والله قد جعل :

(قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ)

(سورة آل عمران الآية : 31)

والله عز وجل أيضاً يبين :

(إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ (10))

(سورة الفتح)

مبايعة من أراد أن يبايع الله فإذا أساء في حق النبي كان كمن خرج عن الإسلام بالكلية .

2 ـ غير المسلم الآخر يفرق الفقه بين حالين :

هذا في حق المسلم ، أما غير المسلم الآخر هذا الآخر يفرق الفقه أيضاً بين حالين الحال الأول الأفراد، الثانية الأنظمة .

إذا كان النظام هو الذي يسيء في حق النبي على الأنظمة الإسلامية أن تعاملهم كما يلي :

إذا كان النظام هو الذي يسيء في حق النبي صلى الله عليه وسلم فهذه الإساءة إساءة نظام في حق نظام وليس إساءة نظام في حق أفراد ، لأن النبي صلى الله عليه وسلم رمز للأمة ، وإذا كانت هذه الإساءة صادرة من هذا النظام فقد ناصبت أنظمة المسلمين العداء وحق للأنظمة الإسلامية أن يعاملوها معاملة من أنصبوهم العداء والحرب .

1 ـ الدعوة إلى الإسلام و الاعتذار للنبي الكريم :

هذه المعاملة ليست القتال مباشرة ولكن هذه المعاملة بيَّنها النبي صلى الله عليه وسلم في حديث رواه مسلم عن عائشة وعن بريدة : كان إذا أمر أميراً على جيش أوصاه في خاصة نفسه ثم قال له انظر باسم الله وعلى ملة الله وإذا جئت على حصن فادعوهم إلى ثلاث خصال فإن هم أجابوك في الأولى فدع عنهم وكف عنهم أو الثانية أو الثالثة أما الخصلة الأولى فادعوهم إلى الإسلام أي الخروج عن هذا الخطأ أن يعلنوا توبتهم عنه وأن يخرجوا عن الإساءة ويعتذروا إلى النبي صلى الله عليه وسلم ويعتذروا إلى المسلمين ، هذه واحدة الاعتذار .

2 ـ الجزية :

أما الثانية فليس أمامهم إلا العقاب الآخر الذي ذكره النبي من حديث بريدة وحديث عائشة بالغرامة المالية في ما سميت الجزية ، الغرامة المالية كنوع من التعويض الأدبي أو تعويض عن ضرر أدبي لحق بالمسلمين كنوع من رد الاعتبار ، فإذا رفضوا الاعتذار كان التعويض المادي .

3 ـ القتال :

الأمر الثاني كان من حق الأنظمة الإسلامية أن يناصبوهم الحرب وأن يناصبوهم العداء لأنهم عدوهم .

الدكتور عمر :

لو كان هذا فرضاً .

الدكتور سعد :

لو كان هذا مؤسسة .

إذا كان الأفراد هم الذين يسيؤون في حق النبي يعاملون كما يلي :

1 ـ البيان لهذا الفرد الكافر أصلاً :

لو كان هذا فرد من أفراد غير المسلمين ، أو من جماعاتهم الفردية وليس النظام العام في الدول غير الإسلامية فإن هؤلاء يعاملون بثلاث خصال ذكرها أيضاً ويمكن أن نجمعها ، الأمر الأول هم غير مسلمون فليس بعد الكفر ذنب ، هل نحكم عليهم كما حكمنا على المسلم الذي سبّ النبي صلى الله عليه وسلم ونحكم عليه بالكفر ؟ هو كافر فكيف نحكم عليه بالكفر ؟ تحصيل حاصل ، ليس بعد الكفر ذنب وإنما لا بد من البيان له أو الإعراض عنه أو شكايته لولي أمره ، أحد ثلاث خصال ، أما البيان فقد اتبعه القرآن الكريم في قوله سبحانه :

(ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ (1)مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ (2)وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ (3)وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ (4))

(سورة القلم)

نبين ، تقولوا مجنوناً ليس مجنوناً ، وإنما هو صاحب فكر وعقل وصاحب رسالة ومعصوم من قبل الله عز وجل .

الدكتور عمر :

المخرج يلاحقني في مسألة الوقت .

الدكتور سعد :

الأمر الثاني إذا لم نبيع .

2 ـ الإعراض عنه :

الإعراض :

﴿ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ (199)﴾

(سورة الأعراف)

3 ـ الشكاية لولي الأمر :

الأمر الثالث إذا لم يكن هناك بيان أو إعراض فيحق أيضاً الشكاية لولي أمرهم من أصحاب المؤسسات والأنظمة غير المسلمة ، لأن النظام لا يعادينا وإذا كان النظام لا يعادينا فالعبرة هنا علاقة فيها نوع من التعاون :

﴿ لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ (8)﴾

(سورة الممتحنة)

فإذا كان غير المسلم وهو النظام الذي لم يعادينا لم يخرج بهذه الإساءة صحّ من باب التعاون أيضاً أن تكون هناك شكاية لأولياء أمورهم ونرد اعتبار النبي صلى الله عليه وسلم عن طريق أنظمتهم وليس عن طريق أفرادهم .

الدكتور عمر :

الدكتور عربي في كلمة .

على المسلم أن يستخدم قوة المنطق في الدعوة إلى الله :

الدكتور عربي : أنا أعتقد أن الموقف ينبغي ألا يكون موقف عنف ، العنف لا نتيجة له إلا تضخيم العنف وتفاقمه ، ينبغي أن نعتبر الذين يسلكون هذا السلوك الغير متحضر كعرض لمرض خطير ونحن نبحث عن أسباب هذا المرض ، هي أمراض فكرية تغذيها مبدأ منطق القوة ، العالم الآن لا يتحرك إلا وفق منطق القوة ، ديننا يعلمنا وهذه هي الطريقة الأنجح في تفتيح القلوب بعضها على بعض قوة المنطق ، ويحضرني في هذا المجال كلمة قيمة قالها توينجي قال : إن التاريخ يقود الإنسانية إلى الله . تجارب البشر اليوم وسقوط الإيديولوجيات وما بقي في سماء البشر المعنوي سوى شمس الإسلام وعلى المسلمين أن يكونوا أقماراً تستمد نورها من ضوء شمس الإسلام سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم .

والحمد لله رب العالمين

بسم الله الرحمن الرحيم

أين ذهبت الكلمة الطيبة ؟

الدكتور عمر :

نريد في هذه الحلقة إذا أذنتم لنا أن نتكلم عن شيء قد تبخر من ألسنة الكثيرين ليس من جفاف في الحلوق وليس لقلة بضاعة اللغة ولكن يبدو أن الجفاف جفاف قلوب أقفرت القلوب عن وجود الخير فيها، فقحطت الألسنة إذا صحّ التعبير كأنما هي أرض تنبت بالكلمات التي يجب أن تكون مضيئة دكتور محمد راتب النابلسي أين ذهبت الكلمة الطيبة ؟ هل نعرف المكان الذي توجهت إليه بعد أن تركت الكثيرين منا ؟

أعلى الكلمات المضيئة الدعوة إلى الله :

الدكتور راتب :

بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آل بيته الطيبين الطاهرين وعلى صحابته الغر الميامين ، دكتور عمر جزاك الله خيراً على هذا اللقاء الطيب .

أعلى الكلم الطيب ، أعلى الكلمات المضيئة الدعوة إلى الله ذلك لأن الله جل جلاله يقول :

(وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ)

(سورة فصلت)

أي لا تجد على وجه الأرض من آدم إلى يوم القيامة إنساناً أكرم عند الله ممن دعا إلى الله وعمل عملاً صالحاً وقال إنني من المسلمين ، ويمكن أن نذكر هذه الآية فنرى سيد الخلق وحبيب الحق هو الداعية إلى الله :

(يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا * وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا)

(سورة الأحزاب)

هدف الدعوة إلى الله:

هدف الدعوة إلى الله تزكية النفس :

(قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا {9})

(سورة الشمس)

هذه النفوس إذا زكت سعدت وأسعدت :

(وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا)

(سورة المائدة الآية : 32)

النبي عليه الصلاة والسلام يقول : يا علي :

((فَوَ اللَّهِ لَأَنْ يُهْدَى بِكَ رَجُلٌ وَاحِدٌ خَيْرٌ لَكَ مِنْ حُمْرِ النَّعَمِ))

[متفق عليه عن سهل بن سعد]

و :

((خير له مما طلعت عليه الشمس))

[أخرجه الطبراني عن أبي رافع]

و :

((خير لك من الدنيا وما فيها))

[تخريج أحاديث الإحياء للعراقي]

الدعوة إلى الله في أعلى الكلمات المضيئة ، بل إن هذه الدعوة إلى الله هي الدعوة التي ينبغي أن تكون على صواب وبأساليب صحيحة لأن الذي يدعى إلى الله بمضمون هزيل وبمضمون غير متماسك وبأسلوب غير علمي وغير تربوي لا يعدّ عند الله مكلفاً أو مبلغاً .

خصائص الدعوة إلى الله الخالصة والدعوة إلى الذات :

دكتور عمر هناك ملمح لطيف جداً هو أن الدعوة إلى الله دعوتان ، دعوة إلى الله خالصة ودعوة إلى الذات مغلفة بدعوة إلى الله ، فالدعوة إلى الله الخالصة ، من خصائصها :

الاتباع :

(إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ (50))

(سورة الأنعام)

التعاون :

الدعوة إلى الله الخالصة ، من خصائصها التعاون لا التنافس .

الاعتراف بالآخر :

الدعوة إلى الله الخالصة من خصائصها الاعتراف بالآخر لا إلغاؤه .

أما الدعوة إلى الذات من خصائصها :

الابتداع لا الاتباع .

من خصائصها :

التنافس لا التعاون .

من خصائصها :

الاعتراف بالآخر والاعتراف بفضله . لن نرقى إلا إذا تعاونا ، الدعاة إلى الله إذا تعاونوا وتناصروا ارتفعوا جميعاً عند الله وعند الناس فإذا تنافسوا سقطوا جميعاً من عين الله ، إذاً الدعوة إلى الله دعوتان، دعوة إلى الله خالصة ودعوة إلى الذات ولكن ما من شيء يتذبذب بين أن يكون أقدس عمل يرقى إلى صنعة الأنبياء كالدعوة إلى الله إنها صنعة الأنبياء .

الدكتور عمر :

هذه أرقى الكلمات الطيبة .

بين العمل للدنيا والعمل للآخرة :

الدكتور راتب :

وقد تكون الدعوة إلى الله مع الأسف الشديد من أتفه الأعمال كيف ؟ أنت حينما تبذل من أجل الدعوة الغالي والرخيص والنفس والنفيس تكون في أعلى الدرجات عند الله ، أما حينما ترتزق بها تصبح دعوة لا تلفت النظر بل لا تستأهل إلا ابتسامة ساخرة ، للإمام الشافعي قول رائع : " لأن أرتزق بالرقص أفضل من أن أرتزق بالدين " . أذكر مرة في العقود الغابرة عالم كبير دعا إلى الله ودفع حياته ثمن

دعوته فجاؤوا له بمن يلقنه الشهادة لئلا يموت كافراً في زعم من أمر بقتله ، فهذا الداعية الكبير قال لمن يلقنه الشهادة أنت ترتزق بلا إله إلا الله وأنا أموت من أجلها ! فرق كبير بين أن يقدم الداعية الغالي والرخيص والنفس والنفيس وبين أن يرتزق بالدعوة إلى الله ، الحقيقة الدقيقة أن الدعوة إلى الله هي ما يحتاجه العالم الإسلامي اليوم هناك خلل في الخطاب الديني لا بد لهذا الخطاب الديني من أن يكون واضح المعالم من أن يكون مقتبساً من منهج الله عز وجل ، الله عز وجل في قرآنه الكريم بيّن أن الدعوة إلى الله تكون بالحسنى :

((من أمر بالمعروف فليكن أمره بالمعروف ، ومن نهى عن المنكر فليكن نهيه بلا منكر))

[ورد في الأثر]

فلذلك نحن حينما نتوسع في مفهوم الدعوة إلى الله نرى أن الإنسان إذا جعل من دعوته وفق منهج صحيح قطف ثمار هذه الدعوة يانعة .

الدكتور عمر :

دكتور راتب أنت تريد أن تخبرنا أن الكهنة الذين يحاربون الدين أذكى وأعقل من الكهنة الذين يتأكلون بالدين ؟

الدكتور راتب :

طبعاً ...

الدكتور عمر :

هل تبيح لنا هذا المقترح .

الدكتور راتب :

الذين يحاربون الدين الناس لا يقلدونهم أما الذي يتأكلون بالدين يقلدون هنا المشكلة .

من صفات الدعاة إلى الله أنهم لا يخشون أحداً إلا الله :

الدكتور عمر :

إذاً الكلمة الطيبة في أرقى شيء هي الدعوة إلى الله عز وجل .

الدكتور راتب :

هناك آية تحكم ذلك :

(الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَداً إِلَّا اللَّهَ (39))

[سورة الأحزاب]

هؤلاء الدعاة إلى الله لهم صفات كثيرة لحكمة بالغة بالغة أغفلها الله ، أبقى صفة واحدة ، هذه الصفة يسميها علماء البلاغة صفة مترابطة مع الموصوف ترابط وجودي ، أنت تقول الطائرة كبيرة والباخرة كبيرة ، الطائرة غالية واليخت غالٍ ، أما إذا قلت الطائرة تطير فإذا ألغي طيران الطائرة ألغيت الطائرة.

(الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ (39))

[سورة الأحزاب]

ذكر الله عز وجل صفة واحدة للدعاة إلى الله ولا يخشون أحداً إلا الله ، فإذا خافوا من غير الله فسكتوا عن الحق خوفاً ونطقوا بالباطل تقرباً انتهت دعوتهم ، لذلك الإنسان يمكن أن يستفيد من كل علم ، يستفيد من طبيب ، من مهندس ، محامي ، من عالم جيولوجيا ، ولا يأبه لسلوكه إلا رجل الدين لا يمكن أن يستفيد منه إلا إذا رأى المسافة معدومة بين أقواله وأفعاله .

من عظمة الإسلام أنه ليس فيه رجل دين وإنما عالم بالدين :

الدكتور عمر :

دكتور راتب هل لنا أن نقول عظمة الإسلام أنه ليس فيه رجل دين وإنما عالم بالدين .

الدكتور راتب :

ليس هناك حرفة اسمها رجل دين .

الدكتور عمر :

لا يوجد في الإسلام رجل دين إنما عالم بالدين .

الدكتور راتب :

بارك الله بك ، سيدنا عمر رضي الله عنه جاءه جبلة بن الأيهم مسلماً فرحب به ملك الغساسنة ، في أثناء الطواف حول الكعبة بدوي من قبيلة فزارة داس طرف ردائه ، فانخلع رداؤه عن كتفه ، فالتفت إلى هذا الأعرابي من فزارة ، و ضربه ضربة هشمت أنفه ، هذا الأعرابي اشتكاه ، سيدنا عمر جاء بهذا الملِك جبلة ، جرى حواراً بينهما صاغه شاعر معاصر وقال له : أصحيح ما ادعى هذا الفزاري الجريح ؟

قال جبلة : لست ممن ينكر شيأ ، أنا أدبت الفتى ، أدركت حقي بيدي .

قال عمر : أرض الفتى ، لابد من إرضائه ، مازال ظفرك عالقاً بدمائه أو يهشمن الآن أنفك ، و تنال ما فعلته كفك .

قال : كيف ذلك يا أمير ؟ هو سوقة ، وأنا عرش وتاج ؟ كيف ترضى أن يخر النجم أرضاً ؟

قال عمر : نزوات الجاهلية ، ورياح العنجهية قد دفناها ، أقمنا فوقها صرحاً جديداً ، وتساوى الناس أحراراً لدينا وعبيداً .

فقال جبلة : كان وهماً ما جرى في خلدي أنني عندك أقوى وأعز ، أنا مرتد إذا أكرهتني .

فقال عمر : عالم نبنيه ، كل صدع فيه يداوى ، وأعز الناس بالعبد بالصعلوك تساوى .

هذا هو منهجنا .

الكلمة الطيبة و خطورتها :

الدكتور عمر :

الله أكبر هذه كلمات طيبة ومضيئة ، الدكتور سعد الدين هلالي الكلمة الطيبة والناس يظنون أن الفقه يخص أو يختص بعبادات ومعاملات ، الفقه في حلال وحرام ، مع أن الكلمة هذه وخطورتها قد ينسى البعض أو يتناسى ، ولا نتهم أحداً هل نسينا قيمة الكلمة فبلغت ألسنتنا بعيداً عن منطق الكلمة الطيبة بهذا الهراء الذي نعرف بما لا نعرف صباحاً مساء وصار كل عربي فينا وعربية مكلمة تتحدث عن نفسها ؟

الدكتور سعد :

شكر الله لكم وجزاكم الله خيراً عن اختيار هذا العنوان الكريم والكلمة الطيبة الذي ضرب الله بها مثلاً :

(ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ (24)تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ (25))

(سورة إبراهيم)

في مقابلها :

(وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ (26))

(سورة إبراهيم)

التعريف بالكلمة الطيبة :

الكلمة الطيبة في نظر الفقهاء يريدون في البداية التعريف لمعنى الكلمة الطيبة والفقهاء درجوا على تعريف المصطلح ذات الكلمتين أو الأكثر أي الجملة المضافة بتعريف المفردات ، ثم تعريف المصطلح المركب ، فالكلمة واحدة الكلام والكلمة ، والكلام هو اللفظ الذي يخرج الذي يعبر به الإنسان مع أخيه الإنسان ، فالكلمة هي أداة التعبير والطيبة صفة للكلمة أي كلمة موصوفة بالطيبة ، والطيب هو ضد الخبيث ، والطيب هو ما استقام ، وطاب مقامك أن استقام واستقر ، فالكلمة الطيبة بهذا المعنى من كلمة

تفيد التعبير والطيبة تفيد الحلال وتبين معنى الحلال من لفظ الطيب في قوله تعالى :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ (172)﴾

(سورة البقرة)

أي مما أحلّ الله وقال تعالى :

﴿ يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا (51)﴾

(سورة المؤمنون)

أي كلوا من الحلال ، فالطيب أيضاً رديف الحلال ، فصارت الكلمة الطيبة أي الكلمة الحلال التي أحلها الله عز وجل هذا بالمعنى المفرد لكل لفظة ، إذا أردنا أن نطلق تعريفاً على هذا المركب الوصفي الكلمة الطيبة نقول إن المراد عند الفقهاء بالكلمة الطيبة التعبير المشروع الذي يجوز للمسلم أن يعبر به ، لأن الكلمة ليس المراد بها اللفظة فإن هناك من يتحدث بالإشارة كالذين حرموا من نعمة الكلام ، وهناك من يتحدث بالفعل كالذين يرغبون في ممارسة أشياء دون أي إشارة .

المراد بالكلمة الطيبة مدلول العبارة أو ما يراد من الإشارة :

الشرائع الإسلامية جاءت لإحاطة كل هؤلاء فجعلت التعبير يكون باللفظ ويكون بالإشارة ويكون بالفعل بل ويكون بالصمت أيضاً ، هذه أدوات التعبير ولهذا أقول عن المراد بالكلمة الطيبة مدلول العبارة أو ما يراد من الإشارة .

الدكتور عمر :

يعني لسان الحال أحياناً .

الدكتور سعد :

نعم وليست اللفظة لأننا لن نجد في كتاب الله حرمت عليكم الميتة وحرمت عليكم كلمة كذا لا يوجد تحريم لكلمة بعينها لأن كل لفظة يجوز النطق بها إلا أن النطق بها في حال يجوز وفي حال آخر لا يجوز .

الدكتور عمر :

إذنها صمتها .

اللفظ و الفعل و الإشارة و الصمت وسائل تعبيرية تدخل في الحلال و الحرام :

الدكتور سعد :لهذا نقول عن التعبير هو المراد في الحكم بالكلمة الطيبة أو الكلمة غير الطيبة أي المراد مدلول اللفظ أو مدلول الإشارة أو مدلول الفعل أو مدلول الصمت ، ويدل على إن كل هذه الأساليب

الأربعة من التعبيرات التي عدّها الفقهاء وتعتبرها الشريعة الإسلامية أساساً للمحاسبة والمراقبة في اللفظ مثلاً في قوله تعالى : أوفوا بالعهد وفي قوله تعالى : يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود .

فهذا نص على وجوب مراعاة اللفظ الذي يتعاقد به الإنسان مع أخيه الإنسان وفي الإشارة في قوله تعالى :

(وَيْلٌ لِكُلِّ هُمَزَةٍ(1))

(سورة الهمزة : الآية "1")

الذي يغمز ويلمز هذا أيضاً داخل ضمن التعبير ، إذاً الكلمة الطيبة تعبير باللفظ أو تعبير بالإشارة وفي بالفعل ، وفي الصمت والسكوت في قول النبي صلى الله عليه وسلم لمعاذ : ألا أدلك على زمام الأمر كله أمسك عليك هذا وأشار إلى لسانه فتعجب وقال معاذ بن جبل :

((وَإِنَّا لَمُؤَاخَذُونَ بِمَا نَتَكَلَّمُ بِهِ ؟ فقالَ : ثَكِلَتْكَ أُمُّكَ يَا مُعَاذُ ، وَهَلْ يَكُبُّ النَّاسَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ ، أَوْ عَلَى مَنَاخِرِهِمْ إِلَّا حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِم))

[أخرجه الترمذي وصححه وابن ماجه والحاكم عن معاذ]

دلّ على أن اللفظ وأن الفعل وأن الصمت حتى الصمت محسوب على الإنسان في تعامله وسكوته يكون عبادة ويكون بعداً عن الحرام وفعله وكلامه وإشارته تكون كذلك .

الكلمة الطيبة هي الكلمة التي يحلّ التعبير بها ليس لذات الكلمة وإنما لمدلولها :

الكلمة الطيبة هي التعبير سواء كان التعبير باللفظ أو بالفعل أو بالإشارة أو بالصمت ، أي وسيلة تعبيرية كل هذه الوسائل التعبيرية تدخل في الحلال والحرام ، إن كانت حلالاً فهي طيبة وإن كانت حراماً فليست طيبة ، والمقصود بالحلال ليس عنوان أو ليس مادة الكلمة فإن الكلمة في ذاتها مشروعة في ذاتها ولكن في دلالتها هو الذي نتحدث عنه فمثلاً قد يقول قائل : إنه إن قال أنت رجل جيد وأنت رجل حسن وأنت رجل جميل ، هذا تعبير في ظاهره طيب إن قال هذه العبارة أو إن قالت المرأة الأجنبية هذه العبارة لرجل أجنبي كلمة خبيثة ، وإن كان في ظاهرها مزينة بالألفاظ الحسنة التي يظن الناس أنها حسنة إذاً الحسن ليس اللفظ في ذاته وإنما هو مدلوله والقبيح كذلك ، ربما كلمة لا إله إلا الله، كلمة لا إله كلمة قبيحة في ذاتها ؟ لا وإنما في مدلولها ، فيجوز للمدرس وهو يدرس الطلاب أن يعرف الناس ما معنى لا إله ويقف عند لا إله ويشرح ما معنى لا إله ، هذا ا الشرح وإن كان مضمونه في ذاته لا نقره ولا نعتقده إلا أن في مناسبة شرح الأستاذ للطلاب مناسبة جيدة وكلمة طيبة .

الكلمة الطيبة هي الكلمة التي يحل التعبير بها ليس لذات الكلمة وإنما لمدلولها ، والكلمة المحرمة هي كذلك التي نهى الشارع عن التعبير بها دلالة ، فالدلالة هو المقصود لأن الخطاب وسيلة للدلالة ، نحن

لا نتكلم من أجل الكلام وإنما نتكلم من أجل نقل المعاني من عندي إلى غيري ، وغيري ينقل المعاني عند نفسه إلي ، وسيلة التعبير والتخاطب كانت بالكلمة ، بالإشارة .

إذاً : الدلالة هي التي يحكم على كونها طيبة والدلالة التي يحكم على كونها خبيثة .

الدكتور عمر :

أكرمك الله دكتور سعد ، دكتور عربي القشاط جزاك الله خيراً ، يعني أنفق ما بين كفيك وأمسك ما بين فكيك ، أرجو أن تحدثنا بكلماتك الطيبة عن الكلمة الطيبة .

الكلمة طاقة وهبها الله للإنسان يمكن أن تكون هدّامة و يمكن أن تكون بناءة :

الدكتور عربي :

شكراً دكتور عمر تقدمتك لهذه الندوة مضيئة ، ماذا أضأت لنا من خلال مقدمتك ؟ أضأت لنا الحقيقة التالية : أن الكلام ليس عملية فيزيولوجية فقط وإنما الكلام عملية مركبة ، مركبة من بعد غير مرئي وبعد مرئي ، عندما وصفت بكلماتك الطيبة إذا أقفرت القلوب قحطت الألسنة ، تعبير مضيء وحقيقة عميقة ، من خلال هذه الكلمات البسيطة الجميلة ندرك أن هناك علاقة وثيقة بين مكنونات الأذهان ومنطوقات الألسنة ، وهذا يدلنا إلى تسجيل الحقيقة التالية : الكثير منا يعتقدون أن الكلمة لا تأثير لها ، ينبغي أن نذكر أن الكلمة طاقة من الطاقات التي وهبها الله عز وجل للإنسان ، وككل طاقة قد تكون هذه الطاقة الكلمة ذات تأثير هدّام سلبي ، وقد تكون ذات تأثير بناء إيجابي ، لكي تكون الكلمة التي ننطق بها ذات تأثير إيجابي وجب علينا أن نختار نوع المكيفات ، الإنسان كائن يتكيف معها ، الإنسان ليس مكيفاً ما يسمى عند علماء النفس الشروط التي تشرطن الإنسان ، فالإنسان يستطيع أن يتكيف ويتشكل انطلاقاً من موحيات علوية كما يستطيع أن يتسفل ويصير قيمة ، يخلد إلى الأرض ، يعني ينسلخ من الآيات التي أكرمه الله بها ليرتفع فهو الذي اختار الانسلاخ :

(وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آَتَيْنَاهُ آَيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ (175))

(سورة الأعراف)

إذاً هو الذي انسلخ مثل المصباح إذا قطعنا الخيط عن المغذيات مصدر الكهرباء .

المفاهيم الإسلامية تعشق الكلمة العربية لأنها تستوعب حكمة الله و مراده :

أنا دائماً أقول إن بين اللغة العربية والمفاهيم الإسلامية علاقة ود ومحبة ، فالمفاهيم الإسلامية لا تعشق إلا الكلمة العربية ، والكلمة العربية هي الوحيدة التي تستطيع أن تستوعب حكمة الله ومراده من خلقه ،

مثلاً في اللغة العربية الكلمة مشتقة من جذر يعني التأثير بإحدى الحاستين ، إما حاسة البصر وإما حاسة الأذن (السمع) ، فمثلاً العرب يقولون : كَلَمْته ، أي جرحته ، الكلم ندركه بعيوننا والكلام ندركه بأسماعنا ، هذا شيء رهيب جداً ، العرب يقولون أيضاً الكُلام ما غلظ من الأرض وصلب ، ما الذي يحول بيننا وبين أن تكون كلماتنا غير جارحة ؟ ما الذي يحول بيننا وبين أن تكون كلماتنا غير صلبة غير غليظة ؟ هو التلقي عن الله عز وجل ، وتشرب قيم الإسلام ، ومحاولة إخراجها للناس في شكل مسالك ولحكمة ما يذكرنا القرآن الكريم بأن وجودنا فيض وجود ، الوجود وجود الخلق فيض جود الله عز وجل ، وجود بمعناه الأشمل المادي والمعنوي .

العلاقة الوثيقة بين القلب و اللسان :

أشرت في تعليقك على أحد الأستاذين الفاضلين إلى حقيقة عظيمة عبرت عنها بلسان الحال ، ثبت من خلال الدراسات العملية والملاحظات لعلاقات الإنسان أن أدوات التوصيل ، الإنسان كائن تواصلي لا يستطيع أن يعيش بمفرده يتواصل من خلال قنوات عدة من أهم هذه القنوات الكلمات ، لكن ثبت أن التواصل بالكلمات لا يشكل إلا خمسة في المئة ، التواصل اللفظي عندما أتكلم مع شخص وأتواصل معه بواسطة الألفاظ (ألفاظ أي لغة)فإنني لا أستخدم إلا خمسة في المئة من كلمات اللغة والباقي خمسة وتسعين بالمئة ما عبرت عنه بلسان الحال ، هذا ما يعبر عنه بالتواصل اللا لفظي ، وهذا الذي يلفت أنظارنا إلى قيمة القلب إلى قيمة الوجدان ، وصدق النبي صلى الله عليه وسلم الذي يقول :

((لَا يَسْتَقِيمُ إِيمَانُ عَبْدٍ حَتَّى يَسْتَقِيمَ قَلْبُهُ ، وَلَا يَسْتَقِيمُ قَلْبُهُ حَتَّى يَسْتَقِيمَ لِسَانُهُ ، وَلَا يَدْخُلُ رَجُلٌ الْجَنَّةَ لَا يَأْمَنُ جَارُهُ بَوَائِقَهُ))

[أحمد عن أنس بن مالك]

علاقة اللسان بالقلب علاقة الثمرة بالبذرة ، علاقة المنتوج بالمنتج ، علاقة الظل بما يحمل ، علاقة الأثر بالمؤثر .

لذلك الإسلام في توجيهاته لنا من الناحية القلبية ، لما قبل أن أتكلم أسأل ثلاثة أسئلة ، لما أتكلم ؟ إذا كان الداعي غير موجود الصمت أولى .

الدكتور عمر :

لو أن كل عربي سأل نفسه هذا السؤال .

على كل إنسان أن يقصد في كلامه و ينطق بالمفيد فقط :

الدكتور عربي :

لما سمعنا صوتاً وكلمتك هذه تذكرني أو توحي إلي بأن أقول هذه الحقيقة عندما نزن أكثر كلامنا بميزان الإسلام فإننا نستنتج التالي ، نتكلم ولا نقول شيئاً ، كلام عبارة عن ضوضاء وضجيج ينطبق عليه المثل العربي الحكيم تسمع جعجعة ولا ترى طحناً ، فلو أن كل واحد منا سأل نفسه لما أتكلم ؟ السؤال الأول ، السؤال الثاني لأجل ماذا القصد من الكلمة ؟ الكلمة تحاط بقوتين حاميتين ، السؤال الأول الباعث ما الذي يبعث عن الكلام ؟ السؤال الثاني ما الهدف ؟ قد يكون الباعث جميلاً وقد يترتب عنه نتيجة سيئة ، دفع المضار أولى من جلب الموازنة ، يعني ما قيمة الضر الذي نتجنبه وما قيمة النفع الذي نريد أن نقدمه ، لذلك أكثر علماؤنا المربون أكثروا القول حتى لا تخرج الكلمة التي سكها الإسلام.

الدكتور عمر :

لما نتكلم ؟

الدكتور عربي :

هذا يجعلنا نقتصد في الكلام :

(وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ (19))

(سورة الأعراف)

ما معنى اغضض من صوتك ؟ المعنى تخفيض الصوت أيضاً وحذف كل الكلمات الهراء ، غض يعني صغر حجم الشيء .

الاقتصاد ينبغي أن يطبق أول ما يطبق على كلماتنا :

نحن نعيش في عالم خاصة ما يسمى بالعالم الثالث ، نحن مصابون أو مهووسون بالكم ، مثلاً أنا آخذ جريدة في باريس أجد صفحاتها لا تتجاوز الخمس ، وأقرأ العناوين أفهم أشياء كثيرة ، آخذ جريدة من جرائد العالم الثالث يدي تنكسر في حملها ثقيلة ، ثم أقول لنفسي ألسنا نشعر بمسؤوليتنا ؟ هذا تطرف ، تفريط كيف ؟ كم أنفقنا من أجل هذه الورقات التي سودتها كلمات فارغة ؟ كم من وقت سيضيع في مطالعة هذه الصفحات وكم وكم ؟ إذاً كلمة الاقتصاد ينبغي أن تطبق أول ما تطبق على كلماتنا ، ولا نستطيع ذلك إلا إذا وضعنا نصب أعيننا مردود الكلمات .

الدكتور عمر :

ما شاء الله دكتور عربي أكرمك الله نحن ندخل إلى الموضوع ، إضافة إلى ما قاله الدكتور الحقيقة

التلاحم وقد يشاركني بهذا الأمر الدكتور سعد هذا الأمر بين أغلب التعاريف اللغوي للكلمة والتعريف المصطلحي تجد أن اللغو فيها من الثراء ما يعطي هذا الأمر ، يعني العربي عرف كلمة شكر وكلمة شكور وكلمة شاكر ، أنا أعرف شاكر يعني الحمد لله ، قال العرب دابة شكور أي ظهرت عليها آثار النعمة ولما تظهر عليها آثار النعمة ، وقليل من عبادي الشكور ، الذين ظهرت عليهم نعمة الإسلام فقال الكلمة الطيبة ، إذا أردنا أن نقحم بهذا المنطق فقضية المصطلح مع اللغة الحقيقة ، اللغة ولادة سبحان الله .وقطر في مثل يقوم الآن سرت في أرض كلام فمن لهم مني كلام .....

دراسة النصوص الشرعية تحتاج إلى دراسة ما وراء النص :

الدكتور سعد :

ولهذا الأصوليون وجدوا أن في دراسة النصوص الشرعية تحتاج إلى دراسة ما وراء النص ؛ فيما يسمى بالمفهوم ، فتكلموا عن المنطق والمفهوم وأتوا بأحكام شرعية من خلال النصوص في ظاهرها ، كما أتوا بأحكام شرعية فيما وراء النص فيما يسمى مفهوم الموافقة ومفهوم المخالفة ، يعني في عموم قوله تعالى :

(فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا (23))

(سورة الإسراء)

قد يقول قائل إن الله نهاني عن أقول أف أما كلمة ما وراء ذلك لم يرد نص ؟ يقول الأصوليون بالإجماع هذا نص وإنما المراد به في دلالة الحال النهي عن الإيذاء فإذا كان الله قد نهى عن أدنى الإيذاء فما بالك بما هو ما بعد هذا ، وهكذا في كثير من المسائل .

علينا أن ننمي الكلمة الطيبة عند أبنائنا و بناتنا :

الدكتور عمر :

حقيقة القول أضاف علماء المنطق إلى علومنا الشيء الكثير ، دكتور راتب النابلسي بارك الله فيك الكلمة الطيبة نريد أن ننميها عند أبنائنا وبناتنا ، نريد أن تكون مجتمعاتنا فيها الكلمة النظيفة ، الصحفي يقول كلمة نظيفة ، والإعلامي يقول كلمة طيبة ، والمسؤول يقول كلمة طيبة ، والطالب يقول لأستاذه كلمة طيبة ، والمريدون الذين يصلون خلفنا نريد منهم كلمة طيبة ، وقالوا : إن لم تصاحبنا فلا تضاربنا، ما في داعي للمشاكسات والأمور على سعتها نريد أن ننمي الكلمة الطيبة ، نريد أن نراها باسقة الأغصان وارفة الظلال .

الكلمة الطيبة صدقة :

الدكتور راتب :

ولكن قبل أدلي بالمداخلة لي تعقيب لطيف على ما تفضل به الأخ الكريم ، من عدّ كلامه من عمله نجا ، الكلام عمل ، الإنسان يتكلم بكلمة لا يلقي لها بالاً يهوي بها في جهنم سبعين خريفاً .

السيدة عائشة وصفت أختها صفية بأنها قصيرة فقال عليه الصلاة والسلام :

((يا عائشة ، لقد قلت كلمة لو مزجت بمياه البحر لأفسدته))

[أبو داود]

الكلمة الطيبة ، الكلمة الطيبة صدقة ، الأنبياء جاؤوا بالكلمة الطيبة ، بماذا جاء الأنبياء ؟ بكلمة صادقة ، فلها طاقة كبيرة جداً .

على الإنسان أن يضبط كلماته وفق منهج الله :

الدكتور عمر :

دكتور راتب يقول المستمع الآن معذرة يا جماعة الخير أنتم أناس تعيشون في برج عاجي ومع بعض تتحدثون في العلم وأصوله ، وفلسفياً وفكرياً ولكن نحن نواجه في المجتمع أصحاب كلمة السوء في كل مكان يراها الرجل في بيته وعند جاره وفي عمله فماذا يصنع ؟ هل هو مكلف طوال حياته أن يضبط إيقاع كلماته على أن لا تخرج من فمه إلا الكلمة الطيبة ، نريد أن ننمي هذا الشعور عنده ولا يحبط .

الدكتور راتب :

بادئ ذي بدء هذه الكلمة الطيبة ما سببها ؟ لأن الله عز وجل فيما أعتقد كل أمر في كتابه يقتضي الوجوب .

الكلمة الطيبة فرض عين على كل مسلم :

نتوهم نحن أحياناً أن الدين الإسلامي الصوم والصلاة والحج والزكاة كل أمر في القرآن الكريم وفيما صحّ من السنة يقتضي الوجوب ، أنا أقول الكلمة الطيبة فرض عين كما تفضلتم كيف ؟ أولاً قال تعالى:

(وَالْعَصْرِ (1))

(سورة العصر)

يقسم بمطلق الزمن لهذا المخلوق الأول رتبة الذي هو في الحقيقة زمن ، ما من تعريف جامع مانع للإنسان كتعريف الإمام الحسن البصري أنت بضعة أيام ، كلما انقضى يوم انقضى بضع منك .

(وَالْعَصْرِ (1))

(سورة العصر)

جواب القسم :

(إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ (2))

(سورة العصر)

خاسر بنص القرآن الكريم وبجواب القسم كيف يا رب هو خاسر ؟ قال مضي الزمن يستهلكه ، ما من يوم ينشق فجره إلا و ينادي يا بن آدم أنا خلق جديد و على عملك شهيد فتزود مني فإني لا أعود إلى يوم القيامة .

الآن رحمة الله في كلمة إلا :

(إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ)

(سورة العصر)

هذه الأربع أركان النجاة ، ربع النجاة الكلمة الطيبة ، إلا الذين آمنوا تعرفوا إلى الله وعملوا الصالحات تحركوا وفق منهجه وتواصوا بالحق دعوا إلى الله وتواصوا بالصبر صبروا على معرفته وعلى تطبيق منهجه وعلى الدعوة إليه ، هذه السورة كما قال عنها الإمام الشافعي لو أدرك الناس أبعادها لوسعتهم .

على الإنسان أن يدعو إلى الله على بصيرة بالدليل و التعليل :

الآن كيف أقول هي دعوة إلى الله فرض عين ؟ أولاً من هذه الآية وتواصوا بالحق ربع النجاة ، وفي آية ثانية :

(قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي)

(سورة يوسف الآية : 108)

فالذي لا يدعو إلى الله على بصيرة بالدليل والتعليل ليس متبعاً لرسول الله بنص هذا القرآن والآية الأخرى تقول :

(قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي)

(سورة آل عمران الآية : 31)

علامة الحب وعلامة الود أن تتبع النبي صلى الله عليه وسلم ومن اتباعه أن تدعو إلى الله على بصيرة، إذاً الكلمة الطيبة صدقة ولكن النقطة الدقيقة أن الدعوة إلى الله أيضاً دعوتان فرض عين وفرض كفاية ، فرض العين واجبة فرضاً على كل مسلم ولكن في حدود ما يعلم ومع من يعرف :

((بلغوا عني ولو آية))

[أخرجه أحمد والبخاري والترمذي عن ابن عمرو]

الدعوة إلى الله فرض عين في حدود ما تعلم ومع من تعرف :

الأخ المسلم حضر خطبة جمعة تأثر بها كثيراً ما الذي يمنع أن ينقلها لمن حوله لأصدقائه ، لجيرانه ، لأولاده ، لزوجته ،

((بلغوا عني ولو آية))

الحق حينما يطبق المسلمون هذا الأمر الإلهي يتنامى الحق وإذا تنامى الحق ضيق على الباطل ، أما إذا سكت الناس جميعاً واكتفوا بالسلامة فيما يزعمون تنامى الباطل وضغط على الحق ، إذاً الدعوة إلى الله التي هي فرض عين في حدود ما تعلم ومع من تعرف ،

((بلغوا عني ولو آية))

إلا أن الدعوة إلى الله التي هي فرض كفاية دعوة تحتاج إلى تفرغ وتبحر وتعمق اختصاص ، هناك من يتوهم أنا لست داعية ، أخي أنت مسلم سمعت من خطيب المسجد شرح لآية تأثرت بها كثيراً انقلها لمن حولك .

القدوة قبل الدعوة :

إذاً الكلمة الطيبة فرض عين على كل مسلم ولكن المشكلة أن هذا الكلام الطيب فعل المستحيل في عهد الأنبياء كيف أن إنساناً واحداً قلب وجه الأرض له شروط ، أنا أقول دائماً القدوة قبل الدعوة ، لن يصغي الناس إليك إلا إذا رأوا في سلوكك مصداقاً لما تقول ، كان سيدنا عمر إذا أرد إنفاذ أمر جمع أهله وخاصته وقال إني قد أمرت الناس بكذا ونهيتهم عن كذا والناس كالطير إن رأوكم وقعتم وقعوا و أيم الله لا أوتين بواحد وقع فيما نهيت الناس عنه إلا ضاعفت له العقوبة لمكانه مني ، صارت القرابة من عمر مصيبة .

أنا أرى أننا إذا اتبعنا النبي عليه الصلاة والسلام الآن يغدو كلامنا مؤثراً متى تكون الكلمة الطيبة مؤثرة؟ متى تفعل المستحيل ؟ متى تقلب الإنسان انقلاباً إيجابياً كلياً ؟ إذا كان المتكلم مطبقاً لما يقول ، إذاً الكلمة الطيبة صدقة ولا بد من أن يكون من وراء هذه الكلمة سلوك .

الدكتور عمر :

دكتور راتب مثلاً وصفة بسيطة في كلمتين كيف أنميها وأنا رجل محاط بأصحاب السنة حداد مثلاً سوف يقول السائل هكذا يا جماعة الخير أنا أسمع في الشارع كلمات بذيئة أسمع في الإعلام كلمات كذا أسمع هنا وهناك ، أنا أريد أعطوني قوة دافعة حتى أستطيع أنا أن أكون مولداً ذاتياً للكلمة الطيبة وليس متأثراً حينما أحضر خطبة الجمعة أو حينما أسمع للدكتور راتب أو الدكتور سعد أو ...

السلوك دعوة إلى الله خالصة :

الدكتور راتب :

والله حينما يخلص الإنسان في إلقاء الكلمة الطيبة وحينما يطبقها لها فعل لا يتصور ، حينما يخلص في إلقائها ويخلص في تطبيقها ، لذلك قضية التأثير وأنا أقول دائماً ليست المشكلة أن يكون هناك باطل ، هناك باطل ، هناك كلمات بذيئة :

(وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ (26))

(سورة إبراهيم)

يعني الباطل كان زهوقاً مهما كان الباطل طويل الأمد أو قوي ينتهي إلى زوال أما الكلمة الطيبة صدقة:

(ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ (24))

(سورة إبراهيم)

تنطلق من حقائق .

(أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ (24)تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا (25))

(سورة إبراهيم)

إذاً الكلمة الطيبة تحتاج إلى مصداقية ، الأنبياء جاؤوا بالمصداقية ففعلوا المستحيل ونحن نتكلم كثيراً ولكن لو صمتنا أنا أقول هناك مصطلح جديد هو الدعوة الصامتة اسكت ، أحياناً أمانتك دعوة ، صدقك دعوة ، عفتك دعوة ، استقامتك دعوة .

الدكتور عمر :

السلوك دعوة .

الكلمة الطيبة لا تعيش إلا بالمثل الأعلى :

الدكتور راتب :

السلوك دعوة إلى الله خالصة ، الكلمة الطيبة كما تفضل الدكتور لها مفهومات واسعة جداً ، القصد بالكلمة الطيبة مدلولها فأنت حينما تعامل إنساناً تشده بصدقه بأمانته بحسن أدبه بضبطه للسانه تشكره وتكبره ، إذاً الكلمة الطيبة لا تعيش إلا بالمثل الأعلى ، لو أن القضية يمكن أن تكون كلاماً بكلام ما في داعي للمدرسين إطلاقاً لكن لا يمكن أن يؤخذ العلم إلا من رجال طبقوا هذا العلم ، الكلمة الطيبة تحتاج إلى مثل أعلى .

الدكتور عمر :

لا بد من القدوة ، لا بد من الصدق ، لا بد من الصبر .

الدكتور راتب :

القدوة قبل الدعوة ، الآن الإحسان قبل البيان أنت يمكن أن تفتح قلب الإنسان بإحسانك بعدئذٍ تفتح عقله ببيانك ، ابدأ بفتح قلب الإنسان بإحسانك عندئذ تفتح عقله ببيانك .

الدكتور عمر :

شكر الله لك .

العبرة ليس النطق باللفظ وإنما العبرة بدلالة الكلمة ومدى مشروعيتها وعدم مشروعيتها :

الدكتور سعد :

في مداخلة صغيرة يعني أفك الإشكال ما بين الكلمة الطيبة التي قال عنها الدكتور راتب بحق أنها فرض عين وبين انزعاج الآخرين، حينما يقول كيف نتمكن من الكلمة الطيبة ؟ لعلي أفرق بين مصطلحين المصطلح الأول الكلمة الطيبة التي بينا أنها الكلمة الحلال إذاً لا يجوز لمسلم أن يتكلم بكلمة حرام ، فالكلمة الطيبة ترادف الكلمة الحلال فإذاً ما تفضل به الدكتور النابلسي بأنها فرض عين حق لأنها هي الحلال وما عداها هو الحرام ، صار كل من يتحدث بكلمة خبيثة ارتكب أمراً محرماً ولكن لا ينزعج فإن الكلمة الطيبة معنى الكلمة الطيبة اللفظ العام الذي يتبادر إلى الذهن من التلطف والرقة وغير ذلك أبداً هذا ما يسمى القول الكريم ، الكلمة الطيبة الحد الأدنى فيها أن تكون حلالاً بمعنى ألا يكون فيها غيبة ولا نميمة فإنها من الكبائر ، أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه فكرهتموه ، أشار النبي عليه الصلاة والسلام إلى قبرين يعذبان فقال أما أحدهما فكان يمشي بالنميمة وأما الآخر فكان لا يستبرئ من بوله ، فدلّ على أن الغيبة والنميمة من الكبائر العظام إذا ما فعلها الإنسان بلفظ لطيف كانت كبيرة ، إذاً العبرة ليس بالنطق باللفظ وإنما العبرة بدلالة الكلمة ومدى مشروعيتها وعدم مشروعيتها ، فالكلمة المشروعة هي الكلمة الطيبة ، الكلمة الحلال هي الكلمة الطيبة أما الكلمة التي فيها إثم كالغيبة والنميمة صارت محرمة .

الأحكام الشرعية للكلمة الطيبة متعددة :

أيضاً تتعدد الأحكام الشرعية للكلمة الطيبة يعني من حقه أن يتكلم بكلمة غير طيبة في حال الاستثناء في مثلاً في قوله تعالى :

(لَا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَنْ ظُلِمَ (148))

(سورة النساء)

فجعل استثناء من استشعر بالظلم أن يرد ظلامته فكان رد هذا وإن كان الأولى به أن لا يتكلم كلمة تزعج وأن يصبر ويحتسب إلا كونه بشراً من حقه أن ينطلق برد فعل .

الدكتور عمر :

الإسلام دين واقعي لا يتكلم في خيالات ولا يتكلم إذا ضربت على خدك الأيمن .

الدكتور سعد :

صدقت هذا هو لأن الإسلام يعامل الإنسان بطبعه وبحسب سير الاتجاه الطبيعي للإنسان لا مضاد للطبيعة ، أيضاً الكلمة الطيبة التي هي حلال هي حكم الأصل ترتقي إلى الواجب وترتقي إلى المندوب وقد تهبط إلى المكروه وقد تنزل إلى الحرام ، فكانت الكلمة الطيبة هذا الحكم المعتاد وهو ما نسميه بالفقه الإسلامي حكم الأصل في الكلام أن يكون طيباً أن يكون حلالاً قد يكون واجباً مثل ما يتلفظ الإنسان مع أهله مع زوجته ومع أولاده من تربية وتعليم وتوجيه ونصح هذه مسؤوليته من مسؤول عن زوجته إلا هو ؟ من مسؤول عن أولاده إلا هو ؟ من مسؤول عن أهله إلا هو ؟ أيحب أن يأتي رجل من خارج البيت لكي يدخل بيته ويربي أهله وأولاده ، هذه مسؤولية كل إنسان .

الدكتور عمر :

بعض الناس يقولون بصراحة المشايخ هؤلاء في الفضائيات وغيرها دخلوا حتى في بيوتنا العادية ، ولا يتركونا نحن نرتب أمورنا .

الدكتور سعد :

هذا هو الإسلام .

الدكتور عمر :

اعتراضه أن نستخدم معه فقه الأذنين ، نأخذه من الأذن ويخرج من الأذن الأخرى.

الإسلام دين النصح و الخير للإنسان :

الدكتور سعد :

هو ترك خيراً كثيراً ، هو الأولى به أن يقول ما رأي الإسلام ؟ كيف آخذ بدفع أسرتي للإسلام ؟ ، وهكذا ، وهو ينتفع بآلية جاء الإسلام آلية تخدم الإسلام ولم يأتِ الإسلام لكي يقيد الناس ولم يأتِ الإسلام ليأخذ منا شيئاً وإنما جاء الإسلام لكي يعطيهم النصح والخير الكثير فعلى كل إنسان أن يسعى إلى هذه المعرفة ، أيضاً الكلمة الطيبة قد تكون مكروهة في حال كونها ليست حراماً وإنما الأولى أن

يتركها ، وقد تكون مندوبة إذا كان فيها نصح للغير وبذل للآخرين ، وقد تكون واجبة في خدمة أسرته ، وقد تكون محرمة في هذه الكلمة البذيئة التي يخرجها للوقيعة بين الناس .

الدكتور راتب :

الحسن ما حسنه الشرع والقبح ما قبحه الشرع .

الدكتور سعد :

العقل أيضاً يعلم بفطرته إلا إذا كان هناك نص في الشارع ، فالشرع والعقل متوازيان .

الدكتور عمر :

بارك الله فيكم الدكتور عربي القشاط الكلمة لها قيمتها ولها آثارها ونحن يبدو أننا عندما لم ندرك قيمة الكلمة ما انتبهنا إلى الآثار التي تترتب كلمة مكثت في عقل عائلتين وتوارثت العائلتان كراهية وضغينة وشحناء وبغضاء ، كيف ندرك قيمة الكلمة ثم ندرك الآثار المترتبة على هذه القيمة ؟

قيمة الكلمة و الآثار المترتبة عليها :

الدكتور عربي :

إذا سمحت لي دكتور عمر أقول إن أسئلتك ليس أسئلة استفسارية ولكنها توجيهية جزاك الله خيراً ، فأنا سررت جداً للسؤال الأخير كأنك تريد وهذا من واجبك كمدير لنا أن تقول لنا كفانا تجريديات وعودوا إلى أرض الواقع ، السائل الذي يسأل هذا السؤال ماذا أفعل وأنا أغرق في كل لحظة من لحظات حياتي في بيئة لا تصدر في أغلب الأحيان إلا كلمات لا تليق .

الدكتور عمر :

تلوثاً سمعياً .

الدكتور عربي :

أحسنت ، لو كان هذا الأخ الكريم أمام مجرى ماء ملوث هل هذا ما سيطرحه على نفسه أم سيطرح سؤالاً آخراً ؟ لا شك أنه سيقرر بأن هذا الماء لا يناسبه لأنه إذا شربه هلك ، والماء شيء حيوي ، ينبغي أن نتذكر أن الكلمة شيء حيوي كالماء في عالم المعاني ، أن نستدرك قيمة الماء لأنه إذا ما شرب بعد فترة يموت ، لكن الكلمة أيضاً كلمة حيوية تدل على حياة أو موت من تصدر عنه ، كما تدل على حياة أو موت من يستقبله ، فيبحث لنفسه يقول هذه الكلمات الملوثة سأنصرف عنها كانصرافي عن الماء الملوث هذه الخطوة الأولى .

الخطوة الثانية يجب أن أشارك في إنشاء وسط اجتماعي تقل فيه الكلمات الملوثة وتتنامى فيه الكلمات المنعشة ، الكلمات الحية المحيية .

الدكتور عمر :

هو يشارك في تهذيب كلمات الآخرين .

على كل مسلم أن يشارك في سلامة المجتمع :

الدكتور عربي :

لا أكتفي أنا بالتصوير السلبي ، المسلم لا يكون سلبياً ، المسلم يسلم باطنه ، يسلم لسانه ، تسلم معاملاته ويشارك في أسلمة أو في سلامة المجتمع وهذا ما يعبر عنه في مناهجنا التربوية الصلاح والإصلاح ، هذا أعلى الدرجات ، المؤمن عشاق للكمال مطالب إذا توافرت الشروط بمشاركة في التكميل ، ذكرت كلمة أعجبتني أنا مثلاً إذا ذهبنا إلى السوق وأردت أن أشتري هذا الإناء وأنا أعلم أنه ضروري لحياتي أول ما سأسأل سألقي نظرة على جودته أو عدم جودته ، ثانياً سأسأل عن قيمته إذا قال لي البائع إن قيمة هذا الإناء عشرة دراهم ، أنا أعرف عشرة دراهم منغرسة في وعيي و لا وعيي ، قبل أن أُقدم أنا أعرف أني سأدفع القيمة ، كم مرة يقول بعضنا لبعض السلام عليكم ؟ اللسان يقولها ولا يكاد المُسَلَّم عليه أن يستدبرني أو يستدبر بعض الأوساط حتى يصبح طعماً سائغاً ، نغتابه نُقطع عرضه ، نؤول كلماته تأويلات سيئة ، إذاً كلمة السلام عليكم الذي تلفّظ بها اللسان أصبحت من الناحية الاجتماعية عملة لا رصيد لها .

على كل إنسان مراعاة القيمة الجمالية و الذوقية للكلمة :

إذاً نحن نرتكب جريمة كبيرة عندما نغفل عن قيمة الكلمة ، لماذا نغفل عن قيمة الكلمة ؟ الغرب الآن والشرق (إلا ما رحم الله في بلادنا وفي الغرب أيضاً)بعض الناس العقلاء ، يعني كلمة قيمة لا مدلول لها إلا مدلول البورصات ، أما القيمة المعنوية القيمة الخلقية القيمة الذوقية ، يا أخي أنت عندما المسلمون يقرؤون أو يسمعون الله عز وجل في كتابه الكريم يقول لنا :

(كُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ (141))

(سورة الأنعام)

ونفس الكلمات لكنها تختلف كلمة واحدة :

(انْظُرُوا إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ (99))

(سورة الأنعام)

هنا البعدان البعد الجمالي ، انظروا لماذا انظر ؟ لأنني إذا نظرت عيني تأكل إذاً يجب أن يستشعر المسلم البعد الجمالي لكلمته ، فالكلمة ذات أدوار متعدد تؤثر لأنها تعبر عما في ضميري ، ترسم هدفاً من الأهداف ، تبعث في الآخر روح الانبساط ، هذا التواصل الكلمة الخيرة ، إذاً البعد الجمالي للكلمة لماذا القرآن الكريم ينهانا :

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا انْظُرْنَا (104))

(سورة البقرة)

أنا لم أرجع إلى القاموس لا أجد فرقاً كبيراً بالأصل راعنا وانظرنا لكن الكلمة تلوثت ؛ لوثتها ألسنة الآخرين فنهانا القرآن الكريم عن استخدامها ، إذاً انتقلنا من المعنى المعجمي إلى المعنى النفسي إلى المعنى الاجتماعي .

مثلاً مراعاة الأعراف ، مثلاً لو آتي أنا وأقول لولد من الأولاد أعرفه وأعرف أمه وأعرف أباه ، أبوك مثلاً محمد بدل أن أقول أبوك أقول زوج أمك سيشمئز منها مع أنني عبرت عن حقيقة ، إذاً الإحساس الذوقي يجعلنا لا نستخدم الكلمة النابية بالنسبة للأذواق ، أنا أقول له أبوك أو أقول له زوج أمك ، المدلول هو هو .

الدكتور عمر :

دكتور عربي قال أبو بكر للبائع في السوق هلا بعتني هذا الثوب؟ قال البائع لا عافاك الله ، قال هلا قلت لا وعافاك الله . التقطت أذن الصدّيق هذه الواو . قاطعتك .

الكلمة طاقة عجيبة مثمرة إذا أحسنا استخدامها ومخربة إذا أسأنا استخدامها :

الدكتور عربي :

بالعكس أثريت ، أثريت ، أيضاً اليوم شيء تعلمناه منك في خطبة الجمعة قضية العجلة ، الكلمة مثل القذيفة والذي يقذف يجب أن يصوب وهذا الذي أشار إليه القرآن الكريم حتى من الناحية اللغوية : اتقوا الله ، هذا البعد الباطني وقولوا قولاً سديداً ، ما معنى السديد ؟ يسدد ، إذا استدعت الحالة الراهنة أن أقول هذه الكلمة قلتها هذا أولاً ، ثانياً يجب ألا تخطئ الكلمة القصد التسديد في مكانها ، قد تكون كلمة بعض الناس يخطؤون يقولون لك يا أخي أنت لماذا لا تقول كلمة الحق ، ما المقصود من كلمة الحق ؟ كلمة الحق مثل كلمة الباطل مثير ، أنا ماذا أريد ؟ أنا أقصد إلى أن أساعد مخاطبي على الاستجابة الجميلة فموقفه أو رده اللفظي أو الاجتماعي ينبني على الكلمات التي أقولها ، لماذا نقرأ في السيرة الشريفة وفي السنة المطهرة لم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم سباباً ولا شتاماً :

(وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ (108))

(سورة الأنعام)

سبُنا لا قدر الله إثارة وسبهم لله عز وجل رد فعل ، الكلمة حقيقة طاقة عجيبة مثمرة إذا أحسنا استخدامها وطاقة مخربة إذا أسأنا استخدامها .

العاقل من يحلل الكلمة إلى عواملها الأولية تجاه أي مشكل :

أشرت إلى أن في ساحات المجتمعات كتل من الكلمات البذيئة ، العقلاء حينما يجدون أنفسهم تجاه مشكل من المشكلات يحللون المشكل إلى عوامله الأولية هكذا حتى نحلل ننزل إلى أصغر وحدة ، ما هي أصغر وحدة ؟ الأسر ما هو نوع الكلمات التي تصدر من الأب أمام أبنائه إلى الأم ، ما هو رد الأم للأب ؟ مثلاً من عادة العرب قبل الإسلام كان الزوج لا ينادي زوجه إلا بـ (يا أم فلان)وكان هذا بأعراف العرب دلالة تقدير وإكرام ، أما إذا جاء الأب وقال بحضرة أبنائه اسمعي بدون اسم ثم هذه المفاجآت فالأطفال حينما يخرجون إلى المجتمع ، والأطفال مولعون بالتقليد وخاصة بتقليد أقرب الناس إليهم الأب والأم ، إذا جاء شخص إلى الباب ويجب أن يأتي في الوقت المناسب لأن ما يزعج الناس و يقول أنا أتيت للشيخ عمر و ما أجاب ، لا أجيب ، في آداب زيارة ، في مواقيت زيارة ، في مراعاة الظروف أنت مثلاً لو تجيب عن كل التليفونات التي تأتي يلزمك أربع وعشرين ساعة في خمسة على الأقل ، إذا جاء وقال الأب لأحد أبنائه قولوا لفلان بأن أباكم غير موجود ، بعد ذلك إذا خرج هذا الولد وعاش المجتمع إذاً الكلمة غير موجود لا مدلول لها ولا قيمة لها ، كلمة قل عند العقلاء هي مفتاح الذي يفتح أفاق الجمال والكمال :

(وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا (83))

(سورة البقرة)

وعجيب من تعبيرات يعني دلائل الإعجاز بهذه اللغة المفروض أن نقول وقولوا للناس قولاً حسناً ، لماذا حذف القول ؟ وإذا عبر بالمصدر عن الكلمة ، إن قولكم بواعثه ، طريقة أدائه ، نتائجه إذا لم تكن حسنة فهو لغو ، فالآن نسال أنفسنا هل نحن متكلمون أم لاغون :

(وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا (72))

(سورة الفرقان)

وهذا دليل على الأهمية التي يلويها الإسلام للكلمة .

الدكتور عمر :

أكرمك الله يعني لا أدري على أي شيء كل كلماتكم قيمة ومضيئة وتضعون أصابعكم على الداء والعلة، دكتور راتب أنا إذا أردت أي واحد منكم معذرة أن يعمل مداخلة لا داعي وأنا مستمتع

بالاستماع .

تأثير الكلمة :

الدكتور راتب :

أنا أريد أن أُبين أن متى تكون الكلمة مؤثرة ومتى يتأثر بها الإنسان ؟ لأن في بلد عربي وجد أن في خمسين ألف طن من الكتب الكاسدة فحولت إلى معمل عجينة الورق فجاء رجل عمل تعليقاً قال وهنا يتحول اللت إلى عجن ، في كلام فارغ فمتى تكون الكلمة مؤثرة ؟ قال الإمام العكبري : القرآن الكريم تؤخذ ألفاظه من حفاظه وتؤخذ معانيه ممن يعانيه ، فالإنسان حينما يكون له صلة بالله ، حينما يطبق منهج الله ، حينما يغض بصره عن محارم الله ، حينما يؤدي زكاة ماله ، حينما يجهد في خدمة الخلق إذا تكلم بهذه المعاني ترك أثراً منقطع النظير ، لأنه عبر عن تجربة ، عن واقع ، دائماً وأبداً في عندنا واقع وفي كلام ، مرة سمعت أن الكلام يساوي ستة بالمئة من الواقع فإذا كان في مصداقية ارتفع إلى أن يبلغ المئة بالمئة ، فأنا متى أؤثر ؟ حينما أبدأ بنفسي ، حينما أطبق ما أقول ، أنا حينما أنطلق من تجربة صادقة ، من واقع أعيشه ، من مشاعر أعانيها(أشعر بها)، من موقف بطولي ، الآن إذا تكلمت لحكمة بالغة بالغة بالغة الله عز وجل يهب لهذا الكلام قوة تأثير قوية جداً ، قد يكون هذا ليس من ذكائي .

الدكتور عمر :

يعني دكتور راتب عمل رجل في ألف رجل خير من قول ألف رجل في رجل ، ما قيمة الكلام إذا ما لم تتحول إلى واقع الناس .

الكلام يجب أن يُلامس واقع الناس ليكون مؤثراً فيهم :

الدكتور راتب :

تؤخذ ألفاظه من حفاظه ، وتؤخذ معانيه ممن يعانيه ، فالإنسان حينما يعبر عن تجربة ، عن واقع ، عن مشاعر ، عن مواقف بطولية ، يأتي كلامه مؤثراً إلى درجة مذهلة ، ومرة قلت أنا ليست المشكلة أن يكون هناك كلم غير طيب البطولة ألا تنفرد الساحة بكلام غير طيب ، ما دام في بقعة مضيئة واحدة إن شاء الله هذه اللقاءات كلمات مضيئة تضيء للأخوة الكرام المشاهدين فإذاً أنا أؤثر حينما أنطلق من واقع، أنطلق من صدق ، أنطلق من تجربة ، أنطلق من معاناة ، أنطلق من بطولة ، أنطلق من موقف ، الآن متى أتأثر أنا أضرب مثلاً لو أن امرأة لا تنجب قرأت قصة لكاتب لا بأس به عن المرأة العاقر ممكن أن تبكي مئات المرات أثناء القصة لأن هذه القصة تضع اليد على جرحها ، أما امرأة عندها

عشرة أولاد وهي تضجر بهم لو قرأت هذه القصة لم تتأثر إطلاقاً واقعها يناقض هذه القصة ، فالذي يستمع حينما تضع يدك على جرحه يتأثر .

كل امرئ مخبوء تحت لسانه :

الدكتور عمر :

دكتور راتب العجيب تعريف البلاغة في اللغة العربية هي : مراعاة مقتضى الحال يعني إذا كان معذرة بشار لما قال لرباب التي تعمل ، لا تفقه في اللغة ولو غير اللغة قال لها معلقة امرؤ القيس ما فقهت ، قالت : تقول في الناس شعراً ولا تقول في ، قال :

ربابة ربة البيــت تصب الخل في الزيت

لها عشر دجاجات وديك حسن الصـوت

* * *

وهذا من أبلغ البلاغات .

الأعرابي الذي يريد أن يخفف ، عندما وصل إلى دمشق أشيع أن عبد الملك بن مروان قد انتقل إلى رحمة الله فالخبر لم ينتشر بعد ، أقبل الأعرابي وقال : مات الخليفة أيها الثقلان ، فالكل التفت وقالوا والله هذا الأعرابي قد نعى الخليفة إلى الإنس والجن ، أكمل يا رجل ، قال كأنما أفطرت في رمضان . المرء مخبوء تحت لسانه ، في أناس أحياناً يا ليته كان ساكتاً ، كنت جيداً .

من ربط حاجات الإنسان الأساسية بدعوته أقبل الناس عليه :

الدكتور راتب :

الآن الداعية يتكلم بالكلمة المضيئة إن شاء الله ولكن حينما يبحث عن حاجات الإنسان الأساسية ، الإنسان بحاجة إلى الأمن ، بحاجة إلى الكفاية ، بحاجة إلى صحة ، بحاجة إلى توفيق الله عز وجل ، حينما يربط الداعية حاجات الإنسان الأساسية بدعوته يقبل الناس عليه ، أما إذا عالج موضوعاً بعيداً عن اهتماماتهم فلذلك بطولة الخطيب أو الداعية في اختيار الموضوع أولاً ، موضوع حيوي ، موضوع مؤثر ، موضوع يومي ، واقعي ، لأن العلم : الوصف المطابق للواقع مع الدليل ، فأي كلام ابتعد عن الواقع فقد قيمته ، وأنا أقول دائماً أي قضية في الدين إن لم يبنَ عليها موقف أو عمل أو حكم شرعي لا جدوى منها ، هناك موضوعات كثيرة جداً لا تقدم ولا تؤخر ، أنا أقول كل علم ممتع لكن ما كل علم

ممتع بنافع وما كل علم ممتع نافع بمسعد ، فالبطولة أن تبحث عن موضوع ممتع ونافع ومسعد وأن تضع يدك على مشاعر الناس وعلى حاجاتهم .

الدكتور عمر :

دكتور راتب شكر الله لك ، دكتور سعد تفضل .

على كل مسلم أن يسعى إلى الكلمة الطيبة الذي يحصل بها الأجر :

الدكتور سعد :

الفكرة أنه عندما يعلم الإنسان أن الكلمة الطيبة ترفع به من حضيض الأرض إلى عنان السماء :

(إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ (10))

(سورة فاطر)

يسعى كل مسلم إلى الكلمة الطيبة الذي يحصل بها الأجر ، فمن خلال كلمة التي أزعج البعض المستمع من أن الكثير من الكلام مع قليل من المعاني و أننا تحولنا إلى متحدثين أو إلى لاغين أكثر من تعاملنا مع واقعنا بالكلام المفيد يمكن للمسلم أن يستثمر كلامه هذا لكي يحصل أجراً ممدوداً إلى لقاء الله عز وجل .

الدكتور عمر :

ويظل أثر الكلمة .

على كل إنسان أن يستثمر لسانه بالكلمة الطيبة :

الدكتور سعد :

يستثمر هذا اللسان فينطق به الكلمة الطيبة ونطقه للكلمة الطيبة في كل مناحي الحياة فإذا كان مثلاً في المعاملات كما يذهب الفقهاء يلتزم الصدق فإن الرجل ما يزال يصدق حتى يكتب عند صديقاً ، وإياكم والكذب فإن الكذب يهدي للفجور والفجور يهدي إلى النار ولا يزال الرجل يكذب ويكذب حتى يكتب عند الله كذاباً ، هذا ما ورد في تعاملات الفقهاء في كل أبواب الفقه ، ففي البيع مثلاً أخذوا حديث حكيم بن حزام في الصحيحين البخاري ومسلم :

((البيِّعانِ بالخيارِ ما لم يَتَفرَّقا))

أو قال :

((حتى يتَفرَّقا ، فإنْ صدَقا وبيَّنا ، بُورك لهما في بيعهما ، وإن كَتَما وكَذَبا ، مُحِقت بَرَكَةُ بَيْعِهما))

الدكتور عمر :

الصفقات دكتور سعد أغلبها لا بركة فيها نتيجة من أنها .

الدكتور سعد :

إن كان صادقاً كان فيها بركة وإن لم يكن فيها صدق نجد تجاراً يبارك الله في تجارتهم في وقت قياسي، وهناك تجار آخرون يسعون بأعمال وبفروع ويكاد الكساد يلاحقهم. الصدق كما ورد في الحديث الآخر:

((التَّاجِرُ الأمينُ الصَّدُوقُ : مع النَّبيِّين والصِّدِّيقين والشُّهداء))

[أخرجه الترمذي]

هذه قيمة كلمة الصدق في التعامل في التجارة .

على الإنسان أن يتعامل مع الآخرين معاملة راقية ليكسب ثواب الكلمة الطيبة :

كذلك ورد في الصحيح : أن النبي عليه الصلاة والسلام نهى ولا تنابزوا ولا تناجشوا ، معنى تنابزوا أي أن يلقي أحدكم السلعة إليه دون اتفاق مبين بين الطرفين ، ولا تناجشوا ، أمر في غاية الغرابة وكثير من الناس يصنعونه وهو الدخول في المزاد من أجل أن يرفعوا السعر على الطرف الآخر هو لا يقصد الشراء وإنما يقصد المبالغة في رفع السلعة ليضر الآخر ؛ أو ليفوت عليه أن يشتري تلك السلعة ، أيضاً في قيمة فإذا ناجش ودخل في البيع وادعى أنه يزعم التجارة وطرح سعراً عالياً هذه كلمة خبيثة ، وإن كان قد رفع السعر فيها إنما كلمة خبيثة يحاسب عنها وتعتبر من الكلمات القبيحة التي سيحاسب عنها يوم القيامة ، كذلك في عكس هذا الكلمة الطيبة في كلمته مع زوجه عندما يُشعر الزوج زوجته بأنها شريكته وليست تحت أمرته و ليس هو من علي وهي من أسفل وإنما هما شركاء ، وقد ورد في الحديث القدسي :

((أنا ثالِثُ الشَّريكيْن ، ما لم يَخُنْ أحدُهما صاحِبَه))

[أخرجه أبو داود]

أيضاً يتعامل مع أبنائه معاملة راقية يؤدبهم ، يلاعبهم سبعاً ويؤدبهم سبعاً ثم يصاحبهم ، فكرة المصاحبة لعلها تكون منعدمة الآن ولعلها تكون غير موجودة في المجتمع ، ربما تكون ملاعبة عند كثير من الناس ، ينشغل الآباء عن مصاحبة أبنائهم وهذه مسؤولية لابد منها ، الكلمة الطيبة أيضاً ، في غير ذلك مع الصحبة ومع زمالة العمل ومع النفس ومع كل من يتعامل معه الإنسان في إمكانه أن يخرج من بيته ويعود في المساء يغدو خماصاً ويروح بطاناً من الثواب ، يخرج وجعبته فارغة ثم يعود وجعبته مليئة بالثواب بكلمة طيبة لمجرد أن يخرج السلام عليكم ممن يلاقيه من حارس العمارة أو من يلاقيه من العمال الذين يقومون بخدمته في الناحية الصحية والاجتماعية والسيارة وغير ذلك لا يستكثر

على نفسه فكرة السلام لعامل السيارة وإنما من خلال ذلك يجمع أشياء كثيرة من الثواب فيعود بطاناً في آخر المساء مع ثواب كبير بالكلمة الطيبة .

الدكتور عمر :

أنا أرى في هذا الحوار سوف يؤوب المشاهدون والمشاهدات بطاناً بالخير ، دكتور عربي أنا أراه يشحذ همته .

الإنسان مجبول على جلب الخير لنفسه ودفع الضر عنه :

الدكتور عربي :

أود الرجوع إلى ما تفضلت به المجتمع غير ما نتحدث عنه ، وسؤالك التوجيهي كان ما العمل لتقليص هذه الهوة ؟ الإنسان مجبول على جلب الخير لنفسه ودفع الضر عنه والله تبارك وتعالى هو الذي خلقنا ويراعي ميلنا هذا قال تعالى :

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا (70))

(سورة الأحزاب)

ما المردود ؟ :

(يُصْلِحْ لَكُمْ)

(سورة الأحزاب)

من منا لا يريد أن يصلح الله أعمالنا ؟ كلنا نريد :

(يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ (71))

(سورة الأحزاب)

إذاً لا مانع من أن نركز في تربيتنا الأسرية والمدرسية والاجتماعية وفي كل المؤسسات على المردود ، والإنسان إذا كان في مرتبة أولى لا يشعر إلا بالمردود المحسوس.

على الإنسان أن يشعر بمسؤولية الكلمة بواعثها طريقة أدائها و نتائجها :

الكلام التأثير الذي ندركه بإحدى الحاستين إما السمع أو البصر ، فمثلاً لو يأتي أحدنا ويروح إلى مؤسسة من المؤسسات ويقول له الموظف تعال في الساعة الثالثة يروح ما في موظف ، إذاً مدلول الزمن للاجتماع به صفر ، المرة الثانية يعود نفس الشيء المرة الثالثة فالمردود السلبي الذي نجم عن كلماتنا هذا يخلل المجتمع والأمثلة كثيرة ، في الأدبيات الفرنسية تعلمنا أن شخصاً كان يقول كلاماً لغواً كانوا مجموعة من الشباب يذهبون إلى شاطئ البحر وباللغة الفرنسية الماء الماء إذا قيلت بسرعة كأنها

ألو ألو تليفون ، كانوا كل مرة يسبحون ويسخر منهم ألو ألو يعني أنا غرقت غرقت فيأتون ويجدونه معافى بعد ما تكررت منه هذه الكلمات اللاغية بعد فترة سبح وغرق واستعمل نفس الكلمة ولم يأت رفاقه لأنهم قالوا كلماته مازحة فتركوه وغرق .

فنحن نتمنى ألا تكون كلماتنا وسيلة لإغراق أفرادنا ومجتمعاتنا فيما لا يعني ولذلك يجب أن يشعر كل واحد منا بمسؤولية الكلمة بواعثها ، طريقة أدائها ، نتائجها .

الدكتور عمر :

بارك الله لك دكتور عربي .

من شروط الكلمة الطيبة الواقع الموضوعي النقل الصحيح العقل و الفطرة :

الدكتور راتب :

في مداخلة ثانية لا زلنا في الحديث عن قوة تأثير الكلمة الطيبة ، أنا أرى أن الكلمة حينما تصدر عن نقل صحيح من الكتاب والسنة وعن عقل صريح يقبلها العقل الصريح غير التبريري ، وحينما تقبلها الفطرة السليمة لا المنطمسة ، وحينما يؤكدها الواقع الموضوعي حينما تكون الكلمة هي دائرة تتقاطع فيها خطوط النقل الصحيح والعقل الصريح والفطرة السليمة والواقع الموضوعي تؤثر ، استكملت الجوانب كلها ، فالواقع الموضوعي خلق الله والنقل الصحيح كلام الله والعقل مقياس أودعه الله فينا والفطرة مقياس آخر أودعه الله فينا فحينما تستكمل الكلمة الطيبة هذه الشروط تكون حقاً والحق هو الله عز وجل .

الدكتور عمر :

بارك الله دكتور راتب ، الحقيقة يعني ما رأينا أطيب من هذه الكلمات الطيبة .

من عصم نفسه من الغضب ملك أمر نفسه :

الدكتور سعد :

في حديث يحذرنا من الكلمة الخبيثة ، حديث إذا طبقناه ابتعدنا عن الكلمة الخبيثة :

((رجل قال : يا رسول الله قل لي قولاً وأقلل علي ، لعلي أعيه . قال : ' لا تغضب ' . فأعاد عليه مراراً ، كل ذلك يقول : ' لا تغضب '))

[رواه أحمد والطبراني في الأوسط ورواه أبو يعلى عن جارية بن قدامة]

فقال العلماء إن من الغضب ما يفضي إلى السوء والحرام ، فإذا عصم الإنسان نفسه من الغضب ملك أمر نفسه ولم يكن أمامه إلا اختيار الحلال .

والحمد لله رب العالمين

ندوات تلفزيونية - قناة الشارقة - كلمات مضيئة - الدرس (3-6) : الاستقامة على أمر الله
لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: 07-03-2008

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة :

الدكتور عمر :

ونبدأ بالدكتور راتب النابلسي ، دكتور راتب الاستقامة يعني نريد أن نهيم معك بقلوبنا وعقولنا في وادي الاستقامة ، وأسمعنا مما علمك الله من فضله ورحمته .

كل إنسان في أصل جبلته مفطور على حبّ الكمال والجمال والنوال :

الدكتور راتب :

بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آل بيته الطيبين الطاهرين ، وعلى صحابته الغر الميامين أمناء دعوته وقادة ألويته و ارضَ عنا وعنهم يا رب العالمين ، لابن القيم كلمة رائعة يقول من أعجب العجب أن تعرفه ثم لا تحبه ، ومن أعجب العجب أيضاً أن تحبه ثم لا تطيعه ، فالإنسان حينما يعرف من هو الله ، حينما يعرف الآمر ثم يتلقى أمره يتفانى في طاعة الآمر ، أما حينما يعرف الأمر بحكم دراسته في المراحل المدرسية أو حضوره بعض الخطب ، حينما يعرف الأمر ولا يعرف الآمر يتفنن في التفلت من الأمر ، ذلك أن الإنسان في أصل جبلته مفطور على حبّ الكمال والجمال والنوال ، الله جل جلاله أصل الكمال و الجمال والنوال فإذا عرفنا الله تفانينا في طاعته .

من أعجب العجب أن تعرفه ثم لا تحبه ومن أعجب العجب أن تحبه ثم لا تطيعه ولكن ...

الدكتور عمر :

ما عودنا إلا خيراً .

الدكتور راتب :

على وجه الأرض ستة آلاف مليون إنسان كل هؤلاء من دون استثناء جبلوا جبلة واحدة واكتسبوا فطرة واحدة هم جبلوا على حبّ وجودهم وعلى حبّ سلامة وجودهم وعلى حبّ كمال وجودهم وعلى حبّ استمرار وجودهم .

الدكتور عمر :

عند الصغير والكبير .

الاستقامة على أمر الله أساس سلامة وجود الإنسان :

الدكتور راتب :

بدل أن نقول جبلوا أو فطروا أو برمجوا أو ولفوا في المصطلحات الحديثة ، هناك حبّ الوجود وحبّ سلامة الوجود وحبّ كمال الوجود وحبّ استمرار الوجود ، والإنسان أعقد آلة بالكون ، تعقيد إعجاز لا تعقيد عجز ، ولهذه الآلة صانع حكيم ، ولهذا الصانع تعليمات التشغيل والصيانة ، الجهة الوحيدة التي ينبغي أن تتبع تعليماتها هي الجهة الصانعة فلذلك الإنسان حينما يستقيم على أمر الله .

الدكتور عمر :

دكتور راتب الجهة الخالقة حتى لا يطلع لنا واحد ويقول لنا ، الله يرضى عليك يا رب .

الدكتور راتب :

الإنسان حينما يستقيم على أمر الله يحقق سلامة وجوده ، يحقق سلامة وجوده لكن حينما يعمل الأعمال الصالحة يحقق كمال وجوده ، أما إذا ربى أولاده تربية إيمانية يحقق استمرار وجوده ، سلامة الوجود أساسها الاستقامة على أمر الله وهذا موضوع هذا اللقاء الطيب ، وكمال الوجود هو البذل والعطاء عندئذ يرقى إلى الله دائماً هناك من يسأل في بعض حلقات العلم أنه هو مستقيم على أمر الله لكن لا يشعر بسعادة ، أنا أجيبه السعادة تحتاج إلى عمل صالح ، إلى بذل ، الاستقامة كلها سلبية يقول لك أنا ما كذبت ، ما أكلت مالاً حراماً ، ما اغتبت ، أكثر صفات الاستقامة .

الدكتور عمر :

البعد عن المنهيات أو المحظورات .

الإنسان عندما يستقيم يحقق سلامته فقط أما السعادة فتحتاج إلى عمل صالح :

الدكتور راتب :

الإنسان لما يستقيم يحقق سلامته فقط ما أكل مالاً حراماً ، ما اغتاب ، ما كذب ، ما غش.

الدكتور عمر :

دكتور راتب أن تريد أن تقول أن الاستقامة هي الحد الأدنى في طريق أو سلوك العبد إلى طريق الله ؟

الدكتور راتب :

سأوضح نحن في طريق ؛ في هذا الطريق عقبات كأداء كبيرة هذه تحول بيني وبين السير في هذا الطريق بادئ ذي بدء لا بد من أن أزيل هذه العقبات ، في دخل حرام ، في علاقة آثمة ، في غيبة ، في نميمة ، في تساهل بالعبادات ، كلما أزلت عقبة أصبح الطريق سالكاً إلى الله أما العمل الصالح هو الحركة على هذا الطريق .

الدكتور عمر :

نحن مع الآثام في حقل ألغام وكلما نزعنا لغماً كلما أمنا سلامة خطوة .

الدكتور راتب :

فإذا نزعت جميع الألغام أصبح الطريق سالكاً ، متى نتحرك إلى الله ؟ بالعمل الصالح والعمل الصالح يرفعه ، بالمناسبة :

(فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا (110))

(سورة الكهف)

أعمال الخير التي يمكن أن تنقلنا إلى الله عز وجل لا تعد و لا تحصى :

دكتور عمر بكل جيوش العالم في مجند وفي فريق وفي رتب بينهما ممكن مجند يلتحق بقطعة عسكرية ويقابل فريق بلا أذن ؟ مستحيل في كل جيوش العالم إلا في حالة واحدة أن يرى ابن هذا الفريق على وشك الغرق فينقذه يدخل ، هذا معنى قوله تعالى :

(فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا (110))

(سورة الكهف)

الاتصال بالله يحتاج إلى عمل ، إلى عمل تقدمه بين يدي الله عز وجل ، خدمت إنساناً ، نشرت دعوة ، عالجت مريضاً ، أطعمت فقيراً ، رحمت أرملة ، الأعمال الصالحة كثيرة والطرائق إلى الخلائق بعدد أنفاس الخلائق ، فالإنسان يحقق سلامته باستقامته .

الدكتور عمر :

هل هي طرائق أم هي طريق واحد ؟

الدكتور راتب :

قصدت بالطرائق الأعمال الصالحة ، أعمال لا تعد ولا تحصى ، هذا أنشأ بناء ، مسجداً ، قصدي بالطرائق أعمال الخير التي يمكن أن تنقلنا إلى الله عز وجل .

الدكتور عمر :

دعني أن أكون أذناً .

الدكتور راتب :

أنا شاكر جداً ، أنت أستاذنا ، أنت عالم جليل وداعية كبير وأخ حبيب .

لن نقطف ثمار الدين حتى نستقيم على أمر الله :

الآن الاستقامة يبنى عليها كل شيء ولا يبنى على فقدها شيء ، تقريباً التجارة هناك نشاطات في التجارة لا تعد ولا تحصى من شراء مكتب ، إلى شراء مستودعات ، تعيين موظفين ، سفر إلى معارض ، أخذ وكالات ، ترويج البضاعة ، دفع ثمنها ، توزيع الأرباح ، نشاطات لا تعد ولا تحصى ، أيمكن أن أضغط نشاطات التجارة كلها بكلمة واحدة ؟ ممكن إنها الربح فإن لم تربح فلست تاجراً ، سؤال الدين فيه نشاطات لا تعد ولا تحصى تأليف كتب ، إلقاء محاضرات ، حضور مؤتمرات إلى آخره ، هذا في الأصول ، في العقيدة ، في المواريث ، بأحكام الفقه ، للفقه المقارن ، بأصول الفقه .

الدكتور عمر :

هذا من الناحية العلمية والناحية التطبيقية .

الدكتور راتب :

أنا أرى أن هذه النشاطات الدينية بمجملها يمكن أن تضغط بكلمة واحدة هي الاستقامة فإن لم نستقم لن نقطف من ثمار الدين شيئاً ، ذلك لأن الدين عندئذ يصبح ثقافة إسلامية ، وخلفية إسلامية ، وأرضية إسلامية ، واهتمامات إسلامية ، ونزعة إسلامية ، شعور إسلامي ، اهتمام إسلامي ، في أقواس إسلامية، في فسيفساء إسلامية ، في زخرفة إسلامية لا تعد ولا نحصى أما حينما أقطف ثمار الدين يجب أن أكون مستقيماً .

الدكتور عمر :

تحويل الأوامر إلى واقع في حياتي والبعد عن المَنهيات واقعاً أيضاً في حياتي .

عظمة الأنبياء أنهم ربطوا بين أقوالهم و أفعالهم :

الدكتور راتب :

وعالم بعلمه لم يعملنْ معذَّب من قبْل عباد الوثن

* * *

عظمة الأنبياء ما وجد أتباعهم مسافة إطلاقاً بين أقوالهم وأفعالهم ولا ينجح الداعية أساساً إلا إذا كان مستقيماً على أمر الله ، بل إنني أنتفع من أي عالم عدا عالم الدين ، من طبيب من مهندس من خبير

يعنيني علمه فقط لا يعنيني سلوكه ، إلا أن الرجل الداعية لا يمكن أن ينتفع به أحد إلا إذا رأى أتباعه المسافة بين أقواله وأفعاله معدومة .

الدكتور عمر :

يعني إذاً استقامته هو بتطبيقه لما يقول هي إطار دعوته وصدقه وتصديقه .

الراحة النفسية و الشعور بالأمن يشدان الإنسان إلى الإسلام :

الدكتور راتب :

في نقطة واحدة لا بد منها ، الإنسان حينما يستقيم يقطف ثمار استقامته فالذي يشده إلى الله ، فكرة دقيقة جداً ، الحقيقة الإسلام قدّم تفسيراً عميقاً متناسقاً دقيقاً للكون والحياة والإنسان ، قدم هذه التفسيرات بشكل رائع جداً ، إلا أن الذي يشدنا إلى الإسلام فيما أرى وقد أكون مخطئاً معاملة الله لنا بعد أن نستقيم على أمره ، بعد أن نصطلح معه ، الذي يشدنا إلى الله التوفيق ، التيسير ، الراحة النفسية ، الشعور بالأمن .

الدكتور عمر :

الذي لا تشترى بأموال الدنيا .

الدكتور راتب :

لذلك قال بعضهم : هناك علم بخلقه هذا اختصاص الجامعات في العالم ، وعلم بأمره هذا اختصاص كليات الشريعة في العالم الإسلامي ، أما هناك علم به ، العلم بخلقه وبأمره يحتاجان إلى مدارسة ، إلى كتاب ، وإلى معلم ، وإلى شهادة ، وإلى امتحان ، هذه مدارسة ، لكن العلم به يحتاج إلى مجاهدة ، لذلك قال أحد علماء القلوب جاهد تشاهد .

الدكتور عمر :

شكر الله لك وبارك الله لك هذه المجاهدة وتلك المشاهدة ، بارك الله فيك ، دكتور عربي هذا الكلام الجميل للدكتور راتب بصراحة يريح القلب ، لأنه لا نزكيه على الله يخرج كلامه من قلبه ، تشعر أن قلباً تكلم في صورة شفتين .

مفهوم الجاهلية :

دكتور عربي الجاهلية ليست فترة زمنية كما درس ويدرس لأبنائنا في مدارسنا في العالم الثالث ، تدرس أن الجاهلية كانت فترة سبحان الله انتهت بـ اقرأ ولكن فيما أرى وقد أكون مخطئاً أن الجاهلية

إنما هي حالة تعتري البشر عندما يبتعد الإنسان عن هدي الله ويتمرد على حكم الله عز وجل ، قال تعالى على بعض الأقوام :

(فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى (17))

(سورة فصلت)

الغرب انتقل من حالة عدائه للدين نتيجة ما صنعته الكنيسة في العصور الوسطى إلى مرحلة إنكار الدين ، ولذلك لما جاء داروِن وهو أحد مثلث التغيير في الغرب بكتابه أصل الأنواع سنة 1859 م وقد بلغ من العمر خمسين عاماً ، داروِن جاء بفكرة تعادي الدين تماماً وتصادم الفطرة الإنسانية وتصادم فكرة الاستقامة وبجواره كان البعد الآخر فرويد وقضية الكبت النفسي وعقدة أوديب ، وقبل ماركس الذي كان يقول الدين أفيون الشعوب و دورتايم الذي قال إن الدين ليس فطرة وإن الزواج ليس فطرة ، وعظم الغرب هذه الفكرة وللأسف الشديد درست لأبنائنا في كليات الآداب وقسم الاجتماع وقسم الفلسفة وأن هذه حقائق وأن هذه عقول كبيرة ، لا ننكر أنها عقول كبيرة ونحيي فكرها لكن لا نحيي فلسفتها لأنها فلسفة مبتوتة عن الدين تماماً ، لكن قضية الضلال نشأت مع بداية الهدى ، يعني إما هدى وإما ضلال قال تعالى :

(أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا (50))

(سورة المائدة)

أصبح الأمر إما حكم الجاهلية وإما حكم الله ، كالدنيا والآخرة ، كالليل والنهار إما هذا أو ذاك ، إذا قلنا إن جاهلية الآخر كانت عبارة عن إيمان مطلق بالحواس والمحسوس وإنكار للغيب ، ويحدثوننا الآن عن الحداثة وعن ما بعد الحداثة ، كيف ترى منظور الاستقامة الذي تنكب لها الآخر أو لم يعطها اهتماماً وقال إن الإنسان يُشرع لذاته ، أنت تعبر عن هذا المصطلح بقولك الذاتوية ، هل في كلامي هذا قد أكون أطلت قليلاً ، هل شرحت فكرة معينة تطيلها لنا بما تراه بموضوع الاستقامة .

الاستقامة سنة خلقية كونية وسنة خُلقية :

الدكتور عربي :

شكراً دكتور عمر وإذا سمحت لي بمقدمة خفيفة ، هذا المنبر منبرك ومن ثمرات الاستقامة أنك أتحت الفرصة لإخوانك كي يتواصلوا معاً هذا الدرب .

الدكتور عمر :

هذا منبركم .

الدكتور عربي :

وهذه حصة يستمع إليها كثير من المسلمين ويلاحظون منذ شرفك الله عز وجل بتنويرها بأنها حصة مستقيمة تقوم الفكر وتقوم نظرتنا إلى نفوسنا وإلى ما حولنا ومن حولنا ، لذلك أنا أقترح باسم المستمعين كلهم أن تضيف إلى استقامتها استقامة أخرى بعدم اكتفائك بالأسئلة وأسئلتك ليست أسئلة مستعلم ولكنها أسئلة معلمة ، وتضيف أيضاً إلى استقامتها ما وهبك الله عز وجل من أسلوب خاص يستطيع توظيف الطرفة الهادفة ويستطيع شد الانتباه بتقديم خفيف العلم لكي يتمكن ثقيل العلم من التمكن من القلوب والعقول .

اليوم سعدت كما سعد المستمعون إليك في خطبة الجمعة بتذكيرك لنا بأن هناك سنناً ، الكون يدور دورات سليمة بفضل عدم انحرافه عنها والاستقامة سنة خلقية كونية وسنة خُلقية في عالم الخلق الطبيعة لا تتمرد على سنة الاستقامة .

الدكتور عمر :

أتينا طائعين .

الدكتور عربي :

يعني مثل هذا الكأس ، هذه الطاولة ، هذه الورقة ، هذه مفردات يشاهدها الإنسان في عالم المادة كل مفردة تؤدي مهمة خاصة بها وهذه المهام كلها تتضافر ، لو جاء إنسان وخلع هذه القائمة لسقطت الطاولة إذاً الاستقامة هي ما يقوم به الشيء وما يضمن استمراره .

الإنسان مجموعة من الطاقات تحتاج إلى محفز و موجه :

في عالم الناس الإنسان مجموعة من الطاقات هذه الطاقات تحتاج إلى محفز وإلى موجه ، فإذا ما تخلى المحفز عن عملية التحفيز وغفل الموجه عن عملية التوجيه تضاربت هذه الطاقات ومن هنا نلاحظ أن فلاناً من الناس قد يستقيم وقد لا يستقيم ، وأن ثقافة من الثقافات قد تستقيم إلى حين وقد تنحرف ، يستطيع الإنسان ألا يعرف نظرية الجاذبية الأرضية ويعيش قبل نيوتن لم يكن التفاح يسقط ؟ كان يسقط إذاً جاء نيوتن بعبقريته الخاصة وفي محيط اجتماعي خاص فلاحظ هذا وسجل هذه الحقيقة فالعلم البشري كشاف لا خلاق .

الدكتور عمر :

لأنه موجود .

الدكتور عربي :

والتراكم المعرفي جعل الناس يدركون بشكل بسيط ، بشكل تقريب عفوي أن المعادن تتمدد بالحرارة ،

لكن هذا التضخم في عالم المادة كان على حساب ظهور ملاحظة السنن الاجتماعية هل المشكلة ، هناك فجوة كبيرة بين المستوى العلمي والضمير الخلقي ، أوجدها الآخر وارتفعت أصوات في الجهة الأخرى لكنها كانت أصوات خافتة ، مثلاً أحدهم يقول : العلم دون ضمير خراب . ولكن على مستوى الفرد تفضلت في المقدمة فذكرتنا بالذين تركوا بصمات سلبية دارون ، و فرويد ، وماركس ، لم يبدعوا في عالم المادة ، الناس عندنا يظنونهم علماء لا لم يبدعوا شيئاً ، أنا مثلاً إن تحدثت عن دارون وفرويد وماركس وغيرهم يعني أذكر قمة باستور ، أذكر قمة من قمم الفكر أن هؤلاء كلود برنارد الذي ترك للأطباء مبدأً ذهبياً عندما يقول أنا لا أهتم بالجراثيم بقدر ما أهتم بالمزاج الداخلي ، عملية تقوية جهاز المناعة المعنوي ، هذه المشكلة إذاً لكن كما أقول دائماً إذا أصيب إنسان بزكام لما أعطس مكانه أنا ، المشكلة بعض الزعانف عندنا يعطسون لأن الآخرين مزكومون .

الدكتور عمر :

لأنهم زعانف ، لو كانوا رؤوساً لما عطسوا .

الحياة بمفهوم الغرب هي إرادة القوة :

الدكتور عربي :

الرأس يشمخ ويرتفع ولا يلتقط الفضلات ، الآن مثلاً أنا من حين لآخر اقرأ ما يكتب ، ما ينشر في الإعلان المكتوب أو المقروء عندنا فأجد بعضاً من جماعتنا يقولون : أن العالم العربي والعالم الإسلامي متأخر ، أولاً متأخر بالنسبة لأي شيء نسبياً تأخر في أي ميدان هذه مسألة ، المسألة الأخرى يقولون الخروج من هذه المآزق بالتنويع ، أكثر من مئة كتاب خرج في باريس وحدها يحمل عناوين مخيفة من جملة هذه العناوين إفلاس العقل ، نهاية العقل ، التنوير المظلم ، هذا لسنا نحن ، هذه المشكلة ، جماعتنا الآن يرتكبون خطأً تاريخياً نحن الآن الغرب خرج من فترة الحداثة ، الآن ما بعد الحداثة وآخر ما وصل إليه الغرب الآن ليس الإنسان ما بعد الإنسان ، الآن الإنسان لم يعد إنساناً ، الآن نحن في مرحلة تسمى مرحلة ما بعد الإنسان لماذا ؟

الدكتور عمر :

كما بعد الحداثة .

الدكتور عربي :

ما بقي ما بعد الحداثة انتهت .

الدكتور عمر :

دكتور عربي حتى الجمهور يكون معنا ، الحداثة التي يقصدونها هي قطع الصلة بالغيب .

فطرة الإنسان لا تتحمل أكثر مما يجب :

الدكتور عربي :

الحداثة كما تستنتج من بعض عبارات ديكارت ولم يكن هو الذي حمل الفأس إنما تمثلت في تقليص الوجود الإنساني فرداً وجماعة إلى المستوى الأفقي ، البعد الأفقي فقط ، قبل لمّا سقطت الدولة المؤسسة اللاهوتية ، سقطت الكنيسة ودورها ، وكان طبيعي تسقط لما ؟ كل ما لا يوافق الفطرة يسقط .

الدكتور عمر :

وهم صدموا الفطرة .

الدكتور عربي :

الفطرة لا تتحمل أكثر مما يجب ، الضغوط والأكاذيب ، إذاً فلما سقط البعد الشاقولي الذي يربط الإنسان بالله عز وجل أصبحت الساحة الأفقية يتضارب فيها الأقوياء وهنا قال أحدهم : البقاء للأقوى وليس للأصلح مثلاً ، والآن كثيراً من النقاد في الغرب بدؤوا يشعرون بما يسمونه الداروينية الاجتماعية ، الداروينية الاجتماعية تتمثل في الأقوى والحياة تساوي ماذا ؟ الحياة هي إرادة القوة ، لماذا عندما أعلن قال موت الإله ، هو كان يقصد فرض عليهن ومن معاني هذه الكلمة نفاذ المخزون الغربي من الناحية القيمية ، موت الإله في مفهوم نيتشه لم يعد الغرب قادراً على أن يستمد مواقفه ومسالكه من القيم .

ما قامت به الكنيسة في العصور الوسطى لا علاقة له بدين الله عز وجل :

الدكتور عمر :

دكتور عربي ما قامت به الكنيسة في العصور الوسطى هذا من اختراع الباباوات لا علاقة له بدين الله عز وجل ، واتهام أي إنسان ثم محاكم التفتيش ، فإذا كان هذا دين فالعقلاء قد .

الدكتور عربي :

هذه حقيقة ذكرتمونا بها وهذا يذكرني بمقولة خطيرة ذات شأن كبير لن يتنصر الغرب إنما الغرب غربن المسيحية أي جعلها غربية .

الدكتور عمر :

أوربا لم تتنصر .

الدكتور عربي :

لم تتنصر وإنما رونمت هذه المسيحية ، ولذلك يقول بعض النقاد الذين نقدوا الفكر الديني في أوربا يقولون من الخطأ أن نقول المسيحية الصواب أن نقول البوليسية نسبة إلى بولس ، الآن بعدما استنفذ الغرب تجاربه بدأ يرفع رأسه إلى الأفق ويقول أحد الرومانسيين : أن سماء أوربا لم تعد توحي بأي شيء ، ويقول أحد كبار الكتاب وكان شاعراً عملاقاً يقول : الرومانسية عندي أن أخرج مسدسي وأطلق أول رصاصة على أول من ألقاه . هذه الحياة أصبحت لا أهمية لها .

كل إنسان مسلم مسؤول عن عمله أمام الآخر :

الدكتور عمر :

دكتور عربي العجيب أنا أقرأ أبيات شعر لامرئ القيس وكأن الرجل يعيش في عصر العولمة وعصر ما بعد الحداثة ، يقول لعنيزة :

وكنت كذباح العصافير دائبا وعيناه من وجد عليهن تهمل

فلا تنظري إلى العين وانظري إلى الكف ماذا بالعصافير تفعل

* * *

تعملوا لنا حقوق الإنسان وبعد ذلك أشياء والقضية نحن نبكي ، الاستقامة بدأت في التباعد عن الآخر لأنه أنشأ نظرياته وأفكاره بعيداً عن السماء أو بعيداً عن تعاليم السماء ، فبدأ خط الانحراف يأخذ هكذا ، مشكلتنا يتامى الشيوعية إذا جاز التعبير أو يتامى هؤلاء المفكرين الزعانف الذين عبرت عنهم ، ماذا نقول لأبناء جلدتنا ؟ نحن غير مكلفين كمسلمين لمجرد أن نسلم فقط وأن نسلم غيرها ، ليس دعوة قهر إلى الإسلام و لكن الآخر ينتظر منا لأنه مازالت كما قلنا في منظومة القيم مازال الغرب وما زال الآخر يحتاج إلى هدايتنا ، يحتاج إلى ما عندنا ، أصبح الشيء الموثوق منه والوحي الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، إذا كنت أنا أيها المسؤول كمسلم أقصد من دعوة الآخر إلى ديني بسلوكي وأنا سلوكي معطوب وعملي ومواعيدي مخربة وألفاظي غير سليمة وأكذب وأغتاب ويعني :

ظلماً علينا أو قهراً علينا وجبناً عن عدوكم و لبئس الخلتان القهر والجبن

أنا بعد أن كان أنا وأخي على ابن عمي ، أنا وابن عمي على أخي وأنا والغريب على ابن عمي ، أصبحت هكذا ، هذا الانحراف وأنقل الموضوع للدكتور راتب هل الاستقامة لها خصائصها ؟ دكتور عربي رفع أفكارنا إلى وضع صورة متكاملة ماذا صنع الآخر بنفسه ؟ ونحن لا نريد أن نصنع بأنفسنا دون تجارب والحضارات أو المدنية أو سمها ما شئت .

العقل البشري محدود المهمة فعلينا ألا نجعله أداة مطلقة للمعرفة :

الدكتور راتب :

إلا أنني أتمنى عليكم أن أدلي ببعض المداخلات في الموضوع الذي كنا فيه قبل قليل ، أولاً هذه العين لا ترى إلا بوسيط هو الضوء فلو وضعنا في غرفة إنسان بصير وإنسان كفيف من دون ضوء يستويان، هذه الحقيقة تنسحب على شيء آخر ، هذا العقل البشري بالأساس محدود المهمة فإذا جعلناه أداة مطلقة للمعرفة وقعنا في خطأ كبير هذا ما وقع به الغرب .

الدكتور عمر :

أن نطلق عنان العقل .

تكامل العقل مع الوحي :

الدكتور راتب :

هذا يقودنا إلى موضوع جداً هو أن هناك دوائر ثلاث دائرة المحسوسات ، وأداة اليقين بها الحواس الخمس واستطالتها كالميكروسكوب والتلسكوب ، ودائرة المعقولات ، وأداة اليقين بها العقل ، ودائرة الإخباريات ، وأداة اليقين بها الخبر الصادق .

فالمحسوسات شيء ظهرت عينه وظهرت آثاره ، أما في المعقولات غابت عين الشيء وبقيت آثاره ، لكن المشكلة الكبيرة أن هناك دائرة ثالثة دائرة الإخباريات شيء عجز عقلك عن إدراكه أخبرك الله به ، هذا الميزان مصمم للاستخدام بين خمس غرامات ، وخمسة كيلو ، وفيه ذواكر ، وأشياء دقيقة ، فإذا أردت أن تزن به مركبة كسرته ، هل يعد هذا عيباً في الصانع ؟ أبداً العيب في المستخدم ، أنا حينما أعد العقل قوة إدراكية مطلقة أقع كما وقع الغرب في متاهات كبيرة جداً لذلك كما أن النور ضروري جداً لرؤية العين الأشياء المنظورة الوحي للعين كالنور تماماً فالعقل والوحي يتكاملان ، الإنسان يعقل ويتلقى الوحي من الله عز وجل .

الدكتور عمر : عين الباصرة وعين البصيرة .

ابتعاد الغرب عن الدين و اعتماده على العقل فقط أوقعه في خطأ كبير :

الدكتور راتب :

لذلك حينما الغرب ابتعد عن الدين وطلقه واكتفى بعقله وقع في أخطاء لا تعد ولا تحصى .

في شيء آخر لي تعليق آخر ، هؤلاء كبار العمالقة الذين جاؤوا بأشياء غير صحيحة أنا أرى أن خطأهم ليس علمياً إنه خطأ أخلاقي والفرق بينهما ، أنا أحياناً قد أتوهم شيء وأقول هذا خطأ علمي أما حينما أعرف الحقيقة وأتكلم بخلافها كما لو أن مفتياً أفتى بجهل هو عند الله آثم ، أما المجرم الذي يفتي بخلاف ما يعلم من أجل الدنيا ، في نقطة ثالثة مثلاً دارون قال : إن لم يثبت العلم نظريتي فهي باطلة . هو يرى بكتاب أصل الأنواع أن الضفدع تأتي من الوحل وأن الفأر يأتي من خرق بالية وأن الدود يأتي من اللحم الفاسد ، العلم أثبت بطلان هذا ، دارون بكل ما يملك بما أنه جاء بالتطور فلا بد من مخلوقات مرحلية الآن كشفوا أحافير من خمسمئة وثلاثين مليون سنة تطابق تماماً المخلوقات التي تعيش معنا الآن إذاً ألغي المخلوق المرحلي ، لأنهم اعتمدوا على العقل وحده وبعدوا عن الوحي هذه مداخلتي التي أردت أن أدلي بها .

علاقة الاستقامة بالعقل :

سيدي الحق دائرة تتقاطع فيها أربعة خطوط ، خط النقل الصحيح ، وخط العقل الصريح ، وخط الفطرة السليمة ، وخط الواقع الموضوعي ، ما علاقة الاستقامة بالعقل ؟ دكتور عمر بمثل منتزع من بلادنا في الشام في عندنا دمشق وحمص ، وأيام الشتاء القارسة في منتصف الطريق في النبك ، إنسان له مبلغ ضخم جداً في حمص أراد أن يذهب إلى حمص ليأخذ المبلغ فإذا لوحة كتبت في ظاهر دمشق الطريق إلى حمص مغلقة بسبب تاركم الثلوج في النبك ، يرجع ، لو أن دابة تمشي أين تقف ؟ عند الثلج ما الذي حكم العاقل ؟ النص ، ما الذي حكم غير العاقل ؟ الواقع ، فالإنسان حينما يعمل أن هذه الأوامر من عند الخبير .

الدكتور عمر :

سبحانه وتعالى .

الدكتور راتب :

لذلك إذا طبقها لسلامته ولسعادته ، فعلاقة الاستقامة بالعقل أن العاقل يحكمه النص بشكل أو بآخر ، إنسان يدخن المفروض إذا كان عاقلاً إذا قرأ بحثاً علمياً عن مضار التدخين أو قرأ حكماً شرعياً أن يرتدع ، الذي يدع الدخان بعد إصابته بالورم الخبيث في رئتيه ، هذا عطل عقله وهبط عن مستوى إنسانيته إلى مستوى لا يليق به ، العقل والاستقامة ، العقل يقتضي أن نستقيم لأن العلاقة بين الأمر والنهي علاقة علمية سأشرحها في وقت آخر إن شاء الله .

من كانت فطرته وفق منهج الله عز وجل فسيكشف خطأه ذاتياً :

الفطرة : الفطرة الله عز وجل برمج وصمم هذه النفس البشرية بشكل رائع أنها تكتشف خطأها ذاتياً ، الآن بالطائرات الحديثة لوحة صماء إذا كان في خطأ يظهر رسالة ، الطائرة تنبئك بالخطر ، الإنسان مبرمج برمجة عالية جداً تؤكدها الآية الكريمة :

(وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا (7)فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا (8))

(سورة الشمس)

فالإنسان بفطرته يكشف خطأه ذاتياً .

الدكتور عمر :

إذا تركها سوية دون أن يطمسها بإعمال عقله .

الدكتور راتب :

لذلك أنا قلت في بداية هذه المداخلة العقل الصريح ، الفطرة السليمة ، الواقع الموضوعي ، والنقل الصحيح ، هذه خطوط تتقاطع في دائرة واحدة هو الحق ، نقل صحيح غير موضوع وغير ضعيف ، أو تأويل صحيح بنص صحيح ، الفطرة السليمة ، مرة في إنسان دهس طفلاً في مدينة عربية الساعة الثانية ليلاً أرسله أبوه ليشتري له حاجة في الليل في الصيف ، دهسه ولم يدر به أحد كتب الضبط ضد مجهول ، هذا الإنسان لثلاثين يوماً لم يذق طعم النوم التقى بطبيب نفسي قال له ادفع الدية لأهل القتيل وإلا تبقى بهذه الحالة ، ما أحد عاقبه .

نحن لما ننتبه أن الإنسان فطرته مبرمجة وفق منهج الله ، الله عز وجل أمرك أن تكون مستقيماً فطرتك تقتضي ذلك ، أمرك أن تكون رحيماً تقتضي الفطرة ذلك .

الدكتور عمر :

الحقيقة أن الكلام مسترسل ونحن داخلين ومازلنا على باب الاستقامة نريد أن ندخل على وادي الاستقامة ولكن بعد الفاصل .

الاستقامة عين الكرامة :

الدكتور عمر :

مرحباً بكم أحبتي في الله مرة أخرى ونحن نتحدث عن هذا الموضوع المهم عن الاستقامة عين الكرامة ولا كرامة لإنسان أبداً إلا أن يستقيم على طريق الله سبحانه وتعالى ولذلك كان الشيطان إبليس عندما ضحك على أبينا آدم هزّ عنده وتراً حساساً قال :

(مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ (20))

(سورة الأعراف)

والإنسان بطبيعته يتمنى أن ينقلب إلى ملك من الملائكة وهذا أمر يدغدغ مشاعر أي إنسان حتى اللص يتمنى ، بعض الناس في البلاد العربية اللص عندما يذهب ليسرق يقول الله يستر ، سبحان الله الفطرة لم تنطمس بعد ، وإنما هو يدعو الله عز وجل بالستر ، فهي فطرة في غير مكانها ، داعبه إبليس بهذا إلا أن تكونا ملكين أو تكونا من الخالدين ، لو وضعنا أنفسنا مكان أبينا آدم عليه السلام أنا أصير ملكاً وأخلد، نحن نتزوج ونتناسل حب البقاء ، أصير ملكاً فلا أخطئ ، مدخل إبليس هكذا مدخل مفكر إذا جاز التعبير ، الثاني يعمل عقله في إغواء الآخر .

الدكتور راتب :

ما كان في كذب سابقاً .

اختراع الآخر من عنده ديناً خاصاً له و وضع قوانين صارمة له :

الدكتور عمر :

ولذلك يقال أن ابن آدم لما تسمع الشيطان وتعصي الرحمن ؟ قال ما ظننت أن أحداً يقسم بالله كذباً :

(وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ (21))

(سورة الأعراف)

قضية طيبة أبينا آدم ولا أقول سذاجة فطرية ، أن واحداً يقسم له بالله إن أكلت أنت وزوجك من هذه الشجرة تصبح ملكاً ، سبحان الله ، ولذلك لما ارتكب أبينا آدم وتاب تاب الله عليه ، لكن إبليس عصى الأمر وعصيان الأمر أصعب من ارتكاب المنهج ، فلما عاد يا رب غفر له :

(وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ (23))

(سورة الأعراف)

نزل وقد تاب الله عليه ، دكتور عربي الآخر أوجد الإنسان بخطيئة والإنسان في الإسلام طاهر مطهر ينزل إلى هذه الدنيا نقياً طاهراً لا يحمل إنسان وزر إنسان ، إذا وقعت على ثيابه شيء من القذارة لا تغسل أنت ثيابك وإنما أنا الذي أغسلها ، بهذه المنظومة أو بهذا الفكر الذي لا يصادم الفطرة ، الآخر اخترع من عنده ديناً خاصاً له إذا جاز التعبير ، لماذا الغرب وضع قوانين صارمة له واحترمها الجميع؟ لا يستطيع أحد أن يتهرب من الضرائب ، الإنسان تحت القسم لا يستطيع أن يكذب ، يقف الكل في طابور ينتظر دوره ، ما الذي شوش عنده مسألة الاستقامة عن الفطرة ؟ هي فطرة يجب أن تكون سليمة دكتور عربي برأيك ما شاء الله .

العقلانية عند الغرب فقط في مجال المادة :

الدكتور عربي :

هو في مقدمتك الدافئة أشرت إلى ضرورة ترجمة الاستقامة إلى مواقف إنصاف ، الآن نحن الغرب والشرق متداخلان ، الغرب الإبداع المادي ، المشكلة لأن الناس عندما يستمعون عندنا يقولون كيف ، نحن لا نظلم الغرب :

(وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ (85))

(سورة الأعراف)

التسهيلات والترقيات المادية لم تكن ثمرة الغريزة إنما كانت ثمرة احترام الغرب للعقل في فترة من فترات حياته ، الآن لا تستغربوا إذا قلت لكم ما في عقل في الغرب لا تستغربوا ما في عقل .

الدكتور عمر :

رغم هذا الذي نراه ؟

الدكتور عربي :

نحن نرى آثار استخدام العقلانية في مجال المادة ، اليوم التاريخ يحدثنا بأن المجتمعات البشرية أول ما تنشأ تنشأ بباعث سماوي ، ولحكمة ما يقسم القرآن الكريم :

(وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ (1)وَطُورِ سِينِينَ (2)وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ (3))

(سورة التين)

قال المفسرون : الشجرة نفسها أم الأماكن نفسها ، لما هذه الأماكن ؟ هذه الأماكن كانت منطلقات لتنفيذ أمر الله عز وجل ، التين والزيتون إشارة إلى رسالة موسى وعيسى والخاتم صلى الله عليه وسلم ، المجتمعات تنصب شبكاتها الاجتماعية بوحي من فكرة تتجاوز مستوى الإنسان ، حتى فكرة الخلود الذي أشرت إليها كان أبانا آدم عليه السلام يشعر بمحدوديته زماناً ويشعر بمحدوديته إرادة .

تخلي أوربا عن الدين و مع ذلك لم تستطع أن تُسكت صوت الفطرة :

لذلك :

(مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ (20))

(سورة الأعراف)

فالمرحلة الثانية مثلاً أوربا لما تخلت عن الدين وكان تخليها عن الدين نصراً جديداً للإنسان ، كما يقول المثل الفرنسي أراد الناس أن يتخلصوا من الدين فتخلصوا من الدين ومن كل ما يمت بصلة إلى أي دين. في مثل فرنسي يقول : رمى الرضيع ورمى الماء الذي غسله به .

والغرب عنده مجروح الآن كلما ذكرت كلمة دين خاف ، خاف من الكبت ، خاف من الظلم .

الدكتور عمر :

هذه بقايا من رأيه أم بقايا من الفطرة السوية تنغص عليه حياته لإنكاره للدين ؟

الدكتور عربي :

لأنه كانت حملات عنيفة ضد الدين ومع ذلك هذه الحملات لم يستطع ذويها أن يسكت صوت الفطرة .

الدكتور عمر :

لم تنطمس الفطرة ؟

الدكتور عربي :

لم تنطمس الفطرة .

الدافع الذي يتحكم في سلوكية الناس هو الغريزة و ليس العقل :

لذلك أيضاً بعض ما نراه من تشوهات سلوكية ، هذه عملية تعويضية ، إنسان لا نراه من انحرافات في العلاقات بين الجنسين كما نراه من انحرافات في العلاقات الاقتصادية مثلاً ثقافة تؤثر أن ترمي أطناناً من القمح في البحر حتى لا يغلى ثمنها وآلاف ملايين الأطفال يموتون في قارات أخرى أي حضارة هذه ؟ أي ثقافة هذه ؟ ثقافة الجزء الشمالي من الكرة الأرضية مأهول بأقل من عشرين بالمئة من البشر وهؤلاء العشرون بالمئة يملكون أكثر من ثمانين بالمئة ، هذا اختلال كبير ، على ماذا يدل هذا ؟ هذا الإنسان الذي انسحب الدين من ساحته الاجتماعية ظلت الفطرة الدينية توقظه في كل ركن من أركان حياته ، كما تفضلت بتذكيرنا بالحداثة ، الحداثة ماذا تعني ؟ الحداثة مزامنة للاستعمار ، الحداثة التخلص من الإله ، التخلص من الكنيسة ، التخلص أيضاً من استغلال الثروات واستعمار الشعوب واحتلال البلاد .

الدكتور عمر :

نسمي بدل الاستعمار الاستدمار أو الاستخراب .

الدكتور عربي :

الاستدمار أفضل ، كان الشيخ البشير الإبراهيمي رحمه الله من أئمة البيان في الجزائر كتب سلسلة مقالات عنوانها كلمات مظلومة من جملة الكلمات المظلومة كلمة استعمار استعمركم فيها ، قال هذا الاستعمار يخرب لا يعمر رحمه الله ، الآن الدافع الذي يتحكم في سلوكية الناس هو الغريزة وأصبح العقل الآن يساوي أداة ، العقل يستخدم أداة للحصول بأي ثمن على ما يلبي شهوات الناس .

الدكتور عمر :

بعقلنة كل شيء .

الاستقامة هي المحور الثابت الذي يضمن للناس أن ينشؤوا علاقات اجتماعية سليمة :

الدكتور عربي :

لذلك في مصطلح في اللغات الغربية ليس العقل ، ممكن أن أترجمه بالعربية العقلانوية ، ليس عقل الذي كان يقول مثلاً ديكارت ، نحن كنا نقول الواقع ، الآن يقول أحد آخر نجم من عظماء الفكر الغربي يقول : نحن كنا نخدع أنفسنا بالغرق فيما نسويه بالواقع ، قال حتى هذا الواقع منذ الحداثة واقع افتراضي وليس واقعاً حقيقياً . ويقول نحن الآن في واقع افتراضي وانتهينا إما وإما .

الدكتور عمر :

الواقع المتخيل .

الدكتور عربي :

يقول الواقع الذي تخيلناه إما وإما ، الواقع الذي تخيلناه على حساب الفطرة الآن استنفذ أغراضه وأصبحنا الآن أموات أحياء .

الدكتور عمر :

أصبح في فضاء .

الدكتور عربي :

ما عندهم ، والاستقامة هي المحور الثابت الذي يضمن للناس أن ينشؤوا علاقات اجتماعية سليمة ، الاستقامة هذا الذي جاء إلى سيدنا سعد رضي الله عنه جندي بسيط من جنود المسلمين ويأتي بتاج كسرى ، ولا يعلن عن اسمه ، هذا العقل عنده لم يكن وسيلة لإشباع رغبة من رغباته إنما كان المحور الثابت إرضاء الله عز وجل ، فإن رب عمر يراني ويعلم اسمي ، قال له عمر يريد أن يعرف اسمك ، قال رب عمر يعرف اسمي .

فقدان الغرب الأسس و المقومات :

الآن أشبعنا الغريزة نأتي الآن بالعالم الإسلامي ، العالم الإسلامي يعني انحرافنا سيئة مضاعفة لماذا ؟ لأن الغرب معذور فقد الأصول والمحور ، الثوابت فقدها ، يقول مفكر فرنسي كبير وهو حي يرزق

قال : أزمتنا الآن الخانقة أننا فرغنا من جميع اليقينيات ، لا شيء يقيني حتى الإنسان ، حتى الإنسان لا يقيني .

الدكتور عمر :

كيف يعيش الإنسان هذا الفراغ ؟ يقول علماؤنا يا رب لا كرب وأنت رب ، الله يرحم شيخنا الشعراوي يقول : لا يقلق من له أب فكيف الذي له رب ؟ كيف يعيش هذا بهذا المنطق .

الدكتور عربي :

هذه مشكلة الغرب أنه فقد المقومات ، الأسس .

الدكتور عمر :

لكن سيئاتنا أيضاً مضاعفة .

الدكتور عربي :

منذ أيام كنت واقفاً في طابور من الطوابير وكانت موظفة وحيدة ، والكراسي الأخرى فارغة والطابور كان ضخماً ، كان أمامي رجل يحمل طفله ولاحظت أنهما كادا يسقطان تعباً فتكلم الرجل لست أدري ماذا قال للموظفة فغضبت وماذا كان جوابها ؟ قال من فضلك أسرعي أنا أكاد أسقط والولد يكاد يموت ، قالت وربنا كبير ، أنا سكت لكن قلت هذه الكلمة عظيمة ، في هذا المكان ، لكن قلت ما مدلولها النفسي والاجتماعي ؟ الله كبير ، إذا قلنا الله أكبر ، أكبر من شهواتي ، أكبر من كسلي ، أكبر من أداء الواجب ، فكلماتنا عظيمة الله أكبر ، لما كلمة سيدنا بلال رضي الله عنه يقول أحد أحد زلزلت قريش وكلمتنا اليوم أحد أحد لا تخيف ذبابة لما ؟ مع أن الكلمة هي الكلمة ؟ الشحنة الفعالة التي تنطوي عليها كلمات القرآن هي هي لكن جهاز الاستقبال خربان .

الاستقامة تأتي نتيجة سلوك الإنسان مع الآخرين :

أيضاً ونحن بصدد الحديث عن الاستقامة كثير منا يظنون أن الاستقامة لفظ تقال ليملأ بها فراغنا ، الله عز وجل يقول :

(إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ)

(سورة فصلت الآية : 30)

هذا التوحيد ، هذا البعد الباطني الداخلي ، بعض الناس يظنون واستقاموا قولاً لا استقاموا فعلاً ، يعني قالوا ربنا الله هذا فعل قلبي ، ثم استقاموا سلوك تطبيق عملي ، والسلوك لا يحتاج إلى ، وكل عاقل يرى السلوك ، لذلك كثير من أخواننا في الغرب اعتنقوا الإسلام نتيجة سلوك الناس ، تأثروا بسلوكهم ، موقف معين تأثروا بسلوكهم فقدر الله عز وجل الهداية .

الدكتور عمر :
ولذلك أنا أذكر كنت في كندا أكثر من عشر سنوات وكنت أتحدث عن مشاهدة أمنا عائشة مع النبي صلى الله عليه وسلم ، الأحباش يلعبون في المسجد ويضع يده النبي على الباب هكذا وهي تضع ذقنها وتقول انتظر يا رسول الله . رجل مسلم معه زوجته غير مسلمة كندية ، ففي اليوم التالي في المؤتمر يبشرني أن زوجته دخلت الإسلام بعد معيشة اثنين وعشرين سنة وهو مسلم ، ما الذي أثارها ؟ قالت : الشيخ يتحدث عن رقة وحنان محمد بن عبد الله رسولكم مع المرأة ، ونحن نريد هذا الإنسان موجود في هذا الكون ، ودخلت الإسلام بشيء بسيط ، فما رأيك هي لمحت أحدنا هو يتبسط مع زوجته أو يتودد .
الدكتور عربي :
أو يسابقها
الدكتور عمر :
دكتور راتب مازلنا في خصائص الاستقامة .

على كل مسلم أن يُحسن فهم دينه و تطبيقه لأن خلاص العالم في الإسلام :

الدكتور راتب :
أولاً حينما فتح النبي صلى الله عليه وسلم مكة المكرمة ؛ دعته بيوتاتها ليبيت عندهم فقال لهم : انصبوا لي خيمة عند بيت خديجة ، ليعلم العالم كله أن هذه المرأة التي في القبر هي شريكته في النصر .
يوجد تعقيب آخر ، في بلد يصدر الأغنام تمّ إعدام عشرين مليون رأس غنم وتمّ دفنها تحت الأرض حفاظاً على الأسعار المرتفعة ، هذه ثقافة الغرب ، لذلك قال بعض علماء الغرب وقد هداه الله إلى الإسلام ، قال : أنا لا أصدق أن يستطيع العالم الإسلامي اليوم اللحاق بالغرب على الأقل في المدى المنظور لاتساع الهوة بينهما ، ولكنني مؤمن أشد الإيمان أن العالم كله سيركع أمام أقدام المسلمين لا لأنهم أقوياء ولكن لأن خلاص العالم في الإسلام ، ولكن بشرط أن يحسن المسلمون فهم دينهم ، أن يحسنوا تطبيقه ، أن يحسنوا عرضه على الطرف الآخر .
الدكتور عمر :
دكتور راتب أذكر في سنة 1968 م كان وزير دفاع الكيان الصهيوني مدعواً عند عمدة ... بعد أحداث وهزيمة 1967م فقال له يا جنرال أليس عندك يقين أننا سوف ننتصر عليكم يوماً ؟ قال نعم ، قال هذا اليقين كلام ولا مجرد أنك موجود ؟ قال لا يقيني بهذا لكن العرب الآن والمسلمون الآن لا يقرؤون وإذا قرؤوا فكثير منهم لا يفهمون وإذا فهموا سريعاً ما ينسون الكلام .

فتشخيص دائماً من أن الآخر يرصدنا ونحن نظن أنه لا ، وهو يرصد المصلين في المسجد وحركة الدعاة ، ويحلل كلام الدكتور راتب أين يوجهه ؟ هل يوقظ العقول أم يخمدها ؟ هل يضحك عليهم بالتواكل أم يحدثهم عن التوكل الصادق ؟

انطلاق الإنسان إلى طاعة الله عز وجل انطلاقاً من حبه لذاته :

الدكتور راتب :

الآن بقي في الفطرة ، مثلاً في فندق بألمانيا كتب على السرير إذا لم تنم هذه الليلة فالعلة ليست في فراشنا إنها وثيرة ولكن العلة في ذنوبك إنها كثيرة . فالإنسان أحياناً يحاسب نفسه حساباً عسيراً ، والكآبة شعور بالنقص ، الإحباط ، الملل ، السأم ، كلها عقاب نفسي لذاتها حينما تخرج عن منهج الله عز وجل ، حينما تبتعد عن الاستقامة .

الآن الواقع أنا حينما أرى لوحة في الفلاة كتب عليها حقل ألغام ، ممنوع التجاوز هل أشعر بحقد على واضع اللوحة ؟ بالعكس أشكره ، لأنني أفهمها ليست حداً من حريتي ولكنها ضمان لسلامتي .

أنا حينما أفهم الأمر والنهي الإلهيين أنهما ضمان لسلامتنا ننطلق إلى طاعة الله عز وجل انطلاقاً من حبنا لذواتنا .

الدكتور عمر :

يعني الاستقامة مبنية على مدى ، كما قال الحسن البصري عندما سأله رجل قال : يا بصري كم أنا عند الله ؟ قال كم الله عندك ؟ إذا أردت أن تعرف عند الله مقامك انظر فيما أقامك .

من استقام على أمر الله عز وجل اصطلح مع نفسه :

الدكتور راتب :

الفطرة تؤكد الاستقامة لأن برمجة النفس البشرية متطابقة تماماً مع منهج الله ، إذا أمرك الله أن تكون رحيماً أنت في فطرتك تحب أن تكون رحيماً ، فالإنسان حينما يستقيم يصطلح مع نفسه .

الدكتور عمر :

دكتور راتب هؤلاء القساة .

الدكتور راتب :

انطمست فطرتهم .

الدكتور عمر :

لأن الرجل يقول : أمُر بالحجر القاسي فألثمه لأن قلبك قاسٍ يشبه الحجر .

هذا القلب القاسي يعني كيف ؟

الدكتور راتب :

الأربع أركان للحق العقل قد يكون تبريرياً وهذا انحرافه ، إذا كان صريحاً هذا صوابه فإذا كان قائداً هو الصواب أما إذا كان مقوداً انحراف ، الفطرة قد تكون سليمة وقد تنطمس .

الدكتور عمر :

لكن أنا الذي أطمسها .

الدكتور راتب :

كلا بل ران على قلوبهم .

اتهام المسلمين بالأعمال العنيفة و هذا واقع مزور :

والواقع قد يكون مزوراً هناك من يتهمنا كل عمل في الأرض عنيف سببه المسلمون هذا واقع مزور ، في أحد أخوتنا الكرام في أمريكا أجرى دراسة كلفته سنتين المفاجأة كانت 3% من أعمال العنف خلال سنة من فعل المسلمين فقط ، ففي واقع مزور .

الدكتور عمر :

دكتور راتب وما تكرر تقرر ، لذلك قرروا علينا المسألة كل ما نجلس في مكان لسنا إرهابيين ، نحن لسنا متطرفين ، معذرة بقي دقائق ، قرأت فيما قرأت أن رجلاً من الصالحين كان يعيش في بلاد فاس في المغرب ، وبعد هذا نام فرأى في الرؤيا أعزكم الله إبليس عرياناً فقال له يا لعين ألا تستحي من الناس ؟ قال وهل هؤلاء ناس ؟ قال وأين الناس ؟ قال الناس في مسجد الشنزية أين هذا ؟ في حدود بلاد فارس ، قام الرجل ، وهؤلاء أكيد في نور القلب ونور الاستقامة ، أخذ راحلته ورحل إلى الشرق دخل المدينة سأل في مسجد الشنزية فدخل قال : فوجدت بعد صلاة العصر كوكبة من الناس وجوههم كالأقمار ليلة البدر واضعين لحاهم على أكفهم فلما رأوني في الباب قالوا يا سهل لا يغرنك كلام اللعين في الرؤيا هذه مسائل هؤلاء الذين ارتقوا ما حاولوا أن يطمسوا الفطرة بل فعلوها وأضافوا إليها والذين جاهدوا فينا ، والمسألة كما قال ابن عربي ليست مسألة كلمات ولا ركون عند طقوس معينة نصلي ولا يعرف الواحد منا من عن يمنيه ومن عن شماله ، دكتور راتب نحن نريد أن نحفز ، طبعاً موضوع الاستقامة موضوع يحتاج إلى حلقات ، نريد أن نحفز الهمم بوصفة من الدكتور راتب النابلسي سهلة الهضم سهلة التنفيذ عظيمة التأثير بالضبط كلمتان خفيفتان .

قضية الاستقامة مرتبطة بالفطرة و الواقع و النقل و العقل :

الدكتور راتب :

أنا حينما أشتري آلة غالية الثمن عظيمة النفع معقدة التركيب والآلة جاءتني بلا تعليمات فإن استخدمها بلا تعليمات أتلفتها وإن خفت عليها جمدت ثمنها ، أليست التعليمات أهم من الآية هذا معنى قوله تعالى :

(الرَّحْمَنُ * عَلَّمَ الْقُرْآنَ * خَلَقَ الْإِنسَانَ * عَلَّمَهُ الْبَيَانَ)

(سورة الرحمن)

أيعقل أن يُعلم الإنسان القرآن قبل أن يُخلق ؟ لكن العلماء قالوا : الترتيب بالآية ترتيب رتبي ، لا ترتيب زمني بمعنى لا معنى من وجود الإنسان من دون منهج يسير عليه ، في بعض الأمثلة أنا حينما أرى لوحة إلى جانبها توتر عالي ممنوع الاقتراب ، خط كهربائي فإذا توهم الواقف أن في شرطي يراقبني ؟ ليس موضوع شرطي يا أخي التيار يعاقبك ، من السذاجة والغباء أن يبحث عن شرطي . قضية الاستقامة مرتبطة بالفطرة ، مرتبطة بالعقل ، مرتبطة بالواقع ، مرتبطة بالنقل ، النقل الحسن ما حسنه الشرع والقبح ما قبحه الشرع ، لكن هناك حب عقلي وحب حسي ، إنسان معه أزمة قلبية في أكلات تؤذيه كثيراً يحبها حباً حسياً عالياً لكن يكرهها بعقله لأنها تؤذيه وتضر به ، فأي شيء الله عز وجل نهانا عنه قد يكون عند الناس محبباً إلا أن الإنسان حينما يؤمن أن هناك آخرة ، هناك حياة أبدية ، هناك جنة عرضها السماوات والأرض ، هذه تبعده عن الله .

الدكتور عمر :

دكتور راتب هل الهوى يحجبني عن الاستقامة ؟

الجنة مأوى من خاف مقام ربه و نهى نفسه عن الهوى :

الدكتور راتب :

(وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى * فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى)

(سورة النازعات)

يعني شاب سمع من شيخه أن لكل معصية عقاباً ، يبدو أن قدمه زلت ، فارتكب معصية صغيرة ، بحسب كلام شيخه هو ينتظر العقاب من الله ، مضى أسبوع ، صحته ، بيته ، أهله ، سيارته لا شيء فيها ، في أثناء المناجاة قال : يا رب ، لقد عصيتك ولم تعاقبني ، قال : وقع في قلب هذا الشاب : أن يا عبدي ، قد عاقبتك ولم تدر ، ألم أحرمك لذة مناجاتي ؟ الواقع الإنسان لما يستقيم على أمر الله يصبح

خط هاتفه حاراً ، لو شخص عنده جهاز هاتف من أعلى مستوى لكن ما في خط لا قيمة له إطلاقاً .

الدكتور عمر :

دكتور راتب يعني لما سألوا ابن قيم الجوزية عن رأيه في شيخه ؟ قال جملة أغرب من الخيال : قال قهر الهوى حتى تجنبه الهوى ، متمثل بعمر رضي الله عنه ما رآك الشيطان سالكاً طريقاً إلا وسلك طريق غيره . أنا خطوة خطوة أنا الأول أعالج مسألة الهوى المردي الذي أضيع إذا سرت خلفه .

من عرف الله عز وجل بادر إلى طاعته لأن سعادته في طاعة الخالق :

الدكتور راتب :

أنا حينما أؤمن أنني خلقت لجنة عرضها السماوات والأرض الحقيقة أن الناس في ضوء هذه المعلومة ينقسمون إلى قسمين :

(فَأَمَّا مَن أَعْطَى وَاتَّقَى * وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى)

(سورة الليل)

صدق أنه مخلوق للجنة وهذا التصديق من أولى نتائجه اتقى أن يعصي الله وبنى حياته على العطاء ، والذي كذب بالحسنى استغنى عن طاعة الله بنى حياته على الأخذ ، فلذلك المؤمن يعطي ، بنية حياته العطاء ، غير المؤمن الأخذ ، يا من جئت الحياة فأعطيت و لم تأخذ ، يا من قدست الوجود كله . لذلك الإنسان حينما يعرف الله عز وجل يبادر بطاعته لأن سعادته في طاعته بل هناك نقطة دقيقة الإنسان إذا ذاق طعم القرب ثم زلت قدمه فحجب عن الله هو يرى أن أكبر عقاب يعاقب الله به المؤمن حجبه ، يبقى بمكانته الاجتماعية .

الدكتور عمر :

سبحان الله في نقطة أدق دكتور راتب هو أن المخرج يشير إلي بأن الوقت انتهى ما بين فكي الراحة ، نستميح عذراً في أن نواصل بإذن الله ، رغم أن أعطونا إشارة لأنهم وجدوا الدكتور راتب بالاسترسال، تفضلوا .

قيمة الاستقامة أنها اختيارية وليست قسرية :

الدكتور راتب :

الآن النقطة الدقيقة جداً أن الاستقامة اختيارية لماذا ؟ ما قيمة طاعتك ؟ لأنه بإمكانك أن تعصيه ، ما قيمة صلاتك ؟ بإمكانك ألا تصلي ، ما قيمة أمانتك ؟ بإمكانك ألا تكون أميناً ، العمل لا يثمن إلا

بالاختيار ، سيدنا عمر جاؤوا إليه بشارب خمر قال : أقيموا عليه الحد ، قال : والله يا أمير المؤمنين قدر علي ذلك ، قال : أقيموا عليه الحد مرتين مرة لأنه شرب الخمر ، ومرة لأنه افترى على الله ، قال ويحك يا هذا إن قضاء الله لن يخرجك من الاختيار إلى الاضطرار .

بل إن الله عز وجل أراد أن تكون علاقته مع عباده علاقة محبوبية :

(لَا إِكْرَاهَ فِي (256))

(سورة البقرة)

لو أن الله أراد أن نطيعه أطعناه قهراً منا ، هذه الطاعة لا قيمة لها إطلاقاً ، أرادنا أن نأتيه طائعين ، أن نأتيه محبين ، أن نأتيه بمبادرة منا ، فلذلك قيمة الاستقامة أنها اختيارية وليست قسرية .

الدكتور عمر :

لكن الناس تتفاوت بقدر ما تطرق باب الاستقامة .

تفاوت الناس في الاستقامة :

الدكتور راتب :

وهذا المعنى تؤكده آيات كثيرة :

(لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَهَدَى النَّاسَ جَمِيعًا (31))

(سورة الرعد)

مثلاً لو رئيس جامعة أراد أن ينجح جميع الطلاب وزع عليهم أوراق عليها الإجابة التامة وعلامة من مئة اكتب اسمك فقط ما قيمة هذا النجاح ؟ لا قيمة له إطلاقاً ، الهدى القسري لا قيمة له ، أراد الله أن نكون مختارين والاختيار يثمن العمل ، وإذا ألغينا الاختيار ألغينا الدين ، ألغينا الجنة ، ألغينا النار ، ألغينا الثواب ، ألغينا العقاب والتكليف وحمل الأمانة .

الخلل الذي بدأ عند الإنسان المفكر في الغرب فصادم قضية الاستقامة :

الدكتور عمر :

بارك الله بك دكتور راتب هذا الكلام جميل ، دكتور عربي الآخر أخطأ كثيراً عندما أدخلنا أو أدخل نفسه أولاً ثم نحن كأنهم أغوونا فغوينا أو بعضنا بقضية التفسير المادي للتاريخ ، كل شيء مادة جعلوا البحث عن الطعام ورائد التفكير عند الإنسان وفرويد جعل العلاقات كذا والجنس رائد المشاعر ، والتفسير الجسماني للجسد جعله الذي يتحكم في النفس الإنسانية ، هذا الخلل الفكري الذي صنعه أخواننا

في الإنسانية وأضروا أنفسهم وعادوا علينا الضرر بأن أصبح لهم تلاميذ ينظرون ويتكلمون وظهر من بيننا من يتكلم عن قضية الاتحاد وهذه القضايا الكبيرة .

يعني في علم الاجتماع وأنت أحد رواده دكتور عربي ، العلاقة بين الفرد والمجتمع ، ما هو الخلل الذي بدأ عند الإنسان المفكر في الغرب فصادم قضية الاستقامة أو أنكرها ؟ وسار نحو تأليه العقل ، وصلت النتيجة إلى ما قلته في أنه المخزون الفكري انتهى ، هو في حالة من الضياع والمبهورون به ليسوا معذورين بل هم معذرة أغبياء ؛ لأنني عندما أبهر إذا كان الغرب عملاقاً فهو مصاب بالسرطان، لأن عملقته في المادة والتقنية ويجب أن نتعلم منه أمر طبيعي ولا نبخسه حقه ووضع قوانين لحماية الإنسان ، وحقوق الإنسان وإن كان عندنا أفضل لكن نحن ما طبقناه ، أين المفتاح الذي نستطيع أن نفهم به ؟

الفراغ في الغرب ناجم عن فصل حياة الإنسان عن المفاهيم كالاستقامة :

الدكتور عربي :

الشرق والعالم الإسلامي في التقائه بالغرب عاش مرحلتين ، المرحلة الأولى مرحلة الانبهار المذل ، يعني انبهار بالأقوى ، الآن الغرب لم يعد مبهراً انتهى بالنسبة للغرب نفسه وبالنسبة لنا أيضاً ، الغرب لم يعد مصدراً لنموذج مشروع اجتماعي انتهى ، الغرب الآن ماذا نستفيد منه نحن كمسلمين ؟ نعتبره مختبراً أجريت بين جدرانه تجربتان تجربة الإبداع المادي ، وتجربة السقوط الإنساني (الإفلاس الفكري) ، التجربة الأولى الغرب لما كثف طاقاته أبدع وأنتج وهذا لا ينكره عاقل ، لكن بالمقابل الآن الغرب لما فصل حياته عن مفاهيم مثل مفهوم الاستقامة والقداسة ، هذا الفصل أحدث بين الفرد والفرد فراغاً ، الفراغ هذا بما يملأ في الغرب ؟ يملأ بالأشياء .

الإنسان لا يحدد وجوده إلا بما ينجز من أعمال :

مثلاً الآن إذا بلغ الإنسان سناً معيناً امرأة أو رجلاً ، لا يقال له يا فلان أو يا فلانة يقال له يا بطال أو بطالة ، صار الإنسان يحدد وجوده بما ينجزه من أعمال ، بما يملكه من أدوات هذه المشكلة ، مثلاً فيها بعض المباهر نلاحظ نحن نعيش في الغرب ، هناك في لباقة وأنا أحب اللباقة الأدب مثلاً الغربي مستحيل أن يكون مع امرأة لا يعرفها لا يتقدم ويقول لها تفضلي ، تركب في المترو ، لكن أنا نفسي لاحظت هذا لا يطبق إلا على شريحة سن معينة ، فإذا بلغت المرأة سناً معيناً قليلاً ما تقول تفضلي .

الدكتور عمر :

ذهب جمالها وذهبت أنوثتها ذهب الاحترام مع ضياع المغيرات .

الدكتور عربي :

على الرغم من الشعارات الضخمة احترام الإنسان ، واحترام المرأة ، مازال الإنسان محكوماً بجاذبية الأشياء ، عندنا شيء جميل جداً وكامل جداً لكن البعد النفسي والاجتماعي عندنا ما زال يلح علينا في أن نعيش الحقيقة الإسلامية ، فإذا رجعنا إلى ديننا ، وتأكيدات الإسلام ، والنبي عليه الصلاة والسلام ، والجيل الرائد الأول ، نجد الاستقامة كانت عملة رائجة ، مثلاً الاستقامة تتمثل في إنسان يبدأ الشغل في الساعة التاسعة ، التاسعة ليس العاشرة الاستقامة في موعد .

والحمد لله رب العالمين

ندوات تلفزيونية - قناة الشارقة - كلمات مضيئة - الدرس (4-6) : الاستقامة شهادة الأمة

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: 14-03-2008

بسم الله الرحمن الرحيم

الاستقامة مطلب كمالي لكل إنسان :

الدكتور عمر :

إذا كان الإنسان في هذه الحياة يريد أن يستقيم ، والاستقامة مطلب كمالي لا يرفضه إنسان ، لا أحد يرفض أن يكون مستقيماً حتى إن أبانا آدم حينما قال له إبليس :

(مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ (20))

(سورة الأعراف)

عندئذ ضحك عليهم وظن أبونا آدم أن أحداً لا يقسم بالله كذباً ، الأمر لم يتضح له جيداً .

الدكتور راتب :

فنسي ولم نجد له عزماً على المعصية .

الدكتور عمر :

وهذه ورثها بنوه من بعده ، وما سمي الإنسان إلا لتناسيه أيضاً هذا من باب كل بني آدم خطاء و لكن خير الخطائين التوابون ، أنا أريد دكتور راتب أن نستوضح هل الاستقامة ونحن نتحدث عنها وأنت بفضل الله عز وجل تلمس الحقائق ، نريد أن نعرف مدى علاقة الاستقامة بمعرفة الله سبحانه ، أنا أستقيم بحالي لا آكل حراماً ، لا أظلم ، أصوم ، أعامل زوجتي معاملة جيدة ، هذه الاستقامة يعرف الناس ، لكن معرفة الله عز وجل ، لأن في الحلقة السابقة فضيلتكم وضحتم لنا كلام ابن القيم : من أعجب العجب أن تعرفه ثم لا تحبه ومن أعجب العجب أيضاً أن تحبه ثم لا تطيعه . فالمسألة هنا لماذا هذه العوائق الكثيرة تضع هذا الغبش على القلب في معرفة الله سبحانه ، ما علاقة الاستقامة بمعرفة الله أو ما علاقة معرفة الله بالاستقامة ؟

علاقة معرفة الله بالاستقامة :

الدكتور راتب :

بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آل بيته الطيبين الطاهرين .

دكتور عمر جزاك الله خيراً على هذا السؤال ، بادئ ذي بدء أنا أؤمن وأرجو أن أكون على صواب أنك إذا عرفت الآمر ثم عرفت الأمر استقمت على أمره ، أما إذا عرفت الأمر ولم تعرف الآمر تفلت من الأمر .

على كل في مثل بسيط جداً إنسان في قطعة عسكرية يأتيه أمر من عريف أو عريف أول ، مساعد أو مساعد أول ، ملازم أو ملازم أول ، فإذا جاءه من أعلى رتبة في الجيش يختلف الأمر ، فكلما كان الآمر قوياً كاملاً بيده مصيرك يختلف الأمر ، فلذلك أنا أرى أن في القرآن آيات كثيرة ، هناك آيات فيها أمر موقف المسلم من هذه الآيات أن يأتمر ، هناك آيات فيها نهي موقف المسلم أن ينتهي ، هناك آيات فيه وصف للجنة موقفه أن يسعى إليها ، هناك آيات فيها وصف للنار موقفه أن يفر منها ، هناك آيات تحكي لنا قصص الأمم التي أهلكها الله عز وجل موقفه أن يتعظ ، فإذا كان في القرآن بضع مئات من الآيات التي تتحدث عن الكون فما موقف الإنسان منها ؟ أيعقل أن يقول الله عز وجل كلاماً محكماً ليس لنا منه موقفاً ؟ مستحيل لأن الإنسان لله طرق سالكة إليه ثلاثة ، التفكر في خلقه ، والنظر في أفعاله ، وتدبر آياته .

من آيات الله الدالة على عظمته :

1 ـ الأرض في مسارها :

حينما نرى في القرآن مئات الآيات المتعلقة بالكون ما موقفنا منها ؟

أضرب مثلاً بسيطاً لقطة من آيات الله في الآفاق ، ولقطة من آياته في الإنسان أما الأولى ، الأرض تدور حول الشمس في مسار إهليلجي (أي بيضوي)وهذا المسار له قطران أكبر وأصغر ، فإذا اقتربت الأرض من القطر الأصغر قلت المسافة بينها وبين الشمس وبحسب قانون نيوتن هناك احتمال أن تنجذب إليها ، فإذا انجذبت إليها تبخرت في ثانية واحدة ، ما الذي يمنع هذا الانجذاب ؟ أن الله يرفع سرعتها لينشأ من ازدياد السرعة قوة نابذة تكافئ القوة الجاذبة ، فتبقى في مسارها .

(إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا)

(سورة فاطر)

أي أن تنحرف عن مسارها ، أن تبقى الأرض في مسارها هذه آية عظمى من آيات الله الدالة على عظمته .

الدكتور عمر :

قوة الطرد المركزي وقوة الجذب .

الدكتور راتب :

يتوازنوا ترفع السرعة ينشأ عن هذه السرعة الزائدة قوة نابذة تكافئ القوة الجديدة الجاذبة ، يد من ؟ فعل من ؟ هل الأرض عاقلة ؟ الآن تابعت سيرها فوصلت للقطر الأكبر ، تباعدت المسافة بينها وبين الشمس هناك احتمال أن تتفلت من جاذبية الشمس التجمد المطلق مئتين وسبعين تحت الصفر ، تنتهي الحياة في انجذابها إلى الشمس وفي بعدها عنها .

ما الذي يحصل ؟ تبطئ الأرض من سرعتها ، يد من ؟ حكمة من ؟ تصميم من ؟ ينشأ من بطء السرعة قوة نابذة أقل تكافئ القوة الجاذبة الأقل فتبقى في مسارها :

(إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا)

(سورة فاطر)

2 ـ رفع السماوات بغير عمد :

الآن في عالم فيزيائي لا يعرف الله أبداً من بلاد رفعت شعار لا إله فقال : لو أن الأرض تفلتت من جاذبية الشمس أردنا أن نرجعها للشمس قال : نحتاج لمليون مليون كبل فولاذي ، وكل كبل قطره خمسة أمتار أي يحمل مليونين طن . يعني الأرض مرتبطة بالشمس بقوة تساوي مليون مليون ضرب مليوني طن من أجل أن تحرفها ثلاثة ميلي كل ثانية ليكون هذا الانحراف مؤدياً لمسار مغلق حول الشمس ، فلذلك هذه الحبال لو زرعناها على سطح الأرض المليون مليون كبل لفوجئنا أن بين الحبلين مسافة خمسة أمتار فقط ، نحن أمام غابة من الفولاذ لا يوجد ملاحة ولا بناء ولا طيران ولا زراعة لا شيء ، ما في شمس :

(اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا)

(سورة الرعد)

قال علماء التفسير بعمد لا ترونها ، هذا الإله العظيم يعصى ؟ ألا يستقام على أمره ؟ ألا يخطب وده ؟ ألا ترجى جنته ؟ ألا تخشى ناره ؟ الله عز وجل قال :

(سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ (53))

(سورة فصلت)

3 ـ المشيمة عند الأم :

المرأة حينما تولد دكتور عمر ينزل مع الجنين قرص لحمي اسمه المشيمة ، هذه المشيمة يجمع فيها الله عز وجل دورة دم الأم مع دورة دم الجنين معاً ، و الدمان من زمرتين مختلفتين ومن مسلمات الطب أنك إذا أعطيت الإنسان دماً من غير زمرته يموت فوراً بانحلال الدم ، ودم الأم زمرة ودم جنينها زمرة ولا يختلطان ، قال بينهما غشاء سماه علماء الطب الغشاء العاقل ، لأنه يقوم بأعمال لا يستطيعها أطباء الأرض مجتمعين ، يأخذ الأوكسجين من دم الأم يطرحه في دم الجنين ، ثم يأخذ السكر من دم الأم يضعه في دم الجنين ، ثم يأخذ الأنسولين من دم الأم يضعه في دم الجنين ، صار في سكر ، أوكسجين، أنسولين ، قام بدور جهاز الهضم والتنفس والبنكرياس .

احترق السكر بالأوكسجين عن طريق الأنسولين ، ولّد طاقة ، حرارة الجنين (37)من أين جاءت ؟ الفضلات ثاني أكسيد الكربون يأخذه من دم الجنين يطرحه في دم الأم ، نَفَس الأم (زفير الأم)جزء منه نَفَس جنينها ، عوامل مناعة الأم يأخذها الغشاء العاقل يطرحها في دم الجنين ، فالجنين محصن من كل الأمراض التي أصيبت بها أمه .

شيء ثالث الآن يأخذ الغشاء العاقل حاجات الجنين الغذائية وهذا يعجز العلماء عن معرفة المقادير ، حتى أن بعضهم قال لو أوكل أمر الغشاء العاقل للأطباء لمات الجنين في ساعة واحدة ، يأخذ الغشاء العاقل (هو الله عز وجل ، هذا الإيمان ، هذا الإشراق)يأخذ حاجات الجنين ، بروتينات ، مواد دسمة ، شحوم ، أنزيمات ، فيتامينات ، معادن ، أشباه معادن ، كلها يأخذها بمعايير تتبدل كل ساعة بحسب حاجة الجنين ، يعلم وينفذ ، الآن المواد الغذائية بدم الجنين استقلبت ، الاستقلاب حالة تحول الغذاء إلى نسج الفضلات حمض البول ، يأخذ الغشاء العاقل من دم الجنين حمض البول يطرحه في دم الأم فجزء من بول الأم بول جنينها .

شيء آخر الآن أحياناً تكون الأم فقيرة لا تأكل غذاء كاملاً فيحتاج الجنين من نوع من الغذاء خاص ، شهوة الأم في أثناء الحمل لبعض الأطعمة تعبير عن حاجة جنينها .

التفكر أقصر طريق إلى الله :

لذلك أنا أرى أنك إذا فكرت في خلق السماوات والأرض ، إن في السماوات وإن في خلق الإنسان تقف وجهاً لوجه أمام عظمة الله ، لذلك أنا أقول التفكر أقصر طريق إلى الله وأوسع باب ندخل منه على الله ، ملخص هذا الكلام :

(إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلاَفِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لِّأُوْلِي الألْبَابِ)

(سورة آل عمران)

والاستقامة أساسها أن تعرف الله .

الدكتور عمر :

الله أكبر ، بارك الله فيك دكتور راتب ما شاء الله ، طبعاً بهذا الكلام يأخذ الألباب وجعلنا نهيم في وادي التفكر ، بارك بك الله بك دكتور راتب .

نعم الله أنواع أربعة إما ظاهرة أو خفية أو نعم عامة ونعم خاصة :

دكتور عربي لما وضح لنا الدكتور راتب نحن نعيش أو نتقلب في نعم الله عز وجل ، نعم الله أنواع أربعة إما ظاهرة أو خفية أو نعم عامة ونعم خاصة ، النعم الظاهرة التي رأينا الشمس ولكن لم ندرك مدى هذا إلا بكلام العلماء وهي نعمة عامة ، لكن النعم الخاصة المال ، الصحة والمؤمن يرى النعم العامة والخاصة والنعم الظاهرة والباطنة ، ولو أن كل إنسان أعطي على قدر ما يدعو به رب العباد فقط لتوقفت الحياة ، يعني ما دعوت الله وأنا آتي اللهم قدرني أن أجلس بين الشيخين الجليلين واجعل فمي ينطلق بالكلام واجعلني أتعقل ما يقوله الضيفان ، هذا الكلام ما قلته لكنه حدث دون طلب لأن الحنان المنان الذي بالتعريف والذي يعطي النوال من غير سؤال .

الله عز وجل لما جعل هذه النعم الذين يتفكرون بهذا المنطق هم أقرب الناس إلى أول خط الاستقامة ، الإنسان يتقلب بين حالات أربع إما طاعة وإما معصية وإما نعمة وإما بلية ، وواجب الطاعة الاستمرار والإخلاص وواجب المعصية التوبة والتوقف ، وواجب النعمة الشكر والحمد وواجب البلية الصبر والتصبر ، بهذا المنطلق هل لنا دكتور عربي أن تحدثنا عن علاقة الاستقامة بالكمالات الإنسانية لأن الاستقامة صورة من صور الكمال وكلما استقام الإنسان على طريق الله كلما حقق الكمال الإنساني كما حققه سلفنا الصالح ، نريد أن نشنف أسماعنا بما تقوله لنا .

العلاقة بين الكون المنسجم وبين الإنسان :

الدكتور عربي :

جزاكم الله خيراً ، من نعمة الله على الإنسان أنه دوماً يشعر بجاذبية حول ما يكمل وجوده ، كل إنسان يشعر بهذا ، خذ طفلاً صغيراً إذا رأى صحون فوق هذه الطاولة عندما يراها موضوعة بشكل مستقيم ومنسجم يقول هذا مليح وعندما يرى نتوءات يقول هذا ليس جميلاً ، في الطريق ترى مثلاً ازدحاماً في

السيارات ، إذا رأى أحدنا سيارة يحترم صاحبها يقول ما شاء الله ، هناك استقامة في السير هذا في العالم المادي ، دكتور نابلسي حدثنا عن استقامة مكونات الكون الظاهرة :

(هَلْ تَرَى مِنْ فُطُورٍ (3)ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنْقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ (4))

(سورة الملك)

إذاً الله عز وجل أنعم على الإنسان بأن هيأ له كوناً مستقيماً ، ما المطلوب من هذا الإنسان ؟ الدكتور حدثنا أن الأرض لو انحرفت بقدر كذا لانتهى الكون ، المشكلة في الإنسان بأن استقامة الأرض واستقامة المحيط الطبيعي استقامة تسخيرية ؛ بينما الإنسان استقامته استقامة امتثالية للأمر ، باستقامة الكون حولنا انتظمت الحياة ، باستقامة الإنسان تستقيم حياته فرداً وتستقيم حياة المجتمع ، وبانحراف الإنسان تضطرب الحياة الفردية وتضطرب الحياة الاجتماعية ، ما العلاقة بين هذا الكون المنسجم وبين الإنسان ؟ عندما يستقيم الإنسان مع الكون المحيط يكون عضواً في سيمفونية متكاملة .

الدكتور عمر :

ليس نغمة نشاز .

انحراف الإنسان يؤدي إلى اضطراب الحياة الفردية والاجتماعية :

الدكتور عربي :

عندما ينحرف يصير هو النغمة النشاز ، إذاً الكون كله سيمفونية تشنف الأسماع ، يا أخي إذا كان الجمل (البعير)يتأثر بالنغمات (بالحداء)، فهذا الإنسان الكون المحيط به حدّاء فإذا تعطل جهاز الالتقاط خسر الإنسان ، ويصبح هو النغمة النشاز ولو نطقت كل ذرة من هذا الكون لوبخته .

الدكتور عمر :

ويتكاسل عن السير لأن البعير يقوم على رفقاً بالقوارير يا أنجشة لأن أنجشة كان يحدب ، فإذا عُطل كما تقول فضيلتكم جهاز الاستقبال القلبي والعقلي كما تعبرون الفضاء الفكري للإنسان ، عندما يعطل استقبال هذه الأمور سوف لا يسير ، إنما يتكاسل ويُكسل من حوله .

الدكتور عربي :

ذكرتم في المقدمة العميقة أن هناك عوائق ذكرها سيدنا أبو بكر الصديق .

الدكتور عمر :

إبليس والدنيا ونفسي والهوى .

على الإنسان أن يكون مستقيماً ليؤثر تأثيراً إيجابياً في المجتمع :

الدكتور عربي :
هنا أربعة عوائق ، لكن هناك درجات مختلفة بين هذه العوائق ، هناك عوائق منغرسة في كينونة الإنسان داخلية هي النفس والهوى ، وهناك عائقان خارجيان الدنيا وإبليس ، الإنسان يتأثر بالمحيط الخارجي فكيف يستطيع أن يكون تأثره تأثراً إيجابياً ؟ ومتى يكون تأثره تأثراً سلبياً ؟ يكون تأثره تأثراً إيجابياً إذا شغّل أجهزة الرقابة ، يكون دائماً مراقباً لخلجات قلبه ولخواطر فكره ولحركات بدنه ، ولحكمة ما لما نكرر على الأقل كما ذكرت سبع عشرة مرة في المقدمة لهذه الحلقة اهدنا الصراط المستقيم ، قد يسأل أحدنا أنا مهتدٍ ، أنا مسلم والحمد لله فلما هذا التكرار ؟ المهتدي لا يأمن مطبات الطريق ، قد تحدث حوادث فهو دائماً يرجو الله عز وجل أن لا يزيغ وقد انطلق انطلاقة سليمة ، وكلمة المستقيم تعني تحدث المفسرون بـ اهدنا الصراط المستقيم في ملمح آخر لم أعثر عليه وأرجو أن يكون مفيداً ، الصراط المستقيم كان من المتوقع أن نقول الصراط القويم ، لكن حرف السين هنا يذكرنا بأن سلوكنا في الطريق المستقيم يتقاضانا أن نستقيم فكأن الطريق هو الذي يقول لي استقم .

البيئة الجيدة هي البيئة التي تساعد الإنسان على الاستقامة :

أسلافنا الصالحون أنشؤوا بيئة تساعد على الاستقامة ، كان ما يسمى في علوم التربية وحدة الهدف ، شخص يتعلم النحو وهذه مشكلات وزارات التعليم في بلادنا اليوم لا يوجد وحدة ، ما فيها ترابط ، ما فيها تمحور ، ترى شخصاً يدرس كتاب النحو في ألفية ابن مالك ، ابن مالك يعلّمه يقول له ما هو الكلام المفيد ، ما قال له مثلاً زيد قائم كلامنا لفظ مفيد كاستقم ، يأتي مثلاً في باب آخر في باب المبتدأ ماذا يجوز بالنكرة ورجل من الكرام عندنا ، إذاً يتعلم القاعدة النحوية ويتعلم الرابط الخلقي (المفاهيم الخلقية)، فأنشأ المسلمون هذا الجو النظيف المنظف ، وهذا عامل من العوامل التي تساعد الشاب الذي تفضلت بالتسآل باسمه يسأل يقول أنا أخرج فأجد التيار غالباً ، إذا كان في بلادنا أنشأنا شبكة فكرية متكاملة الحلقات فإن الشبكة الفكرية ستشكل المحيط الاجتماعي المسكون بأمرين ، المسكون بالدرجة الأولى بالروحيات الجمالية ، كيف الروحيات الجمالية ؟ الروحيات الجمالية أن الإنسان قد تحدثه نفسه بأن يركب نيته من عنصرين متضادين ، لا يقول في تضاد إذاً المحيط الذي يحيط به يذكرني بأن لا تكون نيتي إلا جميلة ، المحيط الذي يحيط بي يذكرني أن كلماتي لا قيمة لها إلا إذا كانت جميلة الشكل، عميقة المعنى ، ما قيمة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ؟ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ليس

استئصال للرذائل وإنما تغليب لموحيات الجمال على المؤثرات الشرية ، إذاً لما الإنسان يتأمل يقول أنا ذرة مكرمة في كون منسجم وقديماً قال علماؤنا :

أتحسب أنك جرم صغير وفيك انطوى العالم الأكبر

* * *

طاقة الإيمان تجعل الإنسان يعشق الاستقامة :

العالم (المحيط الخارجي)عوالم ومستويات ، والإنسان عوالم ومستويات رحم الله من قال : إن الإنسان لبعده المادي يتعامل مع العالم المشهود مع عالم الشهادة وبقلبه النوراني يتعامل مع الملكوت وبروحه الأمري يتعالم مع عالم الجبروت ، وهذه قوة المسلمين ، ما كان المسلمون في يوم من الأيام أقوى عدداً ولا أكثر عدة من غيرهم ، إذا رأيت ثوباً يتراقص في الفضاء البليد يظن أن رقصة الثوب ذاتية ولكن العاقل يقول لا فيه طاقة محركة هذه الطاقة لا أراها ولكني أرى آثارها ، فما هي الطاقة التي تجعلنا نعشق الاستقامة ؟ إنها طاقة الإيمان ، والإيمان أول مؤثراته في النفس ينشئ في الفضاء الداخلي جو أمن ، تأمن فيه النية الطيبة شرور النية الخبيثة ، وتأمن فيه الكلمة السديدة شرور الكلمة المعوجة ، ويأمن فيه العمل الصالح شرور العمل السيئ ، مثلاً تجد أكثرنا يتحدث عن الاستقامة لفظاً ولكن يستغل جميع الفرص ليقع في عرض أخ من إخوانه ، إذاً هناك استقامة لفظية ؛ ولكن يستغل جميع الفرص ليقع في عرض أخ من إخوانه ، إذاً هناك استقامة لفظية كذبها اعوجاج سلوكي .

تجد شخصاً حتى في مجال الدعوة ومجال الأمر بالخير تجد شخصاً قد يفتح الله عليه ، ويضع القبول في كلامه ، لو كان الآخر مستقيماً يحمد الله عز وجل أن وجد هذا الإنسان لما ؟ إذا كان ساحة من الساحات غرقت في الظلام وكان الناس يتخبطون في هذا الظلام وكل الأحياء يتأثرون سلباً بعدم الرؤية فيصير أحدنا كما قال القائل كحاطب ليل ، قد تكون نيته البحث عن استخراج خشبة ولكن قد يضع الفأس في رجله لا قدر الله ، إذا جاء زيد من الناس وأرسل أشعة بددت الظلام تجد شخصين إذا كانوا عقلاء يقولون الحمد لله و جزى الله هذا الرجل الذي ملأ هذا الفضاء نوراً ، إذا كان شخص سرّاق يسرق القلوب ويسرق فضل الله فيقول لا ، لِما أرسل النور هنا ، إذاً المستقيم يفرح بالخير سواء ظهر منه أو ظهر من غيره ، والمستقيم لا يعتقد أنه هو مصدر الخير وإنما هو مظهر للخير يفرح لأن الله عز وجل جعله وسيلة ومظهراً للخير .

الاستقامة تحتاج إلى عمل دؤوب :

الدكتور عمر :

بارك الله ولذلك معذرة أنا إذا وضعت على بابي عشرة أقفال وخمسين رتاج لا يغضب إلا اللص ، اللص يغضب ولذلك اللص عندما يغضب مثلاً الذي يغضب من حجاب بناتنا نعلم أنه لص ، دكتور عربي هل توافقني على قضية المستقيم أنت وضحت لنا أن هذا يدل على إنهاض الهمة لعمل شيء ، لمّا قال : ثم استخرجها بوعاء أخيه ، ولم يقل أخرجها ، لأنه كان يعلم مكانها إذاً هو يعلم فالإنسان العاقل المؤمن يعلم أن الاستقامة إنما هي تحتاج إلى عمل دؤوب جهد جهيد كي يستطيع أن يثري حركته .

قضية القلب قضية خطيرة جداً في حياة المسلمين :

دكتور راتب اثنان من الكذابين من البادية جلسوا كلاهما يكذب على أخيه يقول الأول عندما أشرقت الشمس بقيت قطعة من الليل فدخلت عليها بسيف و مزقتها أرباً حتى انجلى ، الآخر وجد الكذبة كبيرة ردّ الآخر وقال أما أنا فخرجت في البادية فرأيت ظبياً فصوبت نحوه سهمي فتيامن الظبي فتيامن السهم، فتياسر الظبي فتياسر السهم فصعد تلة فصعد خلفه ، عندما قصصت هذه الطرفة على شيخنا رحمه الله قال رحمه الله رحمة واسعة وهكذا كثير من العرب يعيشون بتخيل ما بين الكذابين ، هذا التخيل يخدم الإنسان يقول أنا مستقيم وأنا هل يجب أن أصلي ولازم المرأة تتحجب ؟ المهم قلبي وهو نظيف لا يضر مع الإيمان معصية .

التحلل من الدين ليس تحرراً إنما معصية :

الدكتور عربي :

والله إذا سمحتم قضية القلب كان في سنوات مضت اغتر الناس وظنوا أن التحلل من الدين والقيم تحرراً فكان رجلاً رحمه الله عنده ولد كان يتعلم في الجامعة وعندما حلّ رمضان قال له أنا لا أصوم ، قال والله أنا أصوم بقلبي ، سكت الوالد وكان حكيماً وعندما أذن المغرب وضعت المائدة وجاء الشاب يتعشى قال له أبوه لماذا جئت إلى هنا ؟ قال جئت لكي آكل ، فقال له والله لو تأكل كُلْ بقلبك .

الدكتور راتب :

والذي كان في فرنسا درس الفلسفة وجاء إلى أبيه وأمه قال لأبيه أنا سأقنعك يا أبي أن هذين الفروجين ثلاثة بالدليل القطعي قال له أنا سآكل أحدهما ولتأكل أمك الثاني وكل أنت الثالث .

الدكتور عمر :

وهذا الحل الأمثل ، دكتور راتب بارك الله فيك ، الاستقامة والعمل الصالح ، رأينا الاستقامة بمعرفة الله وسقت لنا دليلين عظيمين بارك الله فيك ، نريد أن نعرف الفرق ، الاستقامة هي العمل الصالح أم الاستقامة شيء والعمل الصالح شيء ، في خيط رقيق فروقات لا تظهر .

الاستقامة حدّية غير قابلة للتفاوت :

الدكتور راتب :

والله أنت أستاذنا تصغي للحديث بسمعك وأنت أدرى به ، سيدي الاستقامة والعمل الصالح إذا اجتمعا تفرقا وإن تفرقا اجتمعا ، يعني إذا قلنا الاستقامة نعني بها الانضباط السلبي والعمل الصالح الإيجابي .

الدكتور عمر :

الاستقامة كما قلنا من قبل عن المحظورات أو عن المنهيات .

الدكتور راتب :

وهي العمل السلبي ، والعمل الصالح إيجابي قدم من ماله ، من علمه ، أما إذا أردنا أن نعطي الاستقامة المعنى الدقيق بها فهي حدية غير قابلة للتفاوت بمعنى مستودع للوقود السائل كلمة محكم حدي ، ما في نصف محكم إما محكم أو غير محكم إن لم يكن محكماً فهو نسبي ، إذا ما في إحكام قد يفرغ بسنة أو بشهر أو بساعة أما إذا كان محكماً فالإحكام حدي ، وفي العربية أفعال ليست قابلة للتفاوت كقولنا مات، ما في فلان أموت من فلان الموت حدي ، هذا المعنى مأخوذ من قول النبي صلى الله عليه وسلم : ما نهيتكم عنه فاجتنبوه . حدي وما أمرتكم به فأتوا منه ما استطعتم :

((إِذَا نَهَيْتُكُمْ عَنْ شَيْءٍ فَاجْتَنِبُوهُ وَإِذَا أَمَرْتُكُمْ بِأَمْرٍ فَأْتُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ))

[متفق عليه عن أبي هريرة]

هذا المستودع محكم ، الإحكام حدي الآن نملؤه بقدر استطاعتنا ، يملأ بالماء أو بالوقود السائل بقدر إمكاناتنا أما هو محكم والإحكام حدّي ، هذه واحدة .

كل معصية حجاب و من حجب عن الله انقطعت علاقته به :

الآن مما يلفت النظر أن كلمة الصراط المستقيم جاءت مفردة :

(وَأَنَّ هَـذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَلاَ تَتَّبِعُواْ السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ)

(سورة الأنعام : 153)

وهذا الشيء يتناغم بين الهندسة وبين المعاني المجردة ، بين نقطتين يمر خطاً مستقيماً واحداً ، يمر مليون خط منحني ، مليون خط منكسر ، لذلك لي رأي دقيق جداً أرجو أن أكون على صواب ، استيعاب الباطل مستحيل ، ما يطبع في اليوم الواحد من الكتب باللغة الإنكليزية يحتاج الإنسان ليقرأه لمئتي عام فلا بد من أن تستوعب الحق ، هو ممكن لعمر متوسط أن تستوعب الحق لأنه واحد ، وفي دليل آخر :

(اللّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُواْ يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّوُرِ وَالَّذِينَ كَفَرُواْ أَوْلِيَآؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ)

(سورة البقرة الآية : 257)

الظلمات جمع إلى النور ، النور مفرد ، ما قال من الظلمات إلى الأنوار ، وما قال من الظلمة إلى النور، من الظلمات إلى النور .

إذاً الاستقامة حدية فحينما لا نحكم استقامتنا تتعطل علاقتنا بالله عز وجل ، كل معصية حجاب والإنسان إذا حجب عن الله فقد النور والآية الدقيقة :

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ ((28)

(سورة الحديد)

الاستقامة تحقق السلامة والعمل الصالح يحقق السعادة :

إذاً الاستقامة حدية والعمل الصالح نسبي بقدر إمكانك ، هذه نقطة دقيقة أولى ، الآن الاستقامة تحقق السلامة والعمل الصالح يحقق السعادة ، أنت حينما تبذل من مالك ، من وقتك ، من جهدك ، تشعر أن الله يحبك ، يتجلى على قلبك ، فإذا بحثنا عن السعادة فلتكن في العمل الصالح ، حجم الإنسان عند الله بحجم عمله ، والتجليات التي يتلقاها الإنسان أو السكينة هذه تأتي من حجم عمله .

الدكتور عمر :

ومع هذا حجم العمل الذي سوف نواصل الحديث عنه إن شاء الله كونوا معنا .

مرة أخرى ونحن نتحدث في هذا البرنامج كلمات مضيئة عن الاستقامة شهادة الأمة ، كنا نتحدث قبل الفاصل دكتور راتب عن الفرق بين الاستقامة والعمل الصالح ، قلنا أن الاستقامة حدية لا تقبل والعمل الصالح نسبي ، والعمل الصالح يحدث في القلب سعادة .

الدكتور راتب :

الاستقامة تحدث السلامة والعمل الصالح يحدث السعادة والإنسان مفطور على حب سلامة وجوده

وكمال وجوده .

الدكتور عمر :

ولذلك ابن عطاء يقول في حكمه لا تفرح بالطاعة لأنها برزت منك ولكن افرح بها لأن الله جعلك لها أهلاً . كرم الله على العبد أن يقيمه على الطريق وإذا أقامه على الطريق فإنه يحبه .

الدعوة فرض عين على كل مسلم في حدود ما يعلم ومع من يعرف :

الدكتور راتب :

لذلك أنا أقول لا تقلق على هذا الدين إنه دين الله ، لنقلق ما إذا سمح الله لنا أو لم يسمح أن نكون جنوداً له ، ثم أقول كلمة أخرى لا تقلق من وجود الباطل ، الباطل قديم ولكن لنقلق ما إذا انفرد الباطل بالساحة، حينما ينفرد فلذلك الآية الكريمة :

(والْعَصْرِ (1)إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ (2))

(سورة العصر)

جواب القسم أنه خاسر أي إنسان خاسر لأن مضي الزمن يستهلكه :

(إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ {3})

(سورة العصر)

فالتواصي بالحق فرض عين على كل من طلب النجاة ، نحن نتوهم أن الدعوة من مهمات الدعاة الكبار، لا ، الدعوة فرض عين على كل مسلم في حدود ما يعلم ومع من يعرف ، وهذه الآية دليل ربع النجاة التواصي بالحق فيما يعلم ومع من يعرف والنبي يقول :

((بلغوا عني ولو آية))

[أخرجه البخاري والترمذي عن ابن عمرو]

الآن كتاب بمكتبة هو الكتاب المقرر في امتحان السنة الأخيرة وأهم مادة بعد أيام والمكتبة فيها عشرة آلاف كتاب هل من العقل أن أقرأ كتاباً آخر ؟ يبنى عليه نجاحي وتعيني في وظيفة وزواجي وشراء بيت إلى آخره ، لذلك ما لم نصطفِ من نشاطات لا تعد ولا تحصى النشاط الذي يؤدي بنا إلى الاستقامة فنحن في خسارة .

على الإنسان أن يزيل جميع العقبات في طريقه ليصل إلى الله بالعمل الصالح و الاستقامة :

النقطة الدقيقة جداً أن الحق يمكن أن تستوعبه أو أن تستوعب ما لك به علاقة وأنا أقول دائماً أي قضية في الدين لا يبنى عليها حكم شرعي لا جدوى منها .

الدكتور عمر :

دكتور راتب معذرة القرآن الكريم ستة آلاف مادة يساوي العرب ستين ألف مادة ، استوعب القرآن ألفاظ العربية كلها وما استوعب لسان العرب وهو عشرة أضعاف ألفاظ العربية ولا احتووا مفرداتها وهذا الفرق بين كلام الله وكلام العبد ، كالفرق بين الله وبين خلقه .

الدكتور راتب :

الفرق نوهت به قبل حلقتين أن في عقبات ، كل معصية عقبة ، كل معصية هي عقبة كؤود في السير على الله ، الاستقامة أن تزيل هذه العقبات وكلما أزحت عقبة سهلت طريقاً إلى الله ، فإذا أزيلت جميعها الآن يأتي العمل الصالح حركة على هذا الطريق والعمل الصالح يرفعه .

الدكتور عمر :

بارك الله أكرمك الله .

كيف تكون الاستقامة كلمة فاعلة في حياة أمتنا التي لا تشيخ ؟

دكتور عربي قلت لنا في حلقة سابقة أن توينديي كان متأثراً بابن خلدون ، وابن خلدون تكلم عن شيخوخة الدول وشيخوخة الدول فيما يرى ابن خلدون وفيما يرى توينديي هذه الدول التي لا رصيد لها من وحي السماء ، إذا كانت الاستقامة كلمة فاعلة فهل تشيخ أمتنا ؟ وهي عندها منهج أم شاخ أهلها عندما تنكبوا للمنهج ؟ وكيف تكون الاستقامة كلمة فاعلة في حياة أمتنا التي لا تشيخ ؟ لأن الدين ليس جهازاً يعمل من ذاته وإنما هو يفعل ، لا بد من تفعيله .

نعمة الوجود من النعم الكبرى التي أنعم الله بها على الإنسان :

الدكتور عربي :

الفرق بين أمتنا الإسلامية وبين الأمم الأخرى فرق بين من وجد مقومات البقاء ونوعية الحياة وبين الذي فقدها ، الله عز وجل ينعم على الإنسان نعمتين نعمة الوجود وما في واحد يدعي أنه أوجد نفسه أو

وُجد من غير شيء ، وهذا نعمة الوجود يشترك بها سبعة مليارات من البشر ، المشكلة أين تتجلى ؟ تتجلى في كم الحياة أو في نوعية الحياة ، من ناحية الكم ستة مليارات أو سبعة يشتركون في أي حياة :

(وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاةٍ (96))

(سورة البقرة)

هكذا أي حياة ، أي شكل أو معيشة أي استهلاك وتكاثر كالفئران والضفادع والنمل ، المجتمع الذي ينفصل عن إلهام السماء مجتمع يتسفل فيصبح شبيهاً بمجموعات النمل ، النمل تعيش عيشة غريزية ، وتتجاور تجاوراً جغرافياً ، المجتمع المنوط به الشهادة حمل الرسالة وإنجاز حضارة مجتمع يتكامل ولا يحيا الحياة اللائقة بالإنسان إلا إذا ظلّ مصباحاً موصولاً بمولد التيار هذا حال أمتنا ، فابن خلدون رجل لم يستق معلوماته من المكتبات فقط ، ابن خلدون من نوادر البشر الذين جمعوا بين التجربة الميدانية والتأمل الفكري ، ومارس وكانت ملاحظاته تتجاوز الساحة الإسلامية ، لأن البعض وجه إليه نقضاً قال كيف يقول تشيخ المجتمعات وأمتنا الإسلامية ولم يكن يقصد الأمة الإسلامية كان يقصد يعمم ، ما معنى الظاهرة الاجتماعية يجب ألا تكون مختصرة مثل في علوم الطبيعة بعد أن لاحظوا أن المعادن تتمدد بالحرارة أطلقوا القانون : المعادة تتمدد بالحرارة .

انهيار الأخلاق سبب رئيسي في انهيار الحضارات :

ابن خلدون بعدما لاحظ انتقال العمران البدوي إلى العمران الحضري وذكر قضية الترف ، وتساءل الناس قالوا هل ابن خلدون كان يعرف الثقافة الأجنبية ؟ العقد التي عندنا ، هو لم يكن يعرف شيئاً ، كان يلاحظ ويستمد قيم القرآن ومبادئه ، فطبق القيم وكليات القرآن على الجزئيات المتغيرة هذا الرجوع ربط الجزئيات بالكليات وربط المتغيرات بالثوابت اهتدى إلى هذا القانون وكان من حقه أن يؤكد بأنه لم يسبق إلى هذا .

الدكتور عمر :

توينبي يقول درست اثنتين وخمسين نوعاً من أنواع الحضارة والمدنية وجدتها انهارت حينما انهار فيها الجانب الخلقي .

القرآن الكريم سبب استمرار أمتنا :

الدكتور عربي : ويجب علينا الآن أن نراجع الدراسات القيّمة حول سقوط روما ، التي امتدت شرقاً وغرباً ، الحضارة الغربية التي تمتاز بأنها حضارة نفعاوية ، النفعية شيء طبيعي لكن المبالغة في

النفعاوية ، يعني أنت تساوي قيمة ما تقدمه من نفع ، إذا انتهى دورك النفعي انتهيت ، مثلاً في أوربا بعدما استعمر الشرق ، استخدمت الأيدي العاملة والنهضة الصناعية كانت تسمى وقامت على أكتاف البسطاء من أبناء الشرق ، الآن الغرب استغنى عن الأيدي العاملة فقال عودوا من حيث كنتم ، أما الإسلام الشمعة طاقتها محدودة أنا أشعل شمعة قد تنفذ في ساعة ، الشمس لا تنفذ إلا إذا قدر الله عز وجل ، إذا الشمس كورت ، لكن ما دمنا أحياء فإن الله عز وجل سيكرمهم بإبقاء الشمس ، فالإسلام شمس باقية والمسلمون قد ينزوون مثل القمر ، القمر ليس مجنوناً ، القمر ولا مرة قرر والدليل الظروف القليلة التي يحدث فيها كسوف وخسوف ، فالمسلمون إذا وضعوا بينهم وبين الإسلام الشمس حجاباً فإنهم يفقدون نورهم ومن هنا نقول ما دام القرآن الكريم موجوداً فإن أمتنا لن تنتهي .

الدكتور عمر :

جزاكم الله خيراً دكتور عربي ، الاستقامة ليست كلمة نظرية وليس فعلاً حتى لا يظن الناس أن شيئاً سلبياً ، سلبي لأنني لا أفعل كذا لا أفعل كذا من هذا المنطلق ، الاستقامة كلمة فاعلة ليست كلمة لفظية ، وإنما كلمة حالية مطبقة ظاهرة واضحة قدوة ، هذه الاستقامة .

الاستقامة ليست حادثة مجردة و إنما هي تطبيق عملي :

الدكتور عربي :

الاستقامة لا يوجدإنسان يكون ظمآناً وعنده لوحة جميلة مرسوم عليها مسير ماء ، هو ظمآن وعنده كوب الماء موجود هنا ، هل يكتفي بتأمل اللوحة الجميلة التي تمثل صورة للماء أم يمد يديه للكوب ؟ أو يقال عليه :

(كَبَاسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى الْمَاءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَالِغِهِ (14))

(سورة الرعد)

حفظنا في المدارس مثلاً المعادلة الكيميائية للماء الماء يتألف من كذا وكذا ، هل إذا ظللت حياتي كلها أردد كذا ذرة هيدروجين وكذا ذرة أوكسجين هل هذا ينفعني ؟ إذاً أمتنا يجب ألا تكتفي بترداد كلمة الاستقامة ، الاستقامة ليس مفهوم مجرد ، الاستقامة مثل الطاقة التي تنساب في كل نشاط من أنشطة الإنسان ، والاستقامة ليست حادثة ، الحادثة تحدث الآن وانتهت ، الاستقامة كما يقال صيرورة دائماً هكذا لا يمكن في لحظة من اللحظات المسلم الموصول بالله ألا يكون مستقيماً كيف ؟ الاستقامة أولاً حتى من استعمالاتها القرآنية ، الاستقامة أولاً جهد ، استقم ، أي أخرج الاستقامة من رأسك كفكرة إلى الواقع كتطبيق .

الاستقامة تحتاج إلى عزم و ثبات :

الاستقامة ، نحن تعودنا أن نتحمس هكذا طبيعتنا مع الأسف ، مثلاً صعلوك من صعاليك الغرب يرسم صورة سيئة للنبي عليه الصلاة والسلام نخرج في مظاهرات عارمة وننتهي ، هم اعتادوا هذه المواقف كيف نعرض حقيقة النبي صلى الله عليه وسلم إلى الإنسانية التي تجهله ؟ الغرب اكتشف آبار بترولنا ، كم جهد بذلناه لنبين للغرب ولو جزءاً يسيراً من قرآننا من عظمة النبي صلى الله عليه وسلم .

الدكتور عمر :

الغرب يعرف عن بترولنا ولا يعرف عن قرآننا .

الدكتور عربي :

ويا ليته يعرف فقط إنما أنشأ وساعدناه في إنشاء ظروف جعلت البترول ويل لنا وعلينا ، هذه المشكلة فصرنا مثل البعير يحمل أطناناً من المياه والظمأ يقتله ، إذاً هذا دليل على أن ما في استقامة فكرية وما في استقامة عملية ، لذلك الاستقامة تحتاج إلى عزم :

(فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ (159))

(سورة آل عمران)

لذلك الاستقامة تحتاج إلى ثبات .

المسلمون الأولون تركوا بصماتهم لأن آثار أعمالهم مستمرة إلى الآن :

ما معنى يقيمون الصلاة ؟ أي يديمون تحقيق شرائطها ، ما معنى ديناً قيماً ؟ قال العلماء : دين الأمة التي تستمر قائمة بالقسط .

ما معنى القسط ؟ كيف اكتشف ؟ المسلمون الأولون تركوا بصماتهم على الجغرافيا وتركوا بصماتهم على التاريخ ، اذهب الآن إلى الأندلس ما زالت بصمات أجدادنا مطبوعة على صفحة الجغرافيا ، في بلانسيا إلى الآن قاضي المحكمة ما زال يوزع كميات المياه على السكان على الطريقة التي أنشأها أجدادنا ، تركوا بصماتهم جغرافياً ، تركوا بصماتهم تاريخياً ، في بلد من بلاد الاسكندنافية مع أن اللغة بعيدة جداً حدثني أحد الأخوة هناك أن كلمة ضريبة بلغتهم قريبة من حيث الاشتقاق من كلمة زكاة ، تركوا هذا .

إذاً الاستقامة العمل الذي نداوم عليه ، العمل الذي نستمر فيه ، وتبقى آثاره كشاهد جغرافي وكشاهد تاريخي .

الدكتور عمر :

بارك الله دكتور عربي ، دكتور راتب إذا كانت الاستقامة بهذا ألمر وهو فعل عملي واقعي ليس تجريداً نظرياً وليست خطب تقال وغير ذلك إن للاستقامة ثماراً ، حدثنا عن ثمارها أكرمك الله .

الفرق الكبير بين حقائق الإيمان و حلاوة الإيمان :

الدكتور راتب :

أحياناً ترى إنساناً الألف من مثيله كأف ، وترى إنساناً آخر كألف ، سيدنا خالد طلب مدداً ليواجه عدواً أرسل له رجلاً واحداً ، اسمه القعقاع بن عمرو ، فلما وصل إليه قال أين المدد ؟ قال له : أنا المدد ، قال له : أنت ؟ قال له : أنا ، معه كتاب ، قرأ الكتاب ، يقول سيدنا أبو بكر : فو الذي بعث محمداً بالحق ، إن جيشاً فيه القعقاع لا يهزم .

في نقطة دقيقة جداً وهي كيف كان الصحابة أبطالاً رهباناً في الليل فرساناً في النهار ؟ كيف كان الواحد منهم كألف ؟ كيف تألقت حياتهم وتأججت مشاعرهم وكانوا أبطالاً ؟ في عظمة عند الصحابة تفوق حدّ الخيال ، ترى الآن مليار وخمسمئة مليون مسلم لا وزن لهم ليست كلمتهم هي العليا ، ليس أمرهم بيدهم، للطرف الآخر عليهم ألف سبيل وسبيل ، أين الخلل ؟ بعضهم قال فرق كبير بين حقائق الإيمان وبين حلاوة الإيمان ، حقائق الإيمان معلومات أي إنسان ذكي يطلع عليها وقد يحفظها وقد يعطي في بعض الجامعات الغربية دكتوراه في الشريعة وهو ليس مسلماً ، هذا شيء طبيعي .

حلاوة الإيمان أحد أكبر ثمار الاستقامة و لا تتحقق إلا :

ما الفرق بين حقائق الإيمان وبين حلاوة الإيمان ؟ للتقريب إنسان معه خارطة قصر ، الأبهاء الشرفات الحدائق كلها أرقام خطوط على ورق وهو لا يملك كوخاً يسكنه ، حلاوة الإيمان أن تملك هذا القصر وأن تسكنه .

1 ـ أن يكون الله و رسوله أحب إليك مما سواهما :

فرق كبير بين حقائق الإيمان وبين حلاوة الإيمان ، حقائق الإيمان يستوعبها كل إنسان عنده فكر الآن هذه الحلاوة ما ثمنها ؟ مثل يقول عليه الصلاة والسلام :

((ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ ...))

[متفق عليه عن أنس بن مالك]

أول بند :

((أَنْ يَكُونَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا))

[متفق عليه عن أنس بن مالك]

أنا أتوهم أنه لو سألت مليار وخمسمئة مليون مسلم أليس الله ورسوله أحب إليك مما سواهما ؟ لا أشك أن واحداً يقول لا ، إلا يقول نعم ، ليس هذا هو المعنى ، المعنى أن يكون الله في قرآنه ، في أمره ، في نهيه ، ورسوله في سنته ، أحب إليك من مصالحك المادية المتوهمة القريبة إذا تعارضتا ، عند التعارض ، حينما تتعارض مصالحك مع النص الشرعي مع كلام خالق الأكوان مع ما صحّ من سنة النبي العدنان عندئذ تؤثر طاعة الله وتركل مصلحتك المتوهمة في الدنيا بقدمك لليقين الذي قرّ في نفسك عندئذ دفعت ثلث حلاوة الإيمان .

الدكتور عمر :

دكتور راتب لذلك كلام الحسن البصري رحمه الله كان يقول لو كانت الدنيا من ذهب فان وكانت الآخرة من خزف باق لفضّل العاقل الخزف الباقي على الذهب الفاني ، فما بالهم يفضلون الخزف الفاني على الذهب الباقي . هذا يعود إلى وجود عقل ، قال له يا بن الخطاب أما كانت لكم عقول ؟ كانت لنا عقول يا رسول الله ولكن لم تكن هناك هداية .

أديسون كان عقلاً كبيراً عمل الكهرباء ، لكن كانت تنقصهم الهداية .

لا يقطف حلاوة الإيمان إلا من استقام على أمر الله :

الدكتور راتب :

(إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ (18)فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ (19)ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ (20)ثُمَّ نَظَرَ (21)ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ (22)ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ (23)فَقَالَ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ (24))

(سورة المدثر)

لذلك الذي أتمنى أن يكون واضحاً أن الوحي للعقل كالنور للعين ، لا ترى إلا به ، العقل من دون نور إلهي يضل .لذلك حلاوة الإيمان تأتي من أن تلزم جانب الشرع أي أن تستقيم ، أنت حينما تستقيم تقطف حلاوة الإيمان .

2 ـ الولاء و البراء :

في بند ثانٍ :

((ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ : أَنْ يَكُونَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا ، وَأَنْ يُحِبَّ الْمَرْءَ لَا يُحِبُّهُ إِلَّا لِلَّهِ))

[متفق عليه عن أنس بن مالك]

هذا اسمه الولاء والبراء ، من أركان الإيمان أن توالي المؤمنين ولو كانوا ضعافاً أو فقراء ، وأن تتبرأ من الكفار والمشركين ولو كانوا أغنياء وأقوياء ، ولو كانت مصالحك عندهم ، الولاء والبراء شيء مهم جداً في حياتنا ، أن تستقيم على أمر الله وأن تركل بقدمك كل مغنم متوهم قريب يتعارض مع منهج الله وأن توالي المؤمنين ، إنسان له أب يحبه كثيراً سمع عنه قصة مؤلمة جداً ، أولاً يحسن الظن بأبيه يسأله يدافع عنه ، أما أن تقبل كل تهمة للمسلمين وأنت مسلم هذا شيء مستحيل ، حينما ينعدم الولاء والبراء ينعدم الإيمان .

الدكتور عمر :

هؤلاء الذين يهاجمون علماء الأمة والدعاة على مرّ الزمان مثلاً الذين تركوا بصمات كبيرة في حياتنا مازال أبناء الكتب يهاجمونهم لا أقول أبناء الشيوخ ، لأن أبناء الكتب يعملون مثل طفل الأنابيب وطفل الأنابيب ليس عيباً ، مثلاً تركوا بصمات كبيرة منهم من يهاجم أبو حنيفة ومنهم من يهاجم ابن تيمية ، وهؤلاء قمم كبار ولولا إخلاصهم لما كان هذا الأثر الباقي ، هؤلاء تنكبوا طريق الاستقامة ، وإذا تراه تقول الله أكبر هذا هو المسلم أما عندما يتكلم ـ تكلموا تعرفوا .

توافق فطرة الإنسان مع استقامته :

الدكتور راتب :

أنا قناعتي دكتور عمر أن الإنسان مفطور فطرة متوافقة تماماً مع الاستقامة فإذا استقام توازن ، إذا استقام اصطلح مع نفسه ، إذا استقام وجد ذاته ، الآن إن خرج عن مبادئ الاستقامة ما الذي يحصل ؟ يحصل حالة اسمها اختلال توازن ، هذا الاختلال يحاول أن يرممه ، فمعظم الناس يرممون اختلال توازنهم بالطعن بالعلماء ، بالطعن بالصالحين حتى يتوازن ، مرة أستاذ دخل إلى الصف قال افتحوا الوظائف ، طالب ليس كاتباً وظيفته ، قال لم نكتب أستاذ ، قال له أنت كم واحد ؟ الإنسان لما يعصي يحب أن يعصي الناس جميعاً معه ، كل إنسان بمعصيته لله بحسب فطرته السليمة وتوافقها مع منهج الله اختل توازنه ، هذا الاختلال يرمم بطريقتين خاطئتين والثالثة صحيحة ، أول طريقة يطعن بالصالحين

حتى يرتاح ، والثانية يتعلق بفكرة غير صحيحة لكن تنجيه ، مثلاً إنسان يغش في البيع والشراء لو سمع من شيخ متواضع شفاعتي ، فهو يفهم هذا الحديث على مزاجه الخاص يتمسك به ، قلت البارحة في أحيان كثيرة الإنسان يعتقد بأشياء غير صحيحة لكنه مريح ، نحن بحاجة إلى أن نعيد التوازن ، التوازن يأتي من الاستقامة .

في خارطة بلاستيكية نافرة وضعنا حولها إطاراً ، صببنا جبصين بعد أن جفّ الجبصين نحن أمام قالب وأصل التوافق مئة في المئة على مستوى الميليمتر ، أنا أعتقد أن الفطرة مع المنهج متطابقة مئة بالمئة، فأي خروج عن منهج الله عز وجل خروج عن مبادئ الفطرة ، في راحة نفسية كبيرة تأتي للمسلم من أين ؟ اصطلح مع نفسه كما تفضل الدكتور في نغم عام هو صار ضمن هذا النغم وليس نغماً شاذاً ، إذاً الشيء الثاني الولاء والبراء .

3 ـ أَنْ يَكْرَهَ أَنْ يَعُودَ فِي الْكُفْرِ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقْذَفَ فِي النَّارِ :

أما الشيء الثالث :

((وَأَنْ يَكْرَهَ أَنْ يَعُودَ فِي الْكُفْرِ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقْذَفَ فِي النَّارِ))

أنا دائماً أقول المسلم ليس على الحدود في الأعماق ، تصور إنساناً في قمة جبل أكبر موجة عاتية لا تؤثر فيه أما إنسان شك ، لذلك الإنسان كلما قوي إيمانه دخل في الأعماق ، ألم يقل الله عز وجل :

(وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ)

(سورة القلم)

لم يقل الله ذو خلق عظيم ، أحياناً الواحد منا يأتيه صراع أفعل لا أفعل ، أما النبي صلى الله عليه وسلم في الأعماق فكلما قوي الإيمان كنت في الأعماق ، كلما القناعات ازدادت ، من طلب العلم كنت في الأعماق .

الدكتور عمر :

أما الآخر يعبد على حرف .

زوال الكون أهون على الله من ألاّ يحقق وعوده للمؤمنين :

الدكتور راتب :

لذلك أنا لا أصدق ولا بشكل أن يتخلى الله عنها :

(وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ)

(سورة النور الآية : 55)

وزوال الكون أهون على الله من ألاّ يحقق وعوده للمؤمنين ، والكرة في ملعبنا والله ينتظرنا ، ولا ترمي باللوم على أحد اللوم عندنا نحن ، فهذا الحديث أصل في حلاوة الإيمان وحلاوة الإيمان أحد أكبر ثمار الاستقامة .

الدكتور عمر :

حليت لنا جلستنا .

صدق الإيمان من سمات ديننا الحنيف :

دكتور عربي سمات ديننا صدق الإيمان ليس فيه غبش ولا شك ، وتحقيق العدل الرباني ، لا أعدل لأن هذا أبيض وهذا أسود ومشكلة السود في الولايات المتحدة ، يأخذوهم من إفريقيا ويتلو عليهم القس في الباخرة كلام يسوع المخلص وهم في السلاسل ومات منهم خمسة مليون في التقديرات في رحلة الإبحار إلى العالم الجديد ، هؤلاء الذين يتشدقون بالعدل ، سمات أمتنا وتحقيق العدل الرباني ، الوفاء بالمواثيق والعهود حتى الذي كان يعاهدني على غير ديني :

(وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآَنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا (8))

(سورة المائدة)

ونصر القرآن يهودياً على مسلم في قضية ابن الأبيرق ، هذا دين واضح بالعقل المجرد أنه دين رباني ، الاستقامة دكتور عربي لشهادة الأمة ، كيف تكون الاستقامة لشهادة الأمة ؟

معرفة الله تساوي محبته :

الدكتور عربي :

لا تستطيع أمتنا أن تتأهل لمواصلة واجب الشهادة إلا إذا ظلت تغذي معرفتها بالله عز وجل ، ومن دلائل التغذية السليمة المحبة ، معرفة الله تساوي محبة الله عز وجل ، ومحبة الله عز وجل عندما تنتعش بها الأفئدة يتحول الإنسان إلى طاقات لا هم لها إلا إرضاء الحبيب ، الحبيب له محبوبات وله مكروهات ، يحب هذا ويكره هذا ، الله عز وجل يحب المحسنين ، الله يكره القاسطين ويحب المقسطين، يكره الظالمين ويحب أهل العدل ، أمتنا عندما أشرقت نور الإسلام جاءت إلى الدنيا بشيء جديد لم تتغير في الجزيرة العربية كما يقول الماركسيون البنية التحتية ، لم تتغير وسائل الإنتاج ، تغيرت النظرة ، نظر الإنسان المسلم إلى نفسه فملأ شعور العبودية جوانبه ، والله من جلاله وعظمته وكبريائه يقول للعبد يا عبدي بيني وبينك عهد أوفِ بعهدي أوفي بعهدك ، أي تكريم رفع قيمة الإنسان ، من هذا

الإنسان الذي يقول له الله عز وجل بيني وبينك ميثاق أوفِ أوفي ، دائماً وفاء الربوبية لا انقطاع لبركاته .

(وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ (111))

(سورة التوبة)

ووفاء الربوبية يشمل الخلائق كلها مؤمنهم وكافرهم .

نعم الله على الإنسان ضمان لاستمرار حياتهم :

الله تبارك وتعالى ينعم على كل حي بما يضمن له استمرار حياته ، وبما يرقي حياته إن شاء العبد ، فهذا مبذول ، من هنا انطلق المسلمون يحبون الله عز وجل من خلال محبتهم لخلق الله عز وجل ، أحبوا خلقه ، قال أحد الصالحين وقد أراد أن يغرس هذه الحقيقة في نفوس مريديه قال لهم وكان يمشي معهم رأى كلباً فترك له الطريق فقيل له لما ؟ قال له إن المجنون (مجنون ليلى)مرّ بحي من الأحياء فأفسح المجال للكلب فقيل له : لما تحترم هذا الكلب ؟ قال أنا أحترم هذا الكلب لأنه جار لليلى . فالخلائق خلائق الله عز وجل ، ومن جاور السعيد يسعد ، وهناك من الناحية اللغوية من الناحية البنيوية عجيبة هذه اللغة ، المجاورة تساوي المحاورة ، الفرق نقطة الجيم ، نحن نجاور خلق الله وهذه المجاورة ينبغي أن تكون محفزاً لنا من أجل المحاورة ، ما المقصود بالمحاورة ؟ أن الناس بحاجة إلى من يذكرهم بالله عز وجل .

استقامة الإنسان تبعث في المجتمع روح الحب والصدق :

أسلافنا الصالحون كانت أحوالهم تذكر بالله وكانت كلماتهم تجسد هذا التذكير بالله والشهادة ماذا ننال منها ؟ ننال منها أبوة أبينا إبراهيم عليه السلام :

(مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ (78))

(سورة الحج)

ننال منها أمومة زوجات النبي صلى الله عليه وسلم :

(وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ (6))

(سورة الحج)

ننال منها استغفار النبي لنا ، ننال منها استغفار الملائكة لنا وأعلى درجة يبلغها الإنسان درجة الشهادة :

(شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ (18))

(سورة آل عمران)

فاستقامتنا هي العبير الذي ينفخ في تشكيلات المجتمع روح الحب والصدق والإيمان الذي تترجمه المواقف الطيبة التي ترضي الله ، وما يرضي الله عز وجل لا شك ينفع خلق الله .

الدكتور عمر :

بارك الله دكتور عربي ولذلك طرق رجل باب معاوية فقال حاجبه إن رجلاً في الباب يقول إنه أخوك ، قال هل هو زياد ، قال لا أنا أعرف زياداً ، قال أدخله ، صعد معاوية النظر بالرجل قال من أنت ؟ قال أنا أخوك ، قال من لدن من أي ما الذي يجمعنا ؟ قال من لدن آدم ، ووضع معاوية يده قال آه رحم مقطوعة سأصلها إن شاء الله .

بهذا الحس الراقي وبهذا الإنسانية الراقية لا شك هذه استقامة الإنسان مع منهج الله عز وجل .

دكتور راتب .

الناس رجلان رجل بنى حياته على العطاء و رجل بنى حياته على الأخذ :

الدكتور راتب :

يمكن أن نقسم بني البشر إلى قسمين إنسانيون وعنصريون ، من هو العنصري ؟ هو الذي يرى لنفسه ما ليس لغيره ، ويرى على غيره من التبعات ما ليس عليه ، فأنا أبدأ من زوج عنصري إلى أب عنصري يعامل زوجة ابنه معاملة لا يرضاها لابنته وانتهاءً بالقوى الكبرى ترى لنفسها ما ليس لغيرها، الدول المتقدمة على تقدمها هي عنصرية لأنها تعتني بشعبها فقط على حساب الشعوب ، فلذلك يمكن أن يقسم البشر إلى قسمين إنسانيون وعنصريون ، وهذا التقسيم الإلهي :

(فَأَمَّا مَن أَعْطَى وَاتَّقَى * وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى * فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى)

(سورة الليل)

لمجرد أن تصدق بالجنة تتقي أن تعصي الله ، وتبني حياتك على العطاء ، وحينما نكذب بالحسنى نؤمن بالدنيا فقط ؛ عندئذ نستغني عن طاعة الله ونبني حياتنا على الأخذ .

من اتبع هدى الله لا تشقى نفسه ولا يضلّ عقله :

لكن من ثمار الاستقامة :

(فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى (123))

(سورة طه)

لا يضل عقله ، ولا تشقى نفسه ، الإنسان عقل يدرك ، وقلب يحب ، الآن آية ثانية :

(فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (38))

(سورة البقرة)

لو جمعنا الآيتين ، من اتبع هدى الله لا تشقى نفسه ولا يضل عقله ، الآن في عندنا زمن حاضر وفي الماضي والمستقبل ، ولا يندم على ما فات ولا يخشى مما هو آت ، ماذا بقي ؟ أنت بطريقة الإيمان بالله تضمن الماضي والمستقبل لا تندم على الماضي ولا تخشى من المستقبل .

شيء آخر بالاستقامة .

الدكتور عمر :

دكتور عربي يريد أن يقول شيئاً .

الإسلام هو الشجرة الوحيدة المثمرة على المسلم أن يحافظ عليها :

الدكتور عربي :

عندما أستشعر أنني بالأمثلة لم أكن مستقيماً ، هذا زمان مضى كما قال الدكتور راتب يجب ألا أتعقد من الماضي ، ويجب أن أنظر إلى المستقبل ، وكلي ثقة بأنني سأصنع الشيء الكثير ، سأحسن نظرتي ، سأفعل عملي وكل العقبات التي تعترضني فما هي دليل على عظمة الإسلام ، لما تكثر الضربات ؟ لما الانتقادات ؟ الأطفال الصغار عندما يقومون بجولة في الغابة لا يرمون الحجارة إلا على الأشجار المثمرة ، فالإسلام هو الشجرة الوحيدة المثمرة فما علينا نحن المسلمين إلا أن نحافظ على أصل الشجرة وعلى ثمراتها ، وذلك باستقامتنا ، استقامة الفلاح الذي يحب أرضه فيوفر لها كل وسائل النمو والجمال والراحة والاستمتاع .

الدكتور عمر :

بارك الله فيك على هذه المداخلة .

لن يحصي الإنسان الخير إلا إذا استقام على أمر الله :

الدكتور راتب :

بقي حديث واحد :

((استقيموا ، ولن تحصوا))

[ابن ماجه عن ثوبان]

لن تحصوا الخيرات ، يا ترى صحة ، زواج ناجح ، أولاد أبرار ، سمعة طيبة ، صلة بالله ، شعور بالأمن ، شعور بالغنى ، رضا عن الله ، لن تحصوا ، فلذلك الإنسان أحياناً يرى لكل سبب نتيجة واحدة،

أما عند الله عز وجل الاستقامة سبب لملايين النتائج ، فما لم يكن هناك فرق نوعي صارخ بين المستقيم وغير المستقيم هناك مشكلة في الاستقامة ،

((استقيموا ، ولن تحصوا))

من معانيها التي جاءت من خلال هذا الحديث أنك لن تحصي الخير إذا استقمت على أمر الله .

واجب كل إنسان مسلم أن يهدي الآخر بسلوكه و تصرفاته :

الدكتور عمر :

لذلك هذا الجيل الفريد أسلافنا الصالحون وصحابة النبي صلى الله عليه وسلم أن يقف شريح القاضي ليحكم لليهودي بسيف علي لأن علياً لم يأتِ بشهود إلا الحسن والحسين وهما سيدا شباب أهل الجنة ولأن الفرع لا يشهد لأصله ، فإن القاضي الذي لا أقول مولى من قبل أمير المؤمنين وإنا القضاة مستقل وإذا صدر القضاء بأمر يرفع بأمر ، يقف الرجل اليهودي منصفاً بالسيف عند الباب ، حكم له ، البينة على من ادعى والرجل مدعٍ ، يقول رجل من أهل الذمة يقاضي أمير المؤمنين أمام قاضي فيحكم القاضي للرجل بسيف هو يدرك أنه ليس له ، والله ما هذه إلا أخلاق أنبياء ودخل الرجل في الإسلام .

لو ظلم علي الرجل وحاف القاضي مجاملة لعلي ما الذي كان يحدث ؟ يحدث الخروقات ، يقول له لقد سبقت ابن عمرو وعمر مستند إلى ظهر الكعبة ويأتيه القبطي من مصر وليس مسلماً ولما سبقه ابن عمرو بن العاص ، سبق القبطي ابن عمرو ضربه ابن عمرو أتسبقني وأنا ابن الأكرمين ؟ لما أتى عمر بعمرو وابنه سبحان الله اضرب هذا فضربه قال أجلها على صلعة عمرو ، قال يا أمير المؤمنين أنا أخذت حقي ، قال ما ضربك هذا إلا بسلطان هذا ، متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً .

لماذا لا يكون أبناؤنا من الدعاة وأبناؤنا من المحبين للدعوة وأبناؤنا من المسلمين في الغرب وفي أمريكا وأستراليا بأن يكون هذا هو السلوك ، والله إما أن نخيب الآخر أو أن نهديه ، كما قال دكتور عربي من واجبنا أن نقوم بهدايته ونوضح له أما أن نحجب الخير الذي عندنا ، أنتم عندكم هذا الخير وتحجبوه أنتم خونة لمنهج الله عز وجل ، لا أدري بقي .

من أقام أمر الله في بيته و عمله نصره على أعدائه :

الدكتور راتب :

ذكرتني بقصة مؤثرة جداً ، لما أرسل النبي عليه الصلاة والسلام عبد الله بن رواحة ليقيّم تمر خيبر أغروه بحلي نسائهم كرشوة ، فقال : والله جئتكم من عند أحب الخلق إلي ، ولأنتم أبغض إلي من القردة والخنازير ، ومع ذلك لن أحيف عليكم ، فقال اليهود بهذا قامت السماوات والأرض ، وبهذا غلبتمونا .

وما لم نقم أمر الله في بيوتنا وفي أعمالنا لن نستطيع أن نصل إلى أهدافنا .

الدكتور عمر :

هذا الموظف الذي يقع عليه ظلم من مديره والله لو رفع الظلم منه لزوجته لرفع الله عنه ظلم مديره ، ونحن كأمة في هذا المنطق .

الدكتور راتب :

((هَلْ تُنْصَرُونَ وَتُرْزَقُونَ إِلَّا بِضُعَفَائِكُمْ))

[البخاري عن مصعب بن سعد]

حينما أزيل الظلم عن الضعيف أكافأ مكافأة من جنس عملي ينصرني على من هو أقوى مني .

قيمة الحياة في جمالها :

الدكتور عربي :

الحياة ليست أكلاً وشراباً ، الحياة قيمتها في الجمال ، في مثل يقول إذا كان عندك خبزتان بع خبزة واشترِ بها وردة ، لما الوردة ؟ الوردة أولاً تعطر صاحبها وتعطر من حوله ، الإسلام وردة لا تذبل لأن جذورها في السماء وفروعها يستظل بها الناس ، والشمس الطبيعية تشرق كل يوم على البر والفاجر والمطيع والعاصي ، والمسلم ينبغي من خلال استقامته أن يتحول إلى شمس معنوية ترسل الدفء والحرارة ليستمتع به الخلق كله .

الدكتور عمر :

هذا الدفء وهذه الحرارة وهذه الزهرة الفواحة التي قال عنها إيليا أبو ماضي كالورد ينفح بالشذى حتى أنوف السارقين ، حتى الذي يسرق الوردة لا يعدم أن يشم عبيرها .

الدكتور راتب :

أولياء أمتي إذا رؤوا ذكر الله بهم .

والحمد لله رب العالمين

ندوات تلفزيونية - قناة الشارقة - كلمات مضيئة - الدرس (5-6) : العمل الصالح
لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: 21-03-2008

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة :

الدكتور عمر :
الدكتور راتب نبدأ إن شاء الله ونكمل ما أوقفنا أنفسنا عنده في الحلقة السابقة ونتحدث عن خصائص الاستقامة ونحن نريد أن نعطي منهجاً مبسطاً للمستمعين ولي أنا شخصياً ، كي ندرك منهجاً عملياً نستقيم به على طريق الله عز وجل ، حتى في علم الرياضيات أقصر الطرق المستقيم بين نقطتين :

(وَأَنَّ هَـذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَلاَ تَتَّبِعُواْ السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ)

(سورة الأنعام : 153)

معالجة الأنبياء أعراض الإعراض عن منهج الله عز وجل :

الدكتور راتب :
لابد لي من التعليق على هذه المقدمة الرائعة ، الحقيقة إذا طفل صغير ارتفعت حرارته وأخذه أبوه إلى طبيب أعطاه خافض حرارة ليس هذا طبيباً ، يجب أن يرى أن هذا الارتفاع عرض لمرض آخر ، لذلك الأنبياء الكرام العظماء ما عالجوا أعراض الإعراض عالجوا الإعراض نفسه ، كما تفضلت هناك مشكلات كثيرة جداً ما بدأ بها النبي صلى الله عليه وسلم بدأ بأصل العلة ، أصل العلة الإعراض عن الله عز وجل .
الدكتور عمر :
لم يحجمها في قضية اجتماعية قضية قومية .
الدكتور راتب :
فكلما تعاني الأمة الإسلامية الآن أنا أراها أعراضاً للإعراض عن الله ولو استقمنا على أمر الله لحلت مشكلاتنا جميعاً بل عن الله عز وجل يقول :

(وَإِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ لاَ يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا)

(سورة آل عمران الآية : 120)

هذا الكيد المخيف .

(وَقَدْ مَكَرُوا مَكْرَهُمْ وَعِنْدَ اللَّهِ مَكْرُهُمْ وَإِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ (46))

(سورة إبراهيم)

إله عظيم يصف مكر هؤلاء بأنه يزيل الجبال ومع ذلك وَإِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ .

بطولة الإنسان أن يعرف علة وجوده في الدنيا :

أنا أقول إذاً المعصية مع الصبر طريق إلى القبر ، أما الطاعة مع الصبر طريق إلى النصر ، فالأنبياء العظام وعلى رأسهم النبي صلى الله عليه وسلم وضع يده على أصل المرض ، بدأ بمعالجته وما لم نهتدِ بهذا الهدى لن نفلح ، أنا أقول النبي صلى الله عليه وسلم له سنتان سنة افعل ولا تفعل ، أما هو كيف دعا إلى الله ما الموضوعات التي بدأ بها ؟ هذا اسمه السنة الدعوية ، والدعاة إلى الله ما لم يقلدوا النبي في سنته الدعوية فلن يفلحوا ، أما حسب ما طلبت مني جزاك الله خيراً في موضوع خصائص الاستقامة أنا أرى أن أمتن علاقة بين علة وجود الإنسان ، إنسان ذهب إلى باريس بلد أخينا الكريم الدكتور عربي لينال الدكتوراه فقط فيها مجامع علمية فيها مسارح فيها ملاهٍ فيها دور سينما فيها حدائق فيها متاحف فيها جامعات فيها مصانع مدينة عملاقة ، له في هذه المدينة هدف واحد أن ينال الدكتوراه نسمي نيل الدكتوراه علة وجوده ، البطولة أن أعرف أنا ما علة وجودي في الأرض ، من أجل أن تأتي الاستقامة مرتبطة ترابطاً تفاعلياً مع فهم العلة ، أولاً الله عز وجل قال :

(وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ (56))

(سورة الذاريات)

لا تصح حركة الإنسان إلا إذا عرف سرّ وجوده :

مثل آخر ذهب إلى باريس قال إلى أين أذهب ؟ نقول له لماذا جئت إلى هنا ؟ إن كنت جئت طالب علم فاذهب إلى المعاهد والجامعات ، وإن جئت تاجراً فاذهب إلى المعامل والمؤسسات ، وإن جئت سائحاً فاذهب إلى المقاصف والمتنزهات .

ما م نعرف علة وجودنا في الدنيا لا يصح عملنا ، إن عرفنا علة وجودنا صحّ عملنا ، الآن طالب في عنده امتحان مصيري يبنى على نجاحه في هذا الامتحان مصيره ، لو أن أصدقاء أخذوه إلى مكان جميل قبل الامتحان بيومين واستمتع بأجمل المناظر وأطعموه أطيب الطعام لماذا يشعر بالكآبة ؟ لأن هذه العمل لا يتناسب مع الهدف الذي أمامه ، فلو قبع في غرفة قميئة ، وقرأ الكتاب المقرر ، يشعر براحة ، إذاً تصح حركتنا إذا عرفنا سر وجودنا ، ونسعد إذا جاءت حركتنا مطابقة لهدفنا .

الدكتور عمر :

السلف الصالح لما استهانوا بالدنيا واعتبروها معبراً وليست مقراً ونظروا إلى الهدف الأسمى هانت الشدائد عليهم ، ولكن فضيلتك أشرت إلى قضية خطيرة وهي أنك تريد أن تقول لنا أننا في حالة من الإعراض عن الله وهو المرض المستشري .

الطاعة القسرية ليست عبادة لأن العبادة طاعة طوعية تفضي إلى سعادة أبدية :

الدكتور راتب :

ومشكلاتنا أعراض الإعراض عن الله عز وجل .

الدكتور عمر :

نريد أن نصف الدواء .

الدكتور راتب :

إذا كان الداعية طبيباً يجب أن يعالج أصل هذه الأعراض ، الآن القرآن الكريم كلام الله عز وجل ، بآية صريحة قطعية الدلالة يقول :

(وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ (56))

(سورة الذاريات)

والعبادة تفهم فهماً ساذجاً وضيقاً جداً أنها العبادة الشعائرية أما العبادة في أدق تعريفاتها طاعة طوعية ، ممزوجة بمحبة قلبية ، أساسها معرفة يقينية ، تفضي إلى سعادة أبدية ، هي طاعة ، الطاعة القسرية ليست عبادة ، الأقوياء يطاعون قسراً .

طاعة طوعية ، ممزوجة بمحبة قلبية ، لأن الله أراد علاقتنا به علاقة محبوبية فما عبد الله من أطاعه ولم يحبه وما عبد الله من أحبه ولم يطعه ، ممزوجة بمحبة قلبية ، أساسها معرفة يقينية ، تفضي إلى سعادة أبدية ، في التعريف صار جانب معرفي وجانب سلوكي وجانب جمالي ، الجانب السلوكي هو الأصل :

(وَالَّذِينَ آَمَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُمْ مِنْ وَلَايَتِهِمْ مِنْ شَيْءٍ حَتَّى يُهَاجِرُوا (72))

(سورة الأنفال)

يعني ما تحرك ، السلوكي هو الأصل ، المعرفي هو السبب ، الجمالي هو الثمرة ، في أصل وفي سبب وفي ثمرة .

أول خطوة إلى الله عز وجل أن نستقيم على أمره :

الآن كما قلت في لقاء سابق إذا اختفت الاستقامة لا يبنى عليها شيء أضيف هذا المثل ، الاستقامة واحد مع العمل الصالح صفر صار عشرة ، مع رعاية الأولاد صفر ثان ، مع خدمة المجتمع صفر ثالث ، مع إنفاق المال صفر رابع ، فإذا ألغيت الواحد الباقي أصفار .

((استقيموا ، ولن تحصوا))

[ابن ماجه عن ثوبان]

علاقة الاستقامة بعلة وجودنا أن أول خطوة إلى الله أن نستقيم على أمره وبعدها يبدأ الحساب .

الدكتور عمر :

الخاصية الأولى التي فهمتها أنا الآن وفهمها المشاهدون أن العبد يجب أن يدرك لماذا هو موجود ، ومعنى العبودية العامة المختصة بالشرع وليست العبودية الساذجة المحصورة في طقوس معينة يذهب إلى العمرة أو يعمل مناسك معينة .

علة وجود الإنسان في الأرض هي طاعة الله عز وجل :

الدكتور راتب :

هناك دليل قوي جداً لما سأله النجاشي سيدنا جعفر عن الإسلام قال :

((أَيُّهَا الْمَلِكُ ، كُنَّا قَوْمًا أَهْلَ جَاهِلِيَّةٍ ، نَعْبُدُ الْأَصْنَامَ ، وَنَأْكُلُ الْمَيْتَةَ ، وَنَأْتِي الْفَوَاحِشَ ، وَنَقْطَعُ الْأَرْحَامَ ، وَنُسِيءُ الْجِوَارَ ، يَأْكُلُ الْقَوِيُّ مِنَّا الضَّعِيفَ ، فَكُنَّا عَلَى ذَلِكَ حَتَّى بَعَثَ اللَّهُ إِلَيْنَا رَسُولًا مِنَّا ، نَعْرِفُ نَسَبَهُ ، وَصِدْقَهُ ، وَأَمَانَتَهُ ، وَعَفَافَهُ...))

[أحمد عن أم سلمة]

إذا تكلم فهو صادق وإذا عاملك فهو أمين .

الدكتور عمر :

نحن نعرفه من قبل أن يبدأ بالحديث عما جاء به (شخصية الداعية)الدكتور راتب :

الآن أنا أستمع وأصغي إلى شرح الإسلام من صحابي كبير :

((فَدَعَانَا إِلَى اللَّهِ لِنُوَحِّدَهُ وَنَعْبُدَهُ ، وَنَخْلَعَ مَا كُنَّا نَعْبُدُ نَحْنُ وَآبَاؤُنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ الْحِجَارَةِ وَالْأَوْثَانِ ، وَأَمَرَنَا بِصِدْقِ الْحَدِيثِ ، وَأَدَاءِ الْأَمَانَةِ ، وَصِلَةِ الرَّحِمِ ، وَحُسْنِ الْجِوَارِ ، وَالْكَفِّ عَنْ الْمَحَارِمِ وَالدِّمَاءِ..))

[أحمد عن أم سلمة]

هذا المضمون الأخلاقي لذلك الإيمان هو الخلق فمن زاد عليك في الخلق زاد عليك في الإيمان .

الدكتور عمر :

الآن فهمت أنني موجود بعلة ، علة وجودي هي طاعتي لله عز وجل .

الدكتور راتب :

المبنية على علم ينتج عنها سعادة .

الدكتور عمر :

الأمر الثاني أن العبد كلما رأينا منه خلقاً قويماً هو أكثرنا استقامة ، أو أقرب إلى خط الاستقامة .

كل إنسان مصمم لمعرفة الله عز وجل :

الدكتور راتب :

شيء ثالث الإنسان مصمم إن صحّ التعبير لمعرفة الله ، نفسه لا يقنعها هدف محدود ، فلمجرد أن يختار الإنسان هدفاً أرضياً محدوداً يبدأ شقاؤه بعد بلوغه ، لو رأى المال كل شيء بعد أن يملكه يشعر بالملل والسأم والضجر ، رأى المرأة كل شيء بعدما قضى حاجته منها يشعر بالملل والسأم والضجر ، أي شيء دون الله جعله هدفاً يشقى به لأنه أكبر من ذلك ، لذلك الإنسان حينما يعرف الله لا يشيخ أبداً شاب حتى الموت شاب في التسعين ، ما تعريف الشباب ؟ الشباب أن لك هدفاً كبيراً تسعى إليه إذاً أنت شاب، ما دام الهدف أرضي مادي محدود استوعبته أحطت به يبدأ السأم ، وأنا أفسر انحراف العالم الغربي بسبب الملل وصلوا إلى كل أهدافهم المادية بدؤوا بالانحراف ، بالشذوذ ، كل ألوان الانحراف في العالم الغربي سببها أن أهدافهم مادية محدودة فلما أحاطوا بها شعروا بالفراغ أما المؤمن ، مرّ أحد علماء دمشق على مقهى قال يا سبحان الله لو أن الوقت يشترى من هؤلاء لاشتريناه منهم .

الأمن و الحكمة من صفات المؤمن الحق :

والله أنا أرى أن المؤمن أمامه طموحات وأعمال لا يكفي له العمر كله هذا يجعله شاباً دائماً ، مرة في دمشق كرموا قراء القرآن الكريم كانوا سبعة فيما أذكر كلهم فوق التسعين وكان في عالم من علماء دمشق بلغ السادسة والتسعين وقامته منتصبة وبصره حاد وأسنانه في فمه وكان يقول يا بني حفظناها في الصغر فحفظها الله علينا في الكبر ، من عاش تقياً عاش قوياً .

وأنا أقول الداعية أحياناً حينما يستعين بحاجات الإنسان الأساسية ، الإنسان بحاجة إلى الأمن والأمن من صفات المؤمن :

(فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالأَمْنِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ * الَّذِينَ آمَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُواْ إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَئِكَ لَهُمُ الأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ)

(سورة آل عمران)

لهم وحدهم ، يحتاج الإنسان الحكمة ، ومن يؤتى الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً ، يحتاج إلى الرضا أن يرضى عن الله ، كان أحدهم يطوف حول الكعبة فقال : " يا رب ، هل أنت راضٍ عني ؟ كان وراءه الإمام الشافعي ، قال له : يا هذا ، هل أنت راضٍ عن الله حتى يرضى عنك ؟ قال له : سبحان الله ! كيف أرضى عن الله ، وأنا أتمنى رضاه ؟ قال له : إذا كان سرورك بالنقمة كسرورك بالنعمة فقد رضيت عن الله عز وجل .

طمس حقيقة التوحيد أدت إلى تخبط المسلمين :

الدكتور عمر :

الدكتور راتب هذا مقياس صعب ، نحن في واقع الأمر إذا أصابتنا نتيجة قلة المناعة الإيمانية الموجودة، أضعف فيروس من فيروسات الشك أو الابتلاء أو إلى آخره يؤثر على مناعتنا الضعيفة هذه ، على كل أنت فتحت لنا طريقاً واسعاً ، أريد أن ندخل إلى طريق الدكتور العربي وهو يكمل لنا هذا الأمر الجميل ، قلنا في مقدمة العرض أن النبي صلى الله عليه وسلم كما أكّد معي الدكتور راتب جزاه الله خيراً ، أن النبي صلى الله عليه وسلم أدرك حقيقة الأمر في أمر العقيدة ، ونحن تحدثنا مع فضيلتكم في الحلقة الماضية عن غياب هذه الحقيقة عن إخواننا في الإنسانية في الغرب ، لما طمسوا حقيقة التوحيد تخبطوا في الدنيا خبط عشواء وجعلوا يتلمسون المفاتيح هنا وهناك وأرادوا أن يعمقوا بعض التافهين ، أصحاب العقول الكبيرة أو غير ذلك ، وبعد كان لهم حصاد الهشيم وصل الأمر بهم إلى الانتحار والاكتئاب ودور المسنين والعجزة ، ولا ننكر كما قلنا حتى لا نغبط القوم حقوقهم ، لا ننكر تقدمهم التقني والعلمي لأنهم استخدموا العقول فيما أمر الله بها ، ولكن استخدموا الأهواء فيما نهى الله سبحانه عنه ، لماذا صادموا الاستقامة مع أن الرجل الجاهلي في الجاهلية السابقة قبل اقرأ كان عنده شيء من منظومة القيم أو شيء من بقايا فطرة إنسانية ، كيف أكسر على محمد بابه وتقول العرب هتك عمرو بن هشام حرمة بيت محمد ، أبو سفيان يقول أنا لولا أن يؤثر عني أني قد كذبت لكذبت ، حاتم الطائي وكرمه ، معن وحلمه ، الأحنف ، هؤلاء إذا قيس عظماء الجاهلية قبل الإسلام بالجاهلية الحديثة في القرن الماضي والذي قبله جرحت هذه المقارنة ما قبل اقرأ ، ما أدري هل فكرتي وضحت ؟

الاستقامة ذات بعدين بعد عقدي وبعد وجودي :

الدكتور عربي :

فكرة جد عميقة ولكي نفهمها يجب أن نستفكر ما ذكرتنا به والذي يتمثل فيمايلي ، التوحيد وآثاره ، إذاً أنت ذكرتنا بأن الاستقامة ذات بعدين ، بعد عقدي بعد وجداني وبعد وجودي ، الإيمان يمثل البعد الوجداني الداخلي ، وتجسيد الاستقامة يمثل البعد الوجودي ، الوجود الخارجي وهذا ما يشير إليه قوله تعالى :

(إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ)

(سورة فصلت الآية : 20)

هذا البعد الأول ، قالوا ربنا الله ، القول يشمل الشعور القلبي واللفظ اللساني قالوا ربنا الله :

(ثُمَّ اسْتَقَامُوا)

(سورة فصلت الآية : 20)

كلمة ثم هذه كلمة عجيبة ، تراخي رتبي وتراخي زمني ، كيف ؟ تراخي رتبي يعني أن القول يستسهله كلنا بسيط ، الغرب مثلاً قال بأنه ليس بحاجة إلى الله عز وجل وليس بحاجة إلى ما يسميه المفارقة ، الذي يفارق السطح البشري البعد عن المحسوس .

التوحيد شجرة طيبة و لكن علة المسلم في قلبه :

نحن عندنا أكثرنا يردد كلمة التوحيد لفظياً لكن أين مدلولها الاجتماعي واقعياً ؟ وهنا المشكلة ، فالتوحيد شجرة طيبة ، والشجرة الطيبة كما ذكر الله عز وجل تؤتي ثمارها :

(كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ (24))

(سورة إبراهيم)

الحضارة الغربية اجتثت من تربتها هذه الشجرة من واقعها ما لها من قرار ، نحن الشجرة موجودة لكننا نفتقد ثمارها ، إذاً أين الخلل ؟ كما تفضلت قبل قليل ؟ الخلل في التربة ونعني بها القلب .

(وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَالَّذِي خَبُثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا (58))

(سورة الأعراف)

ارتباط الاستقامة بالتفاعل مع الآخر و عدم ارتباطها بالفرد فقط :

إذاً هنا أصحاب الدعوة الإسلامية أمتنا يجب أن تراجع منشأ أو البيئة التي تنمو فيها هذه الشجرة ، الشجرة لا نقاش في صلاحيتها و دواميتها والقدرة على الإثمار هنا البعدين الداخلي والخارجي ، ويقول

السيد المسيح عليه الصلاة الشجرة تُعرف من ثمارها ، الثمار تتمثل فينا ، تتمثل في نوعية العلاقات ، لا نستطيع أن نتحدث عن الاستقامة مرتبطة بفرد منعزل ، متى تذكر الاستقامة ؟ تذكر الاستقامة في سياق العلاقات ، التفاعل مع الآخر والمؤمن يستقيم في علاقته مع الله عز وجل ، الله تبارك وتعالى يقول :

(وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ (40))

(سورة البقرة)

الوفاء من طرف الإنسان وفاء بعهد العبودية ، والوفاء من طرف الله عز وجل وفاء بعهد الربوبية ، فعهد الربوبية متفتح معطي دون انقطاع ، المشكلة هناك عطب في عهد العبودية ، الحب من الله عز وجل متحقق والحب من طرف العبد لله موجود في خانة القوة ، يحتاج إلى أن يبرزه العبد ، أن يفعل ، أن يصبح حقيقة ملموسة .

ركائز الاستقامة :

الملاحظة الثانية الاستقامة من جهة أخرى ذات ركائز ثلاثة ، استقامة فكر تنبته العقيدة ، واستقامة كلمة، واستقامة جهد ، النبي صلى الله عليه وسلم رأى مرة شخصاً قد حفر قبراً فلم يتقنه فقال له فيما معناه هلا جملته ؟ هلا أحسنت طريقة الحفر (أتقنت)؟ الاستقامة ليس لفظة فارغة وإنما هي دستور لمضمون العلاقات الاجتماعية ، تتبعت موارد كلمة الاستقامة في القرآن الكريم فوجدت التالي ، الاستقامة فيما تدل عليه على الشيء المستقيم ، ذكرتنا بالجملة التي نحفظها أقصر مسافة بين نقطتين هو الخط المستقيم ، تذكرت الكلمة العربية الشيخ علي الطنطاوي رحمه الله قال : تعلمنا في المدرسة أن أقصر مسافة بين نقطتين إنما هو الخط المستقيم وعندما خرجنا إلى واقعنا وجدنا أن أقصر مسافة بين ما تريد هو التواء .

إذاً في عالم اللفظ نردد الاستقامة ولكن في حياتنا الواقعية يعني الخط الملتوي هو الذي يوصل الإنسان ، إذاً هناك خلل في المفهوم الاجتماعي .

الدكتور عمر :

واقع التربة التي منغرسة فيها الشجرة .

كل إنسان مسؤول عن شجرة الإسلام :

الدكتور عربي :

أنت سيد العلماء ، في علم النبات هناك علاقة بين نوعية البذرة والبيئة المحيطة بها ، هناك مثلاً أشجار لا تنبت إلا في بيئة معينة ، فشجرة الإسلام التي تمثل الطيبة لا بد لها من بيئة مناسبة ، والإنسان هو المسؤول عن ترقية هذه البيئة ، الله عز وجل خلق الإنسان ذا استعدادين القدرة على الارتفاع والقدرة على الهبوط :

(وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ (175)وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا (176))

(سورة الأعراف)

فالإنسان عندما يفقد ، عندما تضعف وتيرة التوتر ، مثلما يتوتر إلى الخير فيصبح ينتج القوة التي يتطلبها الجهد ، عندما ينخفض توتره ينزل ، السلف الصالح كان يأخذ الكتاب بقوة ، ما معنى بقوة ؟ كان يهتم أول ما يهتم بإعداد جهاز استقباله ، يصفيه يرقيه حتى يصبح ذا قدرة على الالتقاط والتأثر ، ثانياً كان يوجهه نحو مصدر النور ، قطعة من الأرض عندما يستدبر الشمس يظلم هل العيب عيب الشمس أم عيب هذا الجزء من الأرض الذي استدبر الأرض ؟ شمس الإسلام لا تغرب ، مرت على المسلمين عصوراً كانوا دائماً لا يتحركون إلا حيث مصدر النور وعندما بعامل من العوامل يستدبرون هذا النور تظلم .

الاستقامة هي روح الأعمال الصالحة :

إذاً أنا أقول بأن حياتنا الإسلامية ونحن المسلمون بمثابة الأقمار ، القمر لا يستمد ضوءه من ذاته يستمد الضوء من الشمس ، والإسلام هو شمسنا إذا ما ظللنا أوفياء في علاقاتنا لهذه الشمس استنرنا وتمثلت استنارتنا في استقامتنا .

إذاً الاستقامة على مستوى القلب ويعجبني قول أحد الصالحين يقول : الاستقامة يجب أن تستقيم إسراراً(سراً)كما استقمت إقراراً .

وأضيف استقامة الإسرار واستقامة الإقرار لا أهمية لهما إلا إذا تشكلت استقامة استقرار ، ما معنى استقرار ؟ يستقر كلهم على أن الاستقامة هي روح أعمالنا ، هذه العملة مثل شخص يخرج عنده درهم يذهب إلى البنك يكشف أنه مزور ، أو كما تفضلت أمس لا رصيد لك لا أعطيك شيئاً ، فالاستقامة هي رصيد الأعمال الصالحة ، أنت تفضلت وقلت إن الاستقامة تساوي الأعمال الصالحة .

الاستقامة على أمر الله واجب كل إنسان :

الدكتور عمر :

الدكتور عربي الآن أنت تنكأ جرحاً كبيراً وهو أن التربة مغروسة فيها الشجرة ، الشجرة لا غبار عليها لأن أصلها ثابت وفرعها في السماء ، الكتاب والسنة ، إذاً الخلل في التربة والتربة أن نقوم نحن بتنقيتها، وبمناسبة الشجرة يعجبني بيتين من الشعر لسيدنا علي ابن أبي طالب يقول :

ثم نقى بعد جهد حجر وسقاها إثر ما أودعها دمع العين بدمع فجرها

وإذا ما رأى طيـــراً مفسداً حائماً حـــول حماها زجره

نمت في ظل ظليل تحتها روح القلب ومحا ضجره ثم بايعت إلهي تحتها

* * *

وهذه بيعة الرضوان ، نريد أن توجد هذه الشجرة وهذا الظل الوارف وهذا الحنان الإلهي الذي يتمثل في أن الشجرة لا غبار عليها ، ونحن بأيدينا أن نجيد أو نحسن سقيها ورعايتها وإزالة الحشائش الضارة من حولها ، و إلا كيف يستقيم قلب الإنسان ؟ يوجد حقد وحسد و كبر ، لو وجهنا دكتور عربي فيما أظن كل شخص منا وأنا أول الناس على تنقية قلوبنا مما علق منها من الارتكاس إلى الأرض ولكنه أخلد إلى الأرض هذا الإخلاد إذا نزعناه من قلوبنا استشرفت الروح وصعدت واستقامت على طريق الله.

عدم تحقق إنسانية الإنسان إلا إذا ربط بين الأرض والسماء :

الدكتور عربي :

يعني ما تفضلتم به يذكرني بضرورة استشعار العلاقة بين استقامة الإنسان من الناحية البدنية واستقامته الفكرية ، نفس الجذر الذي اشتقت منه كلمة الاستقامة اشتق منه في أحسن تقويم ، استقامة وتقويم المادة الواحدة القاف ، الواو ، الميم ، في أحسن تقويم تحدث علماؤنا عليهم الرضوان وفصّلوا القول في معنى أحسن تقويم ، الواقع أن أحسن التقويم يشمل البعد المادي للإنسان ، والأهم يشمل البعد مضمون الإنسانية ، التقويم بمعناه المعنوي القدرات التي أكرم الله عز وجل الإنسان من عقل وفكر وقدرة على التصور ، إذاً الإنسان خلق مهيئاً لأن يبدع إبداعاته بشكل مستقيم ، ولا حظ الملاحظون أن المخلوقات كلها ذات بعد مادي أفقي ، قالوا في استثناءات بعض الباحثين في بعض الكائنات البحرية ممكن تقف على فترة بشكل ، لكن الكائن الوحيد الذي ينتصب قائماً بين السماء والأرض هو الإنسان ، في آية تدع الحد الفاصل بين التصورات الغربية والتصورات الإسلامية :

(وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ (20)وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ (21)وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ (22))

(سورة الذاريات)

هذه الآية تصور لنا الإنسان مستقيماً بين الأرض والسماء ولا تتحقق إنسانية الإنسان إلا إذا ربط بين الأرض والسماء حتى من الناحية المادية ، يعني الإنسان يستمد الطاقات من الأرض ويستمد الطاقات من السماء ، ومن الناحية المعنوية يستمد الإنسان طاقاته من الأرض بأن يبذل كل ما في وسعه ليتمكن وأريد أن أفتح قوس أنا ، كل البشر سبع مليارات الآن ولا واحد اختار المكان الذي ولد فيه هذا يسمى مكان لكن المكان عطاء إلهي ، لكن المطلوب من الإنسان أن يحقق مكانته ، يقال إنسان ذو مكانة كيف نحقق مكانتنا ؟ المكان الجغرافي لا قيمة له إلا إذا ملأ بخير المكانة الإنسانية ، عنده مكانة اجتماعية من أين أشتق مفردات مكانتي الاجتماعية ؟ من استقامتي على أمر الله .

الاستقامة ليست فردية و إنما تترجم عن قيمة الفرد من خلال علاقته بالآخرين :

لذلك روي أن النبي صلى الله عليه وسلم عندما نزل قوله تعالى

(إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا)

قال عليه الصلاة والسلام تلك أمتي ورب الكعبة .

إذاً الأمة الإسلامية أمة مستقيمة ، وألاحظ كلمة أخيرة الاستقامة ليست استقامة فردية ، الفرد يستقيم لكن الاستقامة تترجم عن قيمة الفرد من خلال علاقته بالآخرين ، وهناك علاقة بيانية وعلاقة نفسية اجتماعية بين مستوى الباطن ومستوى الخارج ، إذا صفت السريرة استقامة السيرة ، فالتوحيد الذي أشرت إليه هو صفاء السريرة والاستقامة هي فاعلية السيرة .

الدكتور عمر :

دكتور عربي شكر الله لك هذا توضيح جميل ، دكتور راتب لا أدري من أين أقطف الثمار ؟

على كل إنسان أن يحيط نفسه ببيئة إيمانية :

الدكتور راتب :

أنت تمنيت علينا أن نجري مداخلات فيما بيننا ، معلوماتي الدقيقة أن نجاح البذرة يرجع إلى بيئتها ثمانين بالمئة ، نجاح أي نبات يعد نوع البذرة يمثل عشرين بالمئة من نجاحها والبيئة ثمانون بالمئة ، لذلك أي إنسان يشكو لي ضعف إيمانه وضعف اتصاله بالله أقرأ عليه قوله تعالى :

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ (119))

(سورة التوبة)

ما لم يحط الإنسان نفسه ببيئة إيمانية ، بأناس يحبون الله ، يرغبون في طاعته .

الدكتور عمر :

أو أهل الكهف .

الدكتور راتب :

نحن مشكلتنا تحتاج إلى بيئة إيمانية ، لا تصاحب إلا مؤمناً ، علاقات العمل علاقات مشروعة ، أنا أقول الحميمة هذه ينبغي أن تكون مع المؤمنين .

كل خطأ في تصور الإنسان يقابله خطأ في سلوكه :

لذلك أنا أرى أن الإنسان لماذا لا يستقيم ؟ تحليل نفسي والله أعلم ما من حركة إلا وراءها تصور ، مهما بدت صغيرة أو كبيرة وراءها تصور لماذا العقيدة في الإسلام لا تقبل تقليداً ؟ لا تقبل إلا تحقيقاً والدليل قوله تعالى :

(فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ (19))

(سورة محمد)

بالمناسبة ولو قبل الله عز وجل العقيدة تقليداً لكانت كل الفرق الضالة عند الله ناجية لأنهم سمعوا من هو فوقهم يقول شيء فقالوا ، لذلك الخطأ في التصور يقابله خطأ في السلوك ، ولو لم يكن هناك علاقة بين التصور والسلوك اعتقد ما شئت ، لكن لأنه ما من شيء تعتقده إلا يترجم إلى سلوك ، أصل الخطأ في التصور .

الدكتور عمر :

لتترجم لنا في واقعنا ، واحد جاء للدكتور راتب قال أنا أريد أن أستقيم ، أريد أن أكون من الذين استقاموا وسمعتك في الخطبة الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا ، أعطني منهجاً أستقم به وأنا حولي من الآفات والعوائق والحواجز ما يمنعني عن هذه الاستقامة ، كما الرجل الذي ذهب إلى الراهب وقال له لا توبة لك بعد أن قتل التسعة والتسعين ، ذهب إلى العالم قال له انتقل إلى بلد آخر .

نواصل بعد هذا الفاصل .

مرحباً بكم أحبتي في الله ونحن نتواصل في هذه الحلقة ، الاستقامة عمل صالح ونحن نسعد جميعاً وأنا أولكم بوجود العالمين الجليلين الدكتور راتب النابلسي والدكتور عربي القشاط مرحباً بكم مرة أخرى ،

دكتور راتب كنا نتحدث قبل الفاصل عن شاب جاء وسأل عن منهج واضح سهل بسيط كيف يستقيم وكيف يصبح من أهل الاستقامة ؟ وكيف يفعل هذه الاستقامة عملياً في حياته .

من صحت رؤيته صحّ عمله و من فسدت رؤيته فسد عمله :

الدكتور راتب :

دكتور عمر جزاك الله خيراً لا يمكن إنسان يتحرك إلا منطلق من تصور فإذا صحت الرؤية صح العمل، وإذا فسدت فسد العمل ، ولأن الله عز وجل لا يقبل اعتقاداً بالتقليد لأنه لو قبل اعتقاداً بالتقليد لكانت كل الفرق الضالة ناجية عند الله لذلك قال تعالى :

(فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ (19))

(سورة محمد)

لكن الخطر الإنسان حينما يقوم بعمل يتصور أنه لصالحه قال تعالى :

(قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا * الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا)

(سورة الكهف)

إذاً أنا متى تصح رؤيتي ؟

الدكتور عمر :

الدكتور راتب في هذه الآية نريد توضيحاً ، هذه الآية تخيفنا جميعاً وكل من قرأها تهزه هزة نفسية ، قد يكون الإنسان من ضمن هؤلاء فكيف أسلم من ألا تطبق عليّ هذه.

الجهة الوحيدة في الكون التي ينبغي أن تتبع تعليماتها هي الخالق سبحانه :

الدكتور راتب :

لا بد من إتباع منهج الله .

الدكتور عمر :

الدكتور راتب كل يدعي وصلاً بليلى .

الدكتور راتب :

لكن ليلى لا تقر لهم بذاك .

الدكتور عمر :

الادعاء شيء وحقائق الأمور شيء ، كل فرقة من الفرق تقول نحن الفرقة الناجية .

الدكتور راتب :

لو أن إنساناً اقتنى كومبيوتر بمستوى رفيع جداً وأصابه عطب وإلى جانبه بقال يحبه كثيراً هل يدفعه إليه ليصلحه له ؟ مستحيل يبحث عن الخبير ، قال تعالى :

(وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ)

(سورة فاطر)

الله عز وجل خالق عظيم له تعليمات ، أنا ما لم أتبع تعليمات الخالق لا أكون فالحاً في حياتي ، الأرض الآن ملأى بالتعليمات ملأى بالأطروحات ملأى بالمناهج الأرضية فأنا حينما أتبع تعليمات الخالق الذي خلقني قال تعالى :

(يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ)

(سورة البقرة)

الجهة الوحيدة في الكون التي ينبغي أن تتبع تعليماتها هي الخالق جل جلاله ، أنا حينما أمشي على منهج الله عز وجل لكن بفهم صحيح لا بفهم شخصي وفق علم الأصول .

الدكتور عمر :

ما زال الشاب جالساً أمامك يستمع إلى منهج الاستقامة .

منهج الخالق سبحانه هو أساس كل استقامة :

الدكتور راتب :

يقول لي أنا أعتقد كذا أقول له الحقيقة الأولى ، ما كل ما يعتقده الإنسان صحيحاً قد يعتقد شيئاً لا أصل له .

الدكتور عمر :

ولكن أنت تتركه وليقول لك ما يعتقد وأنت تشخص له داءه ومرضه .

الدكتور راتب :

لكن أريد أن أقنعه أولاً أن الإنسان قد يعتقد شيئاً ما له أصل ، وقد يرفض شيئاً له أصل آتي بمثل ، إنسان أراد أن يقتني مركبة تأخر بشرائها إنسان آخر اشتراها ، سرت في البلد شائعة أن هناك تخفيض بالمئة خمسين من الرسوم الذي لم يشترِ يصدق هذه الشائعة من دون دليل وقد يكون لا أصل له ، لكن هذا التصديق يريحه والذي اشترى المركبة وانتهى ودفع الرسوم العالية يكذبها ، يكذب هذه الشائعة وقد تكون صحيحة لأن التكذيب يريحه ، فأنا أولاً أحذر أخوتي الكرام أحذر أي شاب من أن تعتقد شيئاً لا

أصل له ، أن تعتقد شيئاً ليس من منهج الله عز وجل ، هناك طروحات كثيرة ، طروحات علمانية ، طروحات شهوانية ، طروحات لا تعد ولا تحصى أنا متى أنجو ؟ حينما أتبع منهج الخالق .

(يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ (21))

(سورة البقرة)

الإنسان مخلوق للجنة لذلك عليه أن يبحث عن الخالق :

دائماً وأبداً أنا حينما أعرف المصدر أرتاح له إذا كان المصدر مفكر في مليون مفكر ، مليون ضلالي ، أما حينما أتبع ما في القرآن الكريم وبنص القرآن الكريم وما في السنة الصحيحة ، هذا الذي أريد أن أقوله للشاب .

أما النقطة الذي ذكرتها قبل قليل أنت مخلوق للجنة لا للدنيا ولأنك مخلوق للجنة يجب أن يكون لك مقياس آخر ، هناك مقياس مادي .

الدكتور عمر :

لها تفعيلات أو عمل خاص يوصلك إلى هذا المكان الذي أنت مخلوق لتصل إليه .

الدكتور راتب :

نحن في الدنيا من أجل أن تكون دكتور (طبيب)لك دخل كبير ، لك مكانة كبيرة تحتاج إلى دراسة ، لذلك التصور الصحيح لمستقبل الشاب يدفعه إلى الدراسة وترك الرحلات والنزهات والسهرات الفارغة، نحن في الدنيا إذا في هدف واضح نسعى إليه ، الحقيقة الأولى أنه يمكن أن نعتقد اعتقاداً خاطئاً أو أن نرفض شيئاً صحيحاً ، البطولة أن أبحث عن المصدر ، المصدر هو الخالق .

الدكتور عمر :

دكتور راتب الشاب يقول أنا رأيت أن الدين وأوامره عبارة عن قيود كبيرة علي تقيد ، تقول لي أيها العالم وأيها الداعية غض البصر ، لا تستمع إلى الأغاني الخليعة ، لا تجلس في مجلس فيه فرفشة وأنس ....إلى آخره أنتم تقيدوننا ، هل الدين إطلاق حرية الإنسان أم ، لأن الشاب يخاف أن يدخل نفسه في زمرة أهل التدين خشية من تحديد ملكات كما يدعي .

أوامر الله عز وجل و نواهيه ما هي إلا ضمان لسلامة الإنسان :

الدكتور راتب :

بارك الله بك على هذا التعليق ، هنا يأتي دور الخطاب الديني أنا حينما أقنع الشاب أن هذه الأوامر وتلك النواهي ليست حداً لحريته ، ولكنها ضمان لسلامته كما لو رأيت لوحة كتب عليها حقل ألغام ممنوع التجاوز ، توتر عالي ، هذه اللوحات تشكر صاحبها ، تراها ضماناً لسلامتك .

دكتور عمر جزاك الله خيراً ، الإنسان في أصل جبلته يحب وجوده ، يحب سلامة وجوده ، يحب كمال وجوده ، يحب استمرار وجوده .

الدكتور عمر :

الدكتور راتب هو لسلامة وجوده فيما يرى لأن الأفق ضيق ، ليس كل الناس معذرة دكتور راتب أو دكتور عربي وإنما في أناس نراهم اترك الرافضين ، أنا أتكلم عن شاب له قدرات علمية يسمع حلال وحرام والآخرة ، الكلام هذا بالنسبة له لا يوافق هواه ، أنا أريد أستنفر به مكاناً من الطاقة التي تحبب إليه الاستقامة وتحبب طريق الاستقامة إليه .

على كل داعية أن يستعين على نشر الدعوة بحاجات الإنسان :

الدكتور راتب :

أنا حينما أستعين بحاجاته الأساسية وأربطها في الاستقامة يأتي إليّ ، حاجته الأساسية بالشعور بالأمن ، أن يرزقه الله عز وجل .

(وَأَلَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُم مَّاء غَدَقًا)

(سورة الجن)

أنا حينما أستعين بحاجات الشاب الأساسية أرى نفسي قد أخذته إلى الله ، أما حينما أعطي له معلومات لا علاقة لها بحياته إطلاقاً وهذا خطأ الخطاب الديني ، الإنسان دائماً هناك ما يسمى بالأدب المهموس ، أنا حينما أهمس في أذن شاب بصوت خفيض أن هناك مبلغاً كبيراً خذه ينطلق إليه وحينما أضع له مكبر صوت لموضوع لا يعنيه لا ينتبه إليه ، لذلك البطولة في الدعاة أن يضعوا يدهم على الجرح ، أن يضعوا يدهم على حاجات الإنسان الأساسية ، أن أستعين على نشر الدعوة بحاجات الإنسان ، الإنسان حينما يتصل بالله عز وجل الله يذكره يمنحه الحكمة ، يمنحه الرؤية الصحيحة ، يلقي في قلبه نوراً يمنحه الأمن ، يمنحه الراحة ، يمنحه السعادة ، يوجد بقلب المؤمن من الأمن ما لو وزع على أهل بلد لكفاهم .

الدكتور عمر :

الدكتور راتب هو لم يتذوق هذا يقول علماء القلوب من ذاق عرف ، هو لم يتذوق هذا ، هو لم يتذوق بعد ، مثلاً تأتي بكفيف وتقول له هذا أحمر وهذا أبيض ، هذا غير منطقي ، هو لم يتذوق قيام الليل ، تصحبه في الليل الساعة الثالثة قم وستشعر بحلاوة هو لم يتذوق بعد ، كيف أحببه في أن يتقرب إلى الله يضع يده على أول خطوة من خطوات الاستقامة .

كل أسرة تحتاج إلى توجيه صحيح :

الدكتور راتب :

هذا الشاب سيدي ضمن أسرة وضمن مدرسة وضمن إعلام .

الدكتور عمر :

وهذه كلها ضده ، إذا عاد الشاب في الثالثة قبل الفجر من سهرة سواء بريئة أو غير بريئة لا يتمعر وجهه الأب في بعض الأسر ، وإذا نزل إلى صلاة الفجر في بعض البلاد خاف الأب ، هذا الخلل الذي عند الأسرة ، الخلل عند المجتمع نابع من هذه الأسرة ، عوائق كثيرة ، أنا أريد أن أعرض وجهة نظر الذي يستمرئ الإخلاد إلى الأرض وأنا أريد أن أستنهض همته وأن أحببه .

الدكتور راتب :

أنا مهمتي أن أبين أن الأسر تحتاج إلى توجيه صحيح ، إعادة صياغة ، والتعليم يحتاج إلى مناهج تعاد صياغتها ، والإعلام ينبغي أن تعاد صياغة برامجه .

المؤمن إيجابي و منفتح نحو الآخرين :

الدكتور عمر :

إلى أن يحدث هذا أنا أريد أن أكلم المسكين هذا والذي جاء إليك ولا بد أن فيه من الخير وإلا ما جاء ، ويريد ويحب الاستقامة وغير قادر على ....

الدكتور راتب :

ينبغي أن أقنعه أن سلامة وجوده في طاعة الله ، الإنسان يحب وجوده ، دكتور عمر أزمة أهل النار في النار أزمة علم ، الدليل :

(وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ (10))

(سورة الملك)

الدكتور عمر :

هم كان لهم آذان ولكن أصموها وأعين لكن لا يبصرون .

الدكتور راتب :

أحياناً في كلام يحاصر المستمع ، لو أنت بحاجة إلى حاجة موجودة بمكان بسعر متدنٍ جداً ومعك ثمنها وأنت بحاجة إليها والآن دخلت إلى البيت وأنت متعب جداً فإذا أعطيت مجموعة معلومات ، فبطولة الداعية أن يحاصر هذا المدعو حصاراً فكرياً ، أن يقدم له الإسلام بشكل مغنم كبير ، أن يقدم له الاستقامة بشكل سلامة ، يقدم له العمل الصالح برقي عند الله عز وجل ، ما في طريقة ثانية ، الأنبياء بماذا جاؤوا ؟ بالكلمة ، الكلمة الصادقة شجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء ، لكن الخطاب الديني الآن يحتاج إلى تجديد وبالمناسبة الحقيقة وأنا معكم في هذا ؛ من تعريفات التجديد الذي أؤمن بها أن ننزع عن الدين كل ما علق به مما ليس منه ، لعل الأساليب التقليدية في الخطاب الديني ، لعل سلوك الدعاة أحياناً ، لعل عرض الدين عرضاً أسطورياً وتجريبياً نظرياً ، نحن لا ما عندنا في الإسلام إعجاب سلبي ، ما عندنا مسلم لا يتحرك ، ما إن تستقر حقيقة الإيمان في قلب المؤمن حتى تعبر عن ذاتها بحركة نحو الآخرين ، المؤمن إيجابي ، المؤمن منفتح ، المؤمن له تدخل إيجابي في الحياة .

خوف الغرب من المجهول لبعدهم عن الله عز وجل :

الدكتور عمر :

بارك الله دكتور راتب ، اعذرني بكثرة مقاطعاتي ، دكتور عربي الغرب حقق حاجيات الإنسان ، الغربي إذا كان الدكتور راتب يتكلم عن نعمة الأمن إلى حدّ ما ليكن الغربي سلب نعمة الأمن وعنده الخوف من المجهول ببعده عن الله ، مرت عصور على إخواننا في الإنسانية في الغرب أمن حقوقها ، وهذه الحقوق صارت لما قال لويس لما قامت الثورة الفرنسية ، قيمة الإنسان لا شك أنها أعطيت له ، حاجياته من تأمين المعاشات والضرائب التي يدفعها وما إلى ذلك مؤمنة إلى حدّ ما ، ترك له المجال ليخبط في الدنيا خبط عشواء كما يريد ، طرق كل الأبواب ودخل في كل الأمور بالصواب وبالخطأ ، ولكن ما حقق لا منهج الاستقامة ولا منهج القناعة ولا قضية الرضا وظهر المنتحرون واليائسون والطوابير على العيادات النفسية فهل الإنسان الغربي بعد كل هذه التجارب ألا يعيد كما نحن مطالبون كمسلمين أن نعيد ترتيب أوليات العقل المسلم وأوليات البيت المسلم ، أيضاً هل الغرب أليس هناك من عقلاء وهم كثر أكيد ونحن دائماً نتعامل مع أهل العقل ولا نغلق أبوابنا ، عيادة صياغة للعقل الغربي فيما مضى القرنين الماضين الذي ظن الرجل الغربي أنه سيد العالم ؟

اختلال حياة الغرب منذ أن قطع صلته بالسماء :

الدكتور عربي :

لا شك نحن نتحدث عن الاستقامة باعتبارها ضمان التوازن الاجتماعي في كل الثقافات ، الغرب بعدما قطع صلته بالسماء والعياذ بالله أدرك أن حياته اختلت لذلك لجأ إلى اختراع معوذات ، فمثلاً منذ ما يسمى بعصر النهضة الأدبيات الغربية كادت تخلو من كلمة اسمها الله ، لكن الله ، هذه الكلمة وهذا المفهوم اختفى وحلّت محلها عبارات أخرى ، كل الأدبيات الغربية فالروايات فالشعر المطلق ، قال لي كثير من الأصدقاء اللاهوتيين في أوربا أنتم تشجعوننا على أن نتلفظ الآن بكلمة الله ، نحن متدينون ويدعون إلي المسيحية لكن قال في الفضاء الاجتماعي الذي نتحرك فيه لا نذكر إلا لماماً ، فوجودكم أيها المسلمون في الغرب ذكرنا بهذه الحقيقة المنغرسة في فطرتنا والتي طردناها من واقعنا .

الدكتور عمر :

أنتم تنفضون بفضل الله كوجود إسلامي في أوربا نفض التراب عما علق بالفطرة .

مسؤولية المسلم الآن أن يحقق الانسجام الكامل بين مستوى أقواله ومستوى أفعاله :

الدكتور عربي :

حتى نستطيع أن نؤرخ ظهور كلمة اللاشعور عند علماء النفس ، اللاشعور كلمة تملأ الفراغ ، اللاشعور تنويع لكلمة الغيب ، اللاشعور والمطلق والمحدود .

الدكتور عمر :

تمييع للفظ ، تمييع للمعنى .

الدكتور عربي :

طردوا اللفظ واختفى اللفظ واختفت حقيقته من الواقع الاجتماعي ولكن صرخاته ظلت تنبعث من أعماق الفكر ، وكثير من الكتّاب والمفكرين عندما يتحدثون عن فقدان اليقينيات ماذا يعني ذلك ؟ يعني ذلك أنهم الآن أدركوا أنهم بحاجة ماسة إلى أن يتعلقوا بقوة فوق طاقة البشر ، هذا يقوله الناس بكل صراحة لماذا الآن مثلاً عدد العيادات النفسية في باريس أكثر من عدد عيادات الأطباء ؟ عدد السحرة والمتنبئين بالغيب يتكاثر تكاثراً منقطع النظير ، الإنسان الآن ثار ضد الواقع الافتراضي ويلتفت إلى الداخل ، لكن كما قلنا ونكرر المخزون التصوري للثقافة المهيمنة نفذ .

الدكتور عمر :

لأنه صناعة بشرية .

الدكتور عربي :

لذلك الآن تتكفف مسؤولية المسلمين ، فالمسلم في الشرق و في الغرب أولاً بوصفنا مسلمين يجب أن نحقق الانسجام الكامل بين مستوى أقوالنا ومستوى أفعالنا ومن خلال هذا التحقيق سنساعد أخواننا في الإنسانية على أن نؤشر لهم إلى طريق يصلوا به إلى بر السلام .

الاعتراف بفضل الحضارة الغربية ينشر الحب بين الأطراف :

نحن نعترف بفضل الحضارة الغربية ، مثلاً أنا إذا قلت الآن بمَ تمتاز ألمانيا ؟ تجد آثار ألمانيا في بلادنا العربية والإسلامية متمثل بشكل لافت للنظر في سيارة المر سيدس ، ألمانيا قدمت لنا ما يرقي جانبنا المادي ، تسأل مثلاً ماذا قدمت فرنسا ؟ ما عدا أمريكا ما قدمت لنا إلا الدمار ، إذاً ونحن ماذا نقدم ؟ الحياة أخذ وعطاء ، نحن الآن مطالبون بأن نترك قيم الإسلام تصوغنا صياغة جديدة كي نستطيع من خلال هذه الصياغة أن نقول للآخرين شكراً لكم ، لقد يسرتم لنا كثيراً من جوانب الحياة المادية ، ونحن ديننا يعلمنا أن نقول للمحسن أحسنت وإحساننا يتمثل فيما يلي : عندما لا نقترح عليكم ولا نلزمكم إنما تعالوا لنتناقش حول ما الذي يجب علينا لإنقاذ الإنسان ؟ قضية الأنشطة الإنسانية في الغرب ، الآن في إفريقيا كم عدد المؤسسات الغربية التي تقدم العون للناس ؟ لا أتحدث عن الخلفيات ، واستغلال الظروف والفقر والتبشير ونشر أيديولوجيات الإلحاد ، هذا لا أتحدث عنه لماذا ؟ لأن الطاقة الغربية فاضت ، طاقة الإنسان فاضت ، وطاقة الإنسان لا يشبعها إلا التعلق بالغيب ولا يشبعها إلا حب الله عز وجل ، فلما حيل بين هذه الثقافة وبين هذا النوع من الإشباع امتدت أفقياً لتصنع الخير ، من آثار هذا دليل ليس دائماً حباً في الخير ولكن طاقة فائضة فلا بد أن تنفق .

النبي صلى الله عليه وسلم هو النموذج الأعلى لاستيعاب الاستقامة و تجسيدها :

الإسلام مثلاً المسلم الذي يفرغ هذه الطاقات طاقات الحب خمس مرات في الصلوات ، مرة في رمضان في الحج يجد توازناً داخلياً الطاقات تنصرف ، الغرب أو الإنسان الذي لا يؤمن بالله مثل الفيضانات ، الماء فيه خير ، متى يكون فيه خير ؟ إذا حفرت له قنوات ومجاري يصير ماء يسقي ، أما إذا ما نظمت له هذه المسائل فإنه يهلك الحرث والنسل ، الإسلام كيف يوزع ؟ كيف يحفر المجاري التي نصرف من خلالها طاقاتنا ؟ ورأس المسائل الأعمال الصالحة إنما هي الاستقامة ، سبحان الله حتى كلمة استقامة السين تذكرنا بالطلب ، المسلم يبذل جهده من أجل أن يستقيم ، في القرآن الكريم ورد الأمر بالمفرد فيما يتعلق بالنبي عليه الصلاة والسلام :

(فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ (112))

(سورة هود)

لما ؟ لأن النبي صلى الله عليه وسلم هو النموذج الأعلى لاستيعاب الاستقامة وتشكيلها وتجسيدها ، لما ذكر الله عز وجل سيدنا إبراهيم بوصفه أمة ؟ ولكن كان مثل الخلية التي تنطوي على الخلايا التي ستتكاثر فتنشأ منها أمة ، لما نأتي للمجتمع بقية الأماكن التي تحدث بها القرآن عن الاستقامة يتحدث فيها بوصفها فضيلة يصنعها أفراد في مجتمع ، لم يقل إن الذي قال ربي الله ثم استقام قال للنبي صلى الله عليه وسلم فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ ، إنما أبرز ودُم على هذه الحالة حتى تدوم إشعاعاتك ، النبي صلى الله عليه وسلم ليس هذا الأمر لإيجاد الاستقامة ، الاستقامة أكرمه الله عز وجل بها فكان وحده .

قيمنا محفوظة بفضل الله عز وجل و قرآنه الكريم :

إذاً الشاب الذي تفضلت بتذكيرنا بموقف مهزوز ، يقول مثلاً أنا أعيش في مجتمع يحفظ أفراده كلمة الاستقامة ، ونرددها في جميع مجالسنا ولكنني إذا مارست الحياة اليومية تعترضني عقبات ما العمل ؟ مثلاً إذا كان هذا الشاب يحمل جميع المؤهلات لينال منصباً من المناصب ، ويطرق الباب وبعد فترة يرجع له ملفه مع هذه الملاحظة طلبك غير مقبول ، فهنا يهتز يقول على أي أساس رفضت وعلى أي أساس قبل زيد من الناس ؟ طبعاً هذه استقامة مرفوضة ، الاستقامة على الورق من يحمل الشهادة الفلانية وله كذا وأمر كذا ، إذاً هناك فجوة عميقة بين شعاراتنا وبين تحقيقاتها .

إذا جاء مثلاً إنسان ، الإنسان مجبول على دفع المضار وجلب المصالح ، في دراسة غربية حديثة صدرت في فرنسا عنوانها نهاية القيم ، يقول صاحب هذه الدراسة كلمة القيم باللغة الفرنسية وفي اللغات الأخرى لا نجدها إلا في قاموس البورصة ، إذا قالوا قيمة يعني كم تساوي هذا الأثاث ؟ كم تساوي هذه الطائرة ؟ لكن القيمة المعنوية ما بقيت موجودة إلا في مقابر المعجمات والقواميس ، نحن ولله الحمد أمتنا بفضل صلاحية قيمنا لأن الله عز وجل حفظ الكتاب :

(إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ (9))

(سورة الحجر)

والأمة الإسلامية لا تحفظ إلا إذا أقامت الكتاب .

على كل إنسان أن يبحث عن الاستقامة لأن الاستقامة عملة رائجة في مجتمعنا :

(قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَى شَيْءٍ حَتَّى تُقِيمُوا التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ (68))

(سورة المائدة)

وهذه الإقامة هي الاستقامة ، يعني حتى تحققوا تكاليف انتسابكم إلى الكتاب علماً وعملاً ، معرفة وممارسة ، ويعجبني قول للإمام محمد البشير الإبراهيمي معلقاً على هذه الآية قال : عندما يقرأ المسلمون هذه الآية يعتقدون بأنهم بمنجى عن هذا اللوم الإلهي ، قال يا أهل القرآن لستم على شيء حتى تقيموا القرآن .

هذا الشاب نقول له إذا كنت في حالة شديدة من الظمأ لا شك أن هذا الإحساس يدفعه إلى أن يبحث عن منبع ماء ، نقول له إن أمتنا لا تخلو من نماذج مازالت تجسد الاستقامة اتصل بهؤلاء فإن الذي يقترب من العطار يتعطر ، فعليك أن تجتنب النماذج التي تقول لك إن الاستقامة لا قيمة لها ، وعليك بمعاشرة الذين تعطروا بالاستقامة فإن معاشرتك لهم ستعطرك وأنت ستصبح عملية تعطير لمن حولك ، وهكذا تصبح الاستقامة عملة رائجة في مجتمعنا .

الدكتور عمر :

بارك الله بك دكتور عربي ومع هذا العطر الجميل نلتقط أنفاسنا مع هذا العطر ثم نعود مع الدكتور راتب ، فاصل ونعود إليكم مرة أخرى لنكمل حوارنا عن الاستقامة عمل صالح كونوا معنا .

مرحباً بكم أحبتي في الله ونحن نتواصل في هذه الحلقة ، الاستقامة عمل صالح ونحن نسعد جميعاً وأنا أولكم بوجود العالمين الجليلين الدكتور راتب النابلسي والدكتور عربي ، دكتور راتب نريد خاصية أخرى من خصائص الاستقامة ونحن نريد أن نبسطها ونبينها لنا وللناس .

الاستقامة منطلق الإنسان إلى العمل الصالح و الجنة :

الدكتور راتب :

إذا عددنا الاستقامة هي المرحلة الأولى التي تأتي قبل العمل الصالح ، إذا عددنا ذلك يذكرني هذا الموقف بأن صحابياً جليلاً سأل النبي صلى الله عليه وسلم ماذا ينجي العبد من النار ؟ فقال إيمان بالله فقال هذا الصحابي وأظنه أبا ذر أمع الإيمان عمل ؟ قال أن تعطي مما أعطاك الله ، قال فإن كان لا يجد ما يعطي ؟ قال فليأمر بالمعروف ولينهى عن المنكر ، قال وإن كان لا يحسن ؟ قال فليعن الأخرق ، فقال فإن كان لا يستطيع ؟ قال أما تريد أن تترك لصاحبك من خير ؟ ليمسك أذاه عن الناس ، فجاء

السؤال المحرج أو إن أمسك أذاه عن الناس ينجو ؟ فقال عليه الصلاة والسلام ما من عبد مسلم يصيب خصلة من هذه الخصال إلا أخذت بيده حتى تدخله الجنة .

إذاً الإسلام ديناميكي بالتعبير المعاصر ومبسط ، أنت حينما تبدأ بالصلح مع الله حينما تستقيم على أمر الله الاستقامة تليها مراحل أرقى وأرقى إلى أن تصل إلى الجنة ، إذاً الاستقامة منطلق ، لأنه لا شيء يعين على النجاح كالنجاح .

أنا أذكر أن كل الذين اصطلحوا مع الله بدؤوا بعمل بسيط ، بعبادة بسيطة ذاقوا طعم القرب ، لذلك : في الدنيا جنة من لم يدخلها لم يدخل جنة الآخرة . والدليل :

(وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ (6))

(سورة محمد)

الدكتور عمر :

يقال أن عرفها أيضاً بالعرف الرائحة الطيبة .

من طبق الاستقامة قطف ثمارها و لو لم يكن على وعي بخصائصها وأبعادها :

الدكتور راتب :

شيء آخر الإسلام في خاصة دقيقة جداً تنطلق من هذه المقولة : الانتفاع بالشيء ليس أحد فروع العلم به ، أنا آتي بإنسان أمي لا يقرأ ولا يكتب اشترى مكيفاً ضغط مفتاح التشغيل جاءه الهواء البارد ، في إنسان يحمل دكتوراه بالتبريد اشترى مكيفاً ضغط هذا المفتاح جاءه الهواء البارد ، يعني أي مسلم إذا طبق بنود الاستقامة يقطف كل ثمارها ولو لم يدرك حكمتها لماذا ؟ لأن الدين هواء أراده الله هواء لكل البشر ، حتى الأديان الوثنية أنا أعتقد أنها تلبي الحاجة الفطرية في الإنسان ، يحتاج الإنسان إلى قوي يعتمد عليه ، أما المسلم والفضل لله عرفت القوي الحقيقي ، الغني الحقيقي ، أما كل إنسان بحاجة إلى جهة قوية يعتمد عليها .

الدكتور عمر :

دكتور راتب علماء القلوب يعلموننا ونحن صغار لا تقل يا رب عندي هم كبير ، قل يا همي عندي رب كبير ، لإيقاظ شعلة اليقين عند العبد وهذا اليقين هو الذي يثمر الاستقامة .

الدين الإسلامي دين الله عز وجل و يحتاجه كل إنسان :

الدكتور راتب :

أنا حينما أستقيم أقطف ثمارها كلها من دون أن أكون على وعي بخصائصها وأبعادها وحكمتها ، لكن إذا كنت داعية لا بد من معرفة ، أما أنا أفرق بين العباد والعالم ، العابد نجا ، فأي أخ كريم ، أي مشاهد طبق منهج الله لو كان وقته ضيق لا يسمح له بالتبحر لمجرد أن يطبق بنود الاستقامة يقطف كل ثمارها كهذا البدوي الذي ضغط الذر فجاءه الهواء البارد ، ذكرتني هذه في رجل أعرابي بدوي في بلد إسلامي في مدن وفي بادية ، هذا البدوي الذي كان ساكناً بجدة ، عندما توسعت جدة ، واقتربت من أرضه والأرض أصبح سعرها مرتفعاً جداً نزل وباع الأرض لمكتب عقاري خبيث جداً اشتراها بمبلغ أقلّ من ثمنها ، وعمّرها بناية من عشرة طوابق ، وهم ثلاثة شركاء ، أول شريك سقط من أعلى طابق فنزل ميتاً ، والثاني دهسته سيارة ، انتبه الثالث ، بحث عن صاحب الأرض ستة أشهر حتى عثر عليه ، ونقده ثلاثة أمثال حصته ، قال له البدوي : ترى أنت لحقت حالك .

ونحن إذا استقمنا ننجو .

الدكتور عمر :

نلحق حالنا .

الدكتور راتب :

هذه حقيقة ، أنا حينما أدعو إلى الله يجب أن أتعلم ، ما كل عالم بداعية لكن كل داعية ينبغي أن يكون عالماً ، أما أقول للسواد الأعظم ، لعامة المؤمنين أنت حينما تستقيم على أمر الله تقطف كل ثمارها تماماً كي أطمئنه ، هذا الدين إنه كالهواء ولأنه كالهواء لا يمكن لجهة أن تحتكره لا لأرض ولا لمصر ولا لفئة ولا لمذهب هو دين الله ، وهذا الدين يحتاجه كل إنسان كما يحتاج الهواء .

من واجب الدعاة أن يبسطوا هذا الدين :

لذلك أنا أرى أن الدعاة إلى الله من توفيقهم أن يبسطوا هذا الدين ، يعني هذا الذي أسلم على يد شيخ أبقاه ستة أشهر في أحكام المياه ، حكم الوضوء بماء الحمص ، حتى خرج من جلده وترك الدين ، التقى مع عالم جليل قال له هذا العالم الماء الذي تشربه توضأ منه ، أنا الآن أشعر بحاجة كبيرة إلى تبسيط الدين وإلى عقلنته ، العقل أصل في الدين .

الدكتور عمر :

دكتور راتب حتى كبار العلماء محمد بن سيرين رحمه الله لما ذهب إليه رجل يقص عليه في الرؤيا فقابل هذا الرائي رجل في الطريق قبل أن يصل إلى ابن سيرين إلى أين ؟ قال إلى ابن سيرين ، قال لابد أنك قد رأيت رؤيا قال قل وأنا أعبر ، قال رأيت أن أسناني كلها قد وقعت ، قال سوف تموت أنت وأهلك جميعاً ، المهم ذهب إلى ابن سيرين ولم يخبره بما حدث وقال له يا إمام رأيت في الرؤيا ، قال تكون آخر أهلك موتاً ، نفس الرؤية ولكن الألفاظ عبارة عن ملكات ورزق من الله عز وجل .

من خصائص الاستقامة أن العلاقة بين الأمر وبين نتائجه علاقة علمية :

الدكتور راتب :

الشيء الثاني الدقيق جداً أن من خصائص الاستقامة أن العلاقة بين الأمر وبين نتائجه علاقة علمية أي علاقة سبب بنتيجة ، كيف ؟ حينما يضع ابني الصغير يده على المدفأة وهي مشتعلة تحترق ، نقول العلاقة بين وضع اليد واحتراقها علاقة علمية ، علاقة سبب بنتيجة ، أما الأب حينما يقول لأولاده اخرجوا من هذا الباب ، أبقوا هذا مغلقاً ، لو أن أحد أبنائه فتح هذا الباب الذي نهى عنه قد يضربه ، ما في علاقة علمية بين ضرب هذا الطفل وبين خروجه من هذا الباب نقول هي علامة وضعية ، الأب وضعها هو اخترعها ، فلذلك أنا حينما أؤمن أن الطاعة فيها بذور نتائجها والمعصية فيها بذور نتائجها، أنا أقود مركبة تحمل عشرين طناً وصلت إلى جسر كتب عليه أقصى حمولة عشرة طن أتلفت هل هناك شرطي ؟ لا هذا جهل ، الجسر يعاقبني ينهار ، أنا حينما أصل لهذه المقولة هذا المفهوم أكون فقيهاً . جاء أعرابي إلى النبي عليه الصلاة والسلام فقال : يا رسول الله ، عظني ولا تُطِل ، فتلا عليه هذه الآية:

(فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ)

، قال : فقه الرجل أي أصبح فقيهاً.

الاستقامة لا تحتاج إلى تعقيب .

إنكار الغرب طريق الهدى :

الدكتور عمر :

ليست بكثرة العلم ولكن بمهمة التطبيق حتى وإن كان الأمر قليلاً ، بارك الله بك دكتور راتب وجزاك الله خيراً ، دكتور عربي في طرفة لأينشتاين وهو رجل ذو عقل كبير ، جاءته امرأة وقالت له اشرح لي قانون النسبية التي وصلت إليها ، قال لها أنت امرأة جميلة عندما تجلسين معي ساعة أشعر أنها دقيقة ،

وإذا امرأة قبيحة تجلس معي دقيقة أشعر أنها ساعة ، وإن كان الكلام على عواهنه هكذا ، قضية النسبية، لماذا أنكر العقل الغربي المفكر طريق الهدى رغم أن الفطرة دكتور عربي مازالت تصرخ في داخله ؟ يريدون إطفاءها وتغطيتها وإغراقها ولكنها تستعصي عليهم لأنها في تكوين الإنسان ، هو قبضة من تراب الأرض ونفخة من روح الله ، هو يريد أن يطمس لكن النفخة ما زالت موجودة هذا التصادم ضد الاستقامة وضد منهج الله أليس هناك نسبية في التعقل ؟

استغناء الغرب عن الله عز وجل بتأليه أنفسهم :

الدكتور عربي :

الثقافة المهيمنة عندما خيل إلى أصحابها أنهم استغنوا عن الله عز وجل وضعوا نفوسهم مكان الله عز وجل ، فهذه حقيقة نفسانية اجتماعية من كفر (أستعمل لغتهم)من كفر بالمطلق اعتبر نفسه المطلق .

الدكتور عمر :

ألهن الإنسان .

الدكتور عربي :

ألهن نفسه ، وعندما اعتبرت هذه الثقافة نفسها الثقافة المطلقة نظرت إلى باقي الثقافات على أنها ثقافات نسبية لا تستمد قيمتها إلا من خضوعها للثقافة الأم .

الدكتور عمر :

دكتور عربي معذرة هل الغرب أخذ الحضارة أو إن قيلت أنها حضارة يونانية بفكرها المشوه ، والإغريقية أيضاً بفكرة العدل الروماني الغريب الذي يرى العدل لليونان فقط أما بقية الناس هم عبيد ، ويتلذذون بقضية قتال العبيد بعضهم مع بعض حتى يقتل أحدهم الآخر أو يقتل الاثنان ، هل هذا مستمد من هذا الفكر المتجبر عندهم في الحضارة اليونانية حتى أنهم أغفلوا في التحقيق المعرفي ، أغفلوا الحضارة الإسلامية لا يذكرونها ؟

الحضارة الغربية الحديثة استمداد للتصورات الإغريقية الرومانية :

الدكتور عربي :

هذه ملاحظة دقيقة جداً ، الحقيقة الحضارة الغربية الحديثة استمداد للتصورات الإغريقية الرومانية ، والدليل ما يسمى بعصر الحداثة كان استحياء لهذه المعاني مرة أخرى ، الرجوع إلى الآداب واستخدام اللاتينية حتى في المؤسسات اللاهوتية ، أخيراً منذ فترات فقط صار الناس يطالبون باستخدام اللغة

المحلية إذاً الاستمداد ، أنت ذكرت لنا قبل قليل كنت في زيارة إلى متحف اللوفر مثلاً حتى مفهوم الجماد ، مرة جاءتني صحفية فرنسية لما أثيرت أول مرة قضية الحجاب قالت لي لما ؟ قلت لها لو سمحت لي سأجيبك عن سؤالك بسؤال أنت منذ دخلت بصوت مرتفع لما هذا الزي ؟ أنا أسألك ، أنا وأنت أسألك لما تلبسين هذا اللباس ؟ سكتت . قلت لها أنا ألاحظ أن بعض أجزاء قليلة من جسمك مستورة وبقية الأجزاء مكشوفة قلت ما الذي دفعك إلى أن تستري بعض الأجزاء من جسمك ، سكتت ، قلت لها شعرت أم لم تشعر فإن فطرتك هي التي أوحت إليك أن هناك أجزاء من الجسم يجب أن تستر ، قلت لها نحن تعلمنا في المدارس أن الإنسان حينما تطور اخترع اللباس إذاً انعكست الآية .

الدكتور عمر :

حتى دكتور عربي مصداق لقولك بلقيس ملكة سبأ لما دخلت إلى سليمان وحسبته لجة وكشفت عن ساقيها ما هذا التقدم في حضارة سبأ كانت تلبس المجرر الملكة عندما تحضر وتتحرر وتلبس لباس السهرة ، الفطرة التي يريدون طمسها .

الدكتور عربي :

لكن الفطرة الآن تعود من جديد ، فقلت لها مثلاً هل يعجبك أن أقول لك إن لباسك هذا ينقص من جمالك، قالت : لا ، بأي حق تقولين للتي تريد أن تحتجب إنك لست جميلة ، إذاً مفهومنا للجمال يختلف عن مفهومكم للجمال ، ففي المتاحف مثلاً الجمال في الحضارات القديمة والحديثة عبارة عن كشف للأجسام وإظهار ما ينبغي ألا يظهر .

الدكتور عمر :

دكتور ترى لوحات الإنسان لا يرى فيها شيء من الجمال .

الإنسان كلما ارتفع استطاع أن يستوعب ببصره وبصيرته جوانب الشيء كله :

الدكتور عربي :

الحقيقة هناك فرق كبير بين إظهار العورة وإظهار الزينة ، الحضارة الحديثة تكشف العورات ولا تظهر الجمال ، وفي اللغة العربية الجمال مشتق من الارتفاع ولذلك العرب أطلقوا على الجمل اسم الجمل لأنه مرتفع ، إذاً أينشتاين كان محقاً بلغته الدقيقة قال للمرأة الجميلة الساعات التي مرت معك دقائق لماذا ؟ لأن الإنسان كلما ارتفع كلما استطاع أن يستوعب ببصره وبصيرته جوانب الشيء كله ، هذا الفرق بين النظرة الغربية النسبية ، فالغرب يعتبر نفسه مطلقاً ويستخدم النسبية في استعداد غيره ، ويستخدم النسبية في الأخلاق ما أراه أنا جميلاً جميل وما أراه خيراً خير وما أراه نافعاً نافع ، هذه هي

مشكلتنا ، وهذا يؤدي إلى أن نعبر عنه بالصورة التالية ، قالوا إن الضفدعة نظرت إلى الثور فقالت لما الثور أضخم مني جثة ؟ لا يجوز اعتبرت نفسها هي المطلق فانتفخت انتفخت لتصير مثله و إذا بها تنفجر ، فالذي ينتفخ متجاهلاً غيره سينتهي إلى تدمير نفسه .

(نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ أُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ (19))

(سورة الحشر)

خرجوا عن قواعد الفطرة .

الفطرة عند المسلمين لن تطمس مهما صنع الآخر معنا :

الدكتور عمر :

لذلك دكتور عربي يجب أن يقتنع أبناءنا المسلمين وشبابنا وبناتنا أي أن قضية الفطرة التي أوجدها الله فينا والحقيقة لم تطمس مهما صنع الآخر معنا أو بعض من بني جلدتنا من الطابور الخامس ، يجب أن نعرف عظمة المنهج الذي عندنا ، يقال إن ذبابة قالت للنخلة استعدي فلقد آن لي أن أطير عنك ، قالت أنا ما شعرت عندما حططت فكيف أشعر ؟

فنحن النخلة التي أصلها ثابت وفرعها في السماء .

الدكتور راتب :

(يَنْزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْآتِهِمَا (27))

(سورة الأعراف)

سلوك شيطاني .

الدكتور عربي :

الاستقامة هي اللباس الذي يستر عورات مجتمع من المجتمعات .

والحمد لله رب العالمين

ندوات تلفزيونية - قناة الشارقة - كلمات مضيئة - الدرس (6-6) : الاستقامة أقصر طريق إلى الله
لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: 28-03-2008

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة :

الدكتور عمر :

دكتور راتب نحن حدثتنا جزاك الله خيراً عن بعض من خصائص الاستقامة ، ونحن نريد أن نقترب من الوصفات العملية المبسطة التي يستطيع المستمع والمشاهد الآن إذا سمع عالمه الجليل الدكتور راتب النابلسي أخذ منهجه ووجد سهولة ، كما يسر الله لك الكلام السهل والأمثلة الواقعية التي نحياها بسط لنا طريق الاستقامة حتى نستقيم خلفك .

خصائص الاستقامة :

الدكتور راتب :

أرجو الله أن أكون عند حسن ظنك وأنت أستاذنا ، الحقيقة أنكم في هذه المقدمة الرائعة أشرتم إلى إحدى أكبر خصائص الاستقامة حينما قلتم الاستقامة أقصر طريق إلى الله ، وقد أكدتها الآية الكريمة :

(فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ (6))

(سورة فصلت)

لا تسمى الاستقامة استقامة إلا إذا أوصلت إليه ، الاستقامة التي نتمناها هي السلوك الذي يفضي إلى الله عز وجل .

العلم و العمل مقاييس وردت في القرآن الكريم للترجيح بين الخلائق :

هناك نقطة دقيقة أتمنى أن تكون واضحة ، هناك مقاييس نستنبطها من حركة الحياة ، الناس مثلاً يكبرون الغني ، القوي ، الذكي ، إلى آخره ، هذه المقاييس للبشر وضعوها هم إما بدافع من فطرهم أو بدافع من مصالحهم ، ولكن لو تتبعنا آيات القرآن الكريم لوجدنا مقاييس وردت في القرآن الكريم الله عز وجل بها يرجح بين خلقه ، مثلاً مقياسان كبيران في القرآن الكريم العلم والعمل ، المقياس الأول :

(هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ)

(سورة الزمر)

(يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ)

(سورة المجادلة)

(و لِكُلٍّ دَرَجَاتٌ مِّمَّا عَمِلُواْ)

(سورة الأنعام الآية : 132)

أنا أقول دائماً بطولة المؤمن أن تأتي مقاييسه التي يعتمدها وفق مقاييس القرآن الكريم ، فإن لم تكن هذه المقاييس وفق القرآن الكريم وقع في ضلال كبير ، يجب أن تكون مقاييسي في تقييم أي شيء وفق القرآن الكريم ، فلذلك .

الدكتور عمر :

لأن هو يشرع من ذاته ، أو هو يشرع من هواه من عقله المحدود فلذلك مقاييسه ضالة .

القلب السليم هو القلب الذي لا يحتكم إلا لشرع الله :

الدكتور راتب :

من أجمل ما قرأت حول قوله تعالى :

(يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ (88)إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ (89))

(سورة الشعراء)

ما القلب السليم ؟ القلب هو القلب الذي لا يصدق خبراً يتناقض مع وحي الله ولا يشتهي شهوة لا ترضي الله ، ولا يحتكم إلا لشرع الله ، ولا يعبد إلا الله .

الدكتور عمر :

هذا قلب رباني .

الدكتور راتب :

هكذا وصف الله المؤمنين ، الآن المقياس الذي جاء به النبي صلى الله عليه وسلم بأحاديث كثيرة جداً صحيحة ، لكن أنا كنت أروي شطره الأول : كفى بالمرء علماً أن يخشى الله . كنت أظن أن له تتمة ، وكفى به جهلاً أن يعصيه . راجعت البارحة الحديث في مراجع دقيقة وجدت له ثلاث روايات ، الرواية الأولى : وكفى به جهلاً أن يعجب بنفسه . وكفى به جهلاً أن يعجب بعلمه . وكفى به جهلاً أن يعجب بعمله .

معنى ذلك إن كانت النفس ليست على ما يرام ، أو كان العلم ليس وفق ما يرضي الله ، أو كان العمل ليس هادفاً إلى مرضاة الله عز وجل ، وهو على مخالفة لمنهج الله ، فهو ليس عالماً عند الله .

العالم عند الله من كان منهجه وفق منهج الخالق سبحانه :

أنا أضرب مثلاً لعله دقيق إنسان يحتل أعلى منصب ديني ، وأفتى بفتوى بخلاف ما يعلم لمصلحة يريدها لنفسه ، فهذا الإنسان هو عند الله ليس بعالم مع أنه قد يحمل أعلى شهادة ، لذلك لما قال الإمام الشافعي : " لأن أرتزق بالرقص أفضل من أن أرتزق بالدين " .
معه الحق فهو عند الناس عالم كبير ، يحمل أعلى شهادة ، له مؤلفات أما عند الله ليس بعالم ، كفى بالمرء علماً أن يخشى الله ، وكفى به جهلاً أن يعجب بنفسه وليست على ما ينبغي أن يكون ، لذلك يقول سيدنا علي رضي الله عنه : الشرك أخفى من دبيب النملة السمراء على الصخرة الصماء في الليلة الظلماء . وأدناه أن تحب على جور ، إنسان ليس على الحق لكن لك معه مصلحة أن تحبه .

الدكتور عمر :

لذلك سيدنا عمر كان يقول : اللهم لا تجعل لفاجر عليّ نعمة حتى لا أحبه . يميل الهوى هنا مع المصلحة هذه مصيبة .

القرآن الكريم هو المقياس الذي ينبغي أن نعتمده :

الدكتور راتب :

الشيء الدقيق يأتي إنسان بسيط جداً قد يكون حاجباً لكن يطيع الله عز وجل هو عند الله عالم ، فنحن نريد مقاييس القرآن .

الدكتور عمر :

ليس العلم كثرة الرواية إنما العلم الخير ، إذا ظهر على العبد علامات الخشية في قوله وعمله وفعله وتعامله مع الآخرين هذا عالم وإن كان أمياً .

الدكتور راتب :

الآن الله عز وجل حينما قال :

(الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَداً إِلَّا اللَّهَ (39))

(سورة الأحزاب)

يعني هذا الداعية أليس له صفات كثيرة ؟ إنه صادق وأمين وهو يصلي ويصوم لماذا أغفلها القرآن الكريم كلها ؟ أغفلها كلها لأن هناك صفات مترابطة مع الموصوف ترابطاً وجودياً ، ما معنى ذلك ؟ أنا قد أقول هذه الطائرة كبيرة ، والباخرة كبيرة ، هذه الطائرة غالية الثمن وهذا البيت غالي الثمن ، أما حينما أصف الطائرة بأنها تطير فإذا ألغيت هذه الصفة ألغيت الطائرة ، الله عز وجل أراد أن يبلغنا أن

هذا الذي يدعو إلى الله إذا خشي غير الله فسكت عن الحق وخشي غير الله فنطق بالباطل ، سكت عن الحق إرضاءً له ونطق بالباطل تقرباً إليه سقطت دعوته وانتهت ، فلذلك أنا أريد أن أؤكد أن مقياس القرآن الكريم هو المقياس الذي ينبغي أن نعتمده .

الدكتور عمر :

مقياس القرآن بالاستقامة ، نحن الآن نريد أن نؤكد أنه لا مقاييس إلا ما وضعها رب العباد .

التطبيق و الإخلاص و العمل الصادق مقاييس الاستقامة على أمر الله :

الدكتور راتب :

(اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ (20)اتَّبِعُوا مَنْ لَا يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا وَهُمْ مُهْتَدُونَ (21))

(سورة يس)

حينما نهدف من الدعوة مكسباً مادياً أو غنىً ، جرحت مكانتنا ، هذا مقياس :

(اتَّبِعُوا مَنْ لَا يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا (21))

(سورة يس)

(شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ (18))

(سورة آل عمران)

الذي يشهد لك كمال الله هذا مقياس ثانٍ ، أنا حينما ذكر الله بعض أوصاف القرآن الكريم :

(وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا (124))

(سورة البقرة)

التطبيق ، الإخلاص ، العمل الصادق .

الإيمان من دون عمل لا قيمة له إطلاقاً :

لذلك الله عز وجل حينما قال :

(إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا)

(سورة فصلت الآية : 20)

استقاموا لازمت آمنوا ، فالإيمان بالاستقامة لا قيمة له لأن إبليس مؤمن حينما قال :

(فَبِعِزَّتِكَ)

(سورة ص الآية : 82)

(فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ)

(سورة الأعراف)

الإيمان من دون عمل لا قيمة له إطلاقاً ولا جدوى منه ، بدليل لو أن الشمس ساطعة وإنسان معه مرض جلدي بحاجة إلى أشعة الشمس قبع في غرفة قميئة رطبة ، وقال يا لها من شمس ساطعة مهما تحدثت عنها هذا الكلام حقيقي لأن الشمس ساطعة أنتما أضفت شيئاً أما حينما تتعرض لها ويشفى جسمك منها .

العمل الصالح أساس لقاء الله عز وجل :

من هنا قال الله عز وجل :

(قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ (6))

(سورة فصلت)

كأن الله أراد من هذه الآية أن يلخص القرآن الكريم كله

(يوحى إلي)

(إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا (110))

(سورة الكهف)

لا بد من عمل ، أنا عندما أقرأ القرآن الكريم هناك مقاييس مثلاً :

(فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ)

(سورة آل عمران الآية : 185)

(وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ مَتَاعُ الْغُرُورِ)

(سورة آل عمران الآية : 185)

أحياناً إنسان يشتري أرضاً يتضاعف سعرها مئتي ضعف يظن أنه قد فاز ، الفوز في طاعة الله ، سيدنا علي رضي الله عنه يقول : يا بني ما خير بعده النار بخير وما شر بعده الجنة بشر ، وكل نعيم دون الجنة محقور وكل بلاء دون النار عافية . فلينظر ناظر بعقله أن الله أكرم محمداً أم أهانه حينما زوى عنه الدنيا ؟ لقد أكرمه .

الدنيا ليست مقياساً للمقارنة بين البشر المقياس طاعة الله عز وجل :

لذلك الدنيا عرض حاضر ، الدنيا قاسم مشترك ، الله أعطى المال لمن يحب ولمن لا يحب ، إذاً ليس مقياساً ، أعطى الملك لمن يحب ولمن لا يحب إذاً ليست مقياساً ، فالمقياس أن أكون على طاعة الله وأن تأتي مقاييسي وفق منهج الله عز وجل ، هذا مقياس سماوي .

الدكتور عمر :

بارك الله أكرمك الله ، ولذلك دكتور راتب كره العلماء كلمات ثلاث أنا ولي وعندي ، أنا قالها إبليس ، قال أنا خير منه كانت النتيجة طرد من رحمة الله ، وفرعون قال لي : أليس لي ملك مصر ، عندي قالها قارون : إنما أوتيت على علم عندي ، فخسفنا به وبداره الأرض ، وكلنا أي سواء إبليس أو فرعون ، التي هي الفرعونية الطاغية والقارونية الكانزة والشيطانية المردية ، نحن نكرر أنا لي وأنا عندي وأنا ، لما يجلس إنسان في مجلس يكرر أنا أنا عدة مرات فاعلم أنه مريض ، نحن مصابون بها كعرب أنا .

الدكتور راتب :

تضخم الذات .

الدكتور عمر :

ونشرب إن وردنا الماء صفواً ويشرب غيرنا كدراً وطينا

إذا بلغ الرضيع لنا فطامــاً تخر له الجبارة ساجدينا

* * *

فما بالك إذا وصل إلى الثانوية العامة هو رضيع وسجدوا له ، لما يكبر يذهب إلى أين ؟

الدكتور راتب :

نصف العالم أخطر إنسان لا هو عالم ينتفع بعلمه ولا هو جاهل يتعلم .

الغاية من وجود الإنسان عبادة الله عز وجل :

الدكتور عمر :

دكتور عربي بعد هذه الأطروحة الجميلة والمقدمة التي فيها من الرقائق الجميلة كعادة الدكتور راتب ، يعني الكنيسة في العصور الوسطى كانت لها بعض الحقائق وبعض الأباطيل ، لا ننكر كانوا يؤمنون أن الله موجود في بعث ، الغاية من وجود الإنسان هو عبادة الله عز وجل ، هذا جزء الحقيقة وبعد هذا قضية ادعاء العصمة للبشر أن هذا لا يخطئ هذه مصيبة كبيرة مما اخترعته العقول البشرية ، حجْبها على العقل ، اتهام أي إنسان يخالف الكنيسة ، معاداة العلم ، وأصدروا قرارات بالقتل على ثلاثة من كبار العلماء حتى غاليلو لما ادعى أنه ارتد عن أفكاره وهو يموت قال بلغوا عني أن الأرض كروية وكررها ، بعض الأذناب أو كما تقول الزعانف والطابور الخامس يتكلمون من طراز العلمانيين الذي يعيشون من بني جلدتنا عن مقت النص الديني ، هل سبقهم الآخر بها ؟ هل هذا تمّ ببعد عن خط

الاستقامة أو إنكار الاستقامة ، أو لأنه لا يريد أن يكلف نفسه فوق ما يريد لأن الاستقامة قد تكلفه ، تكلفه انضباطاً ، تكلفه تنازلاً عن أمور معينة ، تكلفه أن يتساوى مع الآخر ، ما محور الارتكاز في محور القضية التي طرحتها ؟

من ربح الدنيا كلها وخسر نفسه خسر كل شيء :

الدكتور عربي :
الذي تفضلتم به دكتور عمر يعود بنا إلى مكامن الداء ، ومكمن الداء عند الإنسان عقله ، العقل بمثابة السلم ، العقل يصعد السلم درجة فدرجة إلى أن يصل إلى المستوى الذي يرغب الوصول إليه ، وإذا اختل الإنسان فإنه لا يصعد درجات السلم وإنما يحمل السلم على كتفه ، هذه المشكلة ، السلم وسيلة للصعود فإذا جنّ إنسان عافاكم الله جميعاً وعافى المستمعين فإنه بدل أن يستخدم السلم ليكتشف ما كان خافياً عنه فإنه يحمله وهذا ينطبق عليه صورة سوزيف الذي كان يحمل صخرة ويصعد بها ويتكرر ، هذا شأن الذي نسي الله ، العقوبة فأنساهم أنفسهم ، وكيف ينسى الإنسان نفسه ؟ لا ينسى نفسه ، ينسى نفسه بتدسيتها ، يدسيها يخنق مؤهلاتها ، وقد خاب من دساها ، والله أكرم الناس بالوحي لكي يساعدهم على تزكية نفوسهم ، فإذا ما ترك الوحي البشر فإنهم سيدفعون الثمن غالياً ، الآن لا ننكر المكاسب المادية ، والسيد المسيح عليه السلام يقول : من ربح الدنيا كلها وخسر نفسه فقد خسر كل شيء .
والقرآن الكريم يقول : خسر الدنيا والآخرة .

تزويد الله عز وجل الإنسان بقوتين عظيمتي الشأن القوة الفكرية وقوة الممارسة :

كتب أحد الغربيين وقد أسلم ، وكان عملاقاً من عمالقة الفكر ، كان أستاذاً كبيراً في الرياضيات وإماماً في الفلسفة ، وأسلم واستقر بمصر وتوفي هناك رحمه الله ، والدكتور عبد الحليم محمود رحمه الله ذكر نبذة عن حياته وسمى نفسه الشيخ عبد الواحد يحيى ، كتب كتاباً من أهم الكتب كتاباً صغير الحجم مكثفاً، عنوانه أزمة العالم المعاصر ، ماذا يقول في هذا الكتاب ؟ قال : إن الإنسان ، وهو يتحدث عن الثقافة المهيمنة وهو أكثر الناس خبرة بها فاسأل من كان بها خبيراً ، قال : إن الإنسان ترك السماء ليكسب الأرض فضيع السماء وضيع الأرض . من أين جاء الخلل ؟
الله عز وجل زود الإنسان فيما زوده به بقوتين خطيرتين عظيمتي الشأن ، القوة الفكرية وقوة الممارسة، القرآن الكريم دائماً يربط بين ضرورة التغذية ، القوة العقلية الفكرية ، والقوة الممارسية (القوة العملية)، مثلاً على سبيل المثال :

(رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا (83))

(سورة الشعراء)

ما معنى ربِّ هب لي حكماً ؟ ما معنى الحكم و الحكمة كل مشتقات الكلمة العربية ؟ يعني ما معنى النهى ؟ ما معنى اللب ؟ هب لي حكماً ؟ أولاً الإنسان يشعر بأن الله عز وجل أنعم عليه بهذه القوة قوة العقل والفكر ، فيسأله بَوْصَلَة ، هب لي حكماً أعطني بوصلة يتحرك بها عقلي في المجال الذي يناسبه كي لا يضيع ، لو أن الطيار الآن يطلق العنان لطيارته أو صاحب السفينة أو الإنسان في الصحراء ماذا يفعل ؟ نحتاج إلى بوصلة ، البوصلة هذه هي ما يعبر عنه بالحكمة :

(وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيراً)

(سورة البقرة الآية : 269)

الله تبارك وتعالى خلق العقل جميلاً فعلى الإنسان أن يحافظ عليه :

الإنسان يستخدم في المرحلة الأولى عقله فيؤلهه ، قال أحد الغربيين : أيها الإنسان أنت لك عقل فتأله ، بصريح العبارة لا تحتاج إلى الله عز وجل ، فإذاً تنتهي المشكلة إلى أن يدس عقله في التراب وهذا الذي حدث ، الإنسان صار طينياً ، والإنسان كائن متأثر ومؤثر ، إذا عاش الإنسان فترة طويلة في مكان لا تنبعث منه إلا الرائحة الكريهة فإنه يعتاد لذلك إذا جئت به ووضعته في روضة من الرياض فواحة الزهور فإنه يقول ما هذا ؟ كن جميلاً ترى الوجود جميلاً ، والقبح قبح النظرة ، قبح البصر وقبح البصيرة إنما مأتاه قبح العقل ، والله تبارك وتعالى خلق العقل جميلاً ويأتي الإنسان بسوء استخدامه فيقبحه .

(هَبْ لِي حُكْمًا (83))

(سورة الشعراء)

يعني أعطني ما يقوي وينمي قوتي النظرية والفكرية تنمية لا تتجاوز بالعقل حداً ، وقديماً قال أحد الصالحين : إن العقل مثل المركب يوصلك إلى باب السلطان ولا يدخل معك إلى القصر . يعني مثلاً إنسان إذا زار أخاً له فإنه يترك سيارته هناك ويدخل على صاحب المنزل دون مركب .

الدكتور عمر : يوصلك إليه ولا يدخلك عليه .

عدم تجريد الله عز وجل الغرب من وسائل العمل فكانت أعمالهم نفعية غير صالحة :

الدكتور عربي : العقل يجوب الآفاق :

(قُلِ انظُرُواْ مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ)

(سورة يونس الآية : 101)

دلائل الوحدانية ، والله تبارك وتعالى يرشدنا في القرآن الكريم أن الناس نوعان ، نوع ممكن يستدل بالصانع على الصنعة أفي الله شك ، ونوع مستواه هزيل يستدل بالصنعة على الصانع وكلتا الطريقتين موجودتان في القرآن الكريم :

(رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ (83))

(سورة الشعراء)

الحضارة الغربية قالت بلسان الحال وبلسان المقال لا أحتاج إلى حكمك يا الله ، ولكن الله عز وجل لن يجرد البشر من وسائل العمل فكانت أعمالهم نفعية غير صالحة ، لا أحد ينكر ، أنا دائماً أقول لأصدقائنا في فرنسا تنتقل في القطار السريع من باريس إلى مدينة ليون في ساعتين الآن قبل مونتيل المفكر الفرنسي الكبير يعني قضى شهوراً وشهور من أجل أن يصل من منطقة من مناطق فرنسا إلى روما شهوراً ، الآن في رمشة عين يأخذ الإنسان فنجان قهوة ويصل إلى إيطاليا والفنجان ما زال ساخناً، ما الفائدة إذا انتقل الإنسان مثلاً من باريس إلى ليون وعندما وصل إلى ليون لم يجد وجهاً مبتسماً ولا يداً حانية ولا بيتاً يفتح له صدره ، ماذا صنع ؟ التكنولوجيا ألغت المسافات ولكن هل فتحت فجوة بين القلب والقلب ؟

الدكتور عمر : باعدت .

خلط الناس بين وسائل الاتصال و بين القدرة على التواصل البشري :

الدكتور عربي :

إذاً المشكلة الناس يخلطون بين وسائل الاتصال وبين القدرة على التواصل البشري ، وسائل الاتصالات قلصت المسافات ولكن أين الوقت الذي يجده الإنسان ليجلس إلى أخيه ليأنس به ؟ وما سمي الإنسان إنساناً إلا لقدرته على الإيناس فإذا فقد القدرة على الإيناس ما صار إنساناً وهذه هي مشكلة ، لذلك كان أحد المفكرين القدامى الفلاسفة في وقت الظهر يحمل فانوساً (مصباح)قيل له كيف والشمس مشرقة ؟ قال إنني أبحث عن إنسان . هذا نتيجة الانصراف عن الله عز وجل .

الدكتور عمر :

حتى إن أبا نواس ونحن نسخر منه ، و إنما هو من الصعلكة الأدبية أنه كان يسأل رجلاً دخل عنده ابن من ؟ قال ابن آدم ، قال ظننت قد انقرض ، هذا فكر كبير .

مهمة الإنسان في الأرض :

لذلك رحمه الله مصطفى صادق الرافعي وهذا رجل ما أخذ حجمه في الأدبيات العربية أو في التاريخ العربي ، الحقيقة كان رجلاً مدافعاً عن الإسلام ، المهم له كتاب اسمه كتاب المساكين يكتب في كتاب المساكين عن شخصية الشيخ علي ، الشيخ علي ليس الشيخ علي وإنما هو رجل على باب الله ، كبير ، يقال في البلاد العربية الشيخ فلان لأنه رجل درويش أو كذا ، يقول عن الشيخ علي : داره يفترش الأرض ويلتحف السماء ، يجلس الشيخ علي على عتبة داره فيرى الناس وهم يمرون يقول القاعد منهم يا رب أعطيتنا الصحة فأين المال ؟ وثان يقول يا رب أعطيتني المال فأين الصحة ؟ وثالث يقول يا رب أعطيتني المال والصحة فأين السعادة ؟ فيرد الشيخ علي قائلاً : يا رب كل هؤلاء صور فأين الأصل ؟ أين آدم الذي أسكن الجنة ثم أسكن الأرض برضوان من الله ولم ينزل بخطيئة وإنما أعطي منهجاً ليسلكه ، ولعل الدكتور راتب ذكرنا بمهمة العلم حتى فرق القرآن أعزكم الله بين الكلب الجاري والكلب المتعلم :

(مُكَلِّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ اللَّهُ (4))

(سورة المائدة)

لما يمسك كلب الصيد الصيد آكل منه ، والكلب الغير مدرب ....، هذا فرق بين الكلاب ، جاهل وعالم ، دكتور راتب ونحن ننتقل من خاصية إلى خاصية .

العقل ليس حكماً على النقل لأن النقل مرتبط بالوحي :

الدكتور راتب :

أنا أريد أن أعلق ، أولاً لي صديق كان في لندن ففي طريق مزدحم أشد الازدحام وقعت امرأة مسنة وبينه وبينها حوالي خمسون متراً والطريق مزدحم ولا أحد انتبه إليها أو أنهضها أو أعانها إلى أن وصل إليها فلما أنهضها سألها عن حاجتها ؟ قالت له كلمة قالت له أنت لست من هذه البلاد .

وضع إنسان على طريق كثيف جداً في أوربا مع سيارة ارتكبت حادث وهو في حبر أحمر أمامه كأنه مجروح ، بعد ست ساعات وقفت مركبة تبحث عن مساعدته .

الدكتور عمر :

لو كان حقيقة لمات .

الدكتور راتب :

هذه المساعدات ، أما شاب أحب فتاة هناك فاستأذن والده من الزواج منها قال له لا يا بني إنها أختك

وأمك لا تدري ، أنا أعلق على كلمة قالها الدكتور عربي أنهم ضحوا بالسماء من أجل الأرض فخسروا السماء والأرض معاً ، فلما أحبّ ثانية قال يا أبي هذه فتاة أحببتها ، قال له : أيضاً هذه أختك وأمك لا تدري ، الثالثة كذلك فضجر من أبيه وشكا إلى أمه قالت له خذ أياً شئت أنت لست ابنه وهو لا يدري ، فحينما يسقط المجتمع ، فلذلك تعليقي على علاقة العقل بالنقل طبعاً هناك من ألّه العقل أو اعتمده مقياساً مطلقاً في المعرفة كما فعل الغرب ، وهناك من أله النقل وجاء بنقل غير صحيح فصادم العقل ، أنا أقول مهمة العقل مع النقل أولاً أن يتأكد من صحة النقل ، ثانياً أن يفهم النقل ، أما أن يكون حكماً على النقل الصحيح مستحيل لأن النقل مرتبط بالوحي .

الدكتور عمر :

يعني موضوع نقد النص الديني هذا كلام هراء إذا كان الغرب قد سار .

الحق دائرة تتقاطع فيها أربعة خطوط :

الدكتور راتب :

حتى أوضح الفكرة لو فرضنا أنا أيقظنا عالم من قبره قبل خمسين عاماً وقلنا له أن هذا القرص المدمج فيه خمسة آلاف وخمسمئة وخمسة وخمسين عنواناً وليس كتاباً يعني أربعين جزءاً هل يصدق ؟ عقله مرتبط بالواقع ، أما الوحي مرتبط بالحقيقة المطلقة ، لذلك العقل مع النقل يتعاونان ، العقل للتأكد من صحة النقل أولاً ولفهم النقل ثانياً أما أن نجعله حكماً على النقل ، وأنا أعتقد اعتقاداً جازماً أن العقل مقياس أودعه الله فينا وأن الفطرة مقياس عاطفي أودعه الله فينا نكشف بالفطرة خطأنا وبالعقل نتعرف إلى ربنا ، وأعطانا واقعاً له قوانين تحكمه وأعطانا نقلاً عنه (الكتاب والسنة)، هذه الأشياء الأربعة مصدرها الله عز وجل ، وفي الرياضيات الأشياء التي تساوي شيئاً واحداً فهي متساوية فيما بينها . أنا أعتقد أن الحق ما جاء به النقل الصحيح وقبله العقل الصريح وارتاحت له الفطرة السليمة وأكده الواقع الموضوعي .

مهمة الداعية في إقناع الإنسان التائه :

الدكتور عمر :

عظيم دكتور راتب ، لي سؤال شاب أمامه طريقان إنا هديناه النجدين ، طريق بعض من أصدقائه أو من المقربين إليه في عمره يعيشون الأيام بالطول والعرض ويبدو على ظاهرهم أنهم سعداء يطبلون مع من يطبل ويزمرون مع من يزمر ويدخنون مع من يدخن لا موانع تمنع ، والأب يدعي الغباء والأم

تدعي أنها ، وهناك طائفة أخرى من عمره عرفت طريق العلماء والمسجد والتقوى والعمل الصالح وهو مذبذب حيران لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء ، وجاء ليعلن حيرته بين يدي شيخه أو من استراح أنه سوف يأخذ منه الخير ليبدأ الطريق ماذا يقول له الدكتور محمد راتب النابلسي بطريقته المعهودة في تيسير الأمور وفي اقناعه عقلياً وعاطفياً بصحة المنهج ؟

مهمة كل داعية أن يبين نتائج العمل لا أن يجبر الإنسان :

الدكتور راتب :

يقول له : شاب يركب دراجة يمشي على طريق مستوية وصل إلى طريقين الأول هابط والآخر صاعد، الهابط مُعبد حدائق ورود أشجار نسمات عليلة والصاعد حفر وأكمات وغبار ، فطرته ، ميله ، شهواته، رغبته ، طلبه للراحة ، يقتضي أن ينزل في الطريق الهابط ، راكب دراجة ، ما في محرك ، شيء مريح جداً لراكب الدارجة أن يهبط ، والصاعد حفر وأكمات وغبار ، طبعاً الإنسان حينما يعاين الشهوات ينحاز إليها لأن الشهوة في الأصل تريح الإنسان مزينة ، بالمناسبة الشهوات محسوسة ، في مركبة فارهة ، في بيت جميل ، في امرأة جميلة محسوسة تراها بالحس ، والآخرة خبر في القرآن غيبي ولولا هذا الغيب لما كانت الجنة أساساً ، أول آية قرآنية في البقرة :

(الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ (3))

(سورة البقرة)

فهذا الشاب طبيعته ، فتوته ، شبابه ، شهواته ، ورغباته تقتضي أن ينزل لكن وضعت لوحة قبل الطريق النازل أن هذا الطريق ينتهي بحفرة ما لها من قرار فيها وحوش جائعة ففي دقائق يكون قد أكل، في نص والنص الآخر هذا الطريق الصاعد المتعب ينتهي بقصر منيف هو لمن دخله ، هذا البيان الواضح مع الأدلة قد يعكس قراره ، أما ما قولك إذا في منظار ملامح الحفرة وملامح القصر ؟

الدكتور عمر :

يعني صار الأمر الغيبي صار محسوساً ، هو رأى بالمنظار أن هذا الطريق ينتهي إلى هذه الحفرة التي ملئت بالوحوش المفترسة التي تنتظر .

الإنسان حر مخير لولا أنه مخير ما ثُمن عمله :

الدكتور راتب :

مهمة الداعية إذاً أن يقنع الإنسان الحائر أن طريق الانحراف صار سهلاً بسهوة كما قال النبي عليه

الصلاة والسلام :

((أَلَا إِنَّ عَمَلَ الْآخرة حَزْنٌ بِرَبْوَةٍ ، و إِنَّ عَمَلَ النَّار سَهْلٌ بِشَهْوَةٍ))

[ضعيف عن عبد الله بن عباس]

الإنسان حر مخير لولا أنه مخير ما ثمن عمله ، فمهمة الداعية لا أن يجبر ، الله ما أجبر ، الإله العظيم ما أجبر مهمة الداعية أن يُري نتائج العمل .

مرة شاب جاء إلى النبي عليه الصلاة والسلام قال ائذن لي بالزنا ، الحديث معروف النبي ما عنفه ولا ضربه ولا طرده قال تعال يا عبد الله أتريده لأمك ؟ تصور أمه تزني فغلى دمه قال لا ، ولا الناس والحديث معروف ، أنا حينما أقنعه بالدليل ، مرة أذكر أن إنساناً إذا ملك الحجة القوية يحرج الطرف الآخر ، هو شاب يبحث عن سعادته ، فالسعادة موهومة غير صحيحة .

الجهل أكبر عدو للإنسان :

إن أزمة أهل النار في النار هي الجهل ، إذا أردت الدنيا فعليك بالعلم ، أنا أرى دكتور عمر من أعداؤنا الحقيقيون ؟ في أعداء تقليديون الاستعمار والصهيونية ، أنا أرى أن العدو الحقيقي هو الجهل ، والجهل أعدى أعداء الإنسان ، والجاهل يفعل في نفسه ما لا يستطيع عدوه أن يفعله به . أضرب مثلاً صارخاً في بعض المطارات العربية عامل تنظيف طائرات أثناء تنظيف الطائرة اكتشف أن هناك حجرة واسعة للعجلات فإذا جلس فيها انتقل من بلد إلى بلد بلا ثمن وبلا فيزا وبلا شروط فظن نفسه أنه ذكياً جداً ما إن صعد وقعد على أرضية هذه الغرفة وطارت الطائرة أنزل الطيار الأرضية ليرفع العجلات فنزل ميتاً ، أنا أقول ما الذي قتله ؟ جهله ، عندنا مزارع عنده بيوت بلاستيكية غلتها عالية جداً فاشترى سماداً وكانت التعليمات الدقيقة أن يضع لتراً في كل برميل وضع لترين ففي صبيحة اليوم التالي وجدها مسودة ، فأنا أرى أن أكبر عدو للإنسان هو الجهل . والجهل أعدى أعداء الإنسان ، والجاهل يفعل في نفسه ما لا يستطيع عدوه أن يفعله به .

الدكتور عمر :

دكتور راتب هذا الجاهل المطلوب منه أن يطرق باب العلم ، يتعلم الطريق إلى الله ، الرجل راعي الغنم في البادية والرجل الذي يمشي وراء الجاموسة في البلد عندنا لم يدخل المدرسة ولكن عنده من التوحيد وعنده من اليقين وعنده من التوكل وعنده من العلم ما لو حدثنا لبكينا .

استقامة الإنسان يبنى عليها كل شيء :

الدكتور راتب :

سيدنا ابن عمر : بعني هذه الشاة وخذ ثمنها ؟ قال له الراعي : ليست لي ، قال : قل لصاحبها : ماتت ، أو أكلها الذئب ، يقول الراعي : ليست لي ، يقول له : خذ ثمنها ، يقول له الراعي : والله إنني لفي أشد الحاجة إلى ثمنها ، ولو قلت لصاحبها : ماتت ، أو أكلها الذئب لصدقني ، فإني عنده صادق أمين ، ولكن أين الله ؟

دكتور عمر أنا إيماني أن هذا الراعي وضع يده على جوهر الدين ، وفي اللحظة التي نقول نحن جميعاً أين الله ونخشى أن نعصيه ننتصر ، لأن القضية مع الله قضية واضحة جداً ، أنا أذكر دائماً في العالم الغربي في استقامة أسميها استقامة إلكترونية ، بدليل أنك إذا دخلت إلى سوق وفي مليارات الدولارات وأخذت حاجة ولم تدفع ثمنها في مادة تصفر ترى الأبواب أغلقت ، فما في أحد مستقيم بدليل في بعض الليالي انقطعت الكهرباء ارتكبت مئتا ألف سرقة (ثلاثين مليار)، نحن ديننا دين عظيم لكن أين الله ؟

إن لم نستقم ليست كلمتنا هي العليا وللطرف الآخر علينا ألف سبيل وسبيل :

أنا حينما أربي إنساناً يضع يده على جوهر الدين ، حينما يستقيم على أمر الله ، وكنت قلت في لقاء سابق بمعيتكم بارك الله بكم أن الاستقامة يبنى عليها كل شيء بل هي الواحد وأمامها الأصفار ، أما إن لم تكن هناك استقامة لا يبنى عليها شيء ومهما كنا نعد المليار و الخمسمئة مليون إن لم نستقم ليست كلمتنا هي العليا وللطرف الآخر علينا ألف سبيل وسبيل وكل وعود القرآن الكريم الرائعة :

(وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُم فِي الْأَرْضِ)

(سورة النور الآية : 55)

نحن لسنا مستخلفين في الأرض :

(كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ)

(سورة النور الآية : 55)

ونحن أيضاً لسنا ممكّنين في الأرض .

(وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا)

(سورة النور الآية : 55)

نحن غير آمنين فنحن عندئذ ما في حل آخر ، الكرة في ملعبنا ، أنا لست متشائماً إطلاقاً أنا والله ممتلئ تفاؤلاً الكرة في ملعبنا وإن تعودوا نعد .

الدكتور عمر :

ونحن نتفاءل معك دكتور راتب شكر الله لك .

ما سبب تفلت الإنسان من دين الله عز وجل ؟

دكتور عربي أرنولد تويمبي له مقولة أنت أعلم بها منا يقول : إذا ظللنا نطارد الرجل التركي ونهاجمه لكي يترك دينه لأنه كان ينظر إلينا من علٍ كأننا خنازير برية فلما ترك دينه واتبعنا احتقرناه لأنه لم يعد عنده ما يعطيه .

هذه مقولة خطيرة جداً هذا الرجل أنا أحزن لأنه مات على غير الإسلام ، هذا الرجل وضع يده على كبد الحقيقة ، نحن نريد أن نتفلت أو بعضنا يريد أن يتفلت من دين الله عز وجل ، ماذا نكسب من هذا التفلت ؟ هذا تويمبي يقول هذا الكلام العجيب ، الغرب ينظر إلى الرجل المسلم ، كانت المرأة إذا أرادت أن تخيف طفلها تخيفه بالعسكري التركي مع تحفظنا على بعض الأمور ، هذا التراث لكن هذا النور نور الله عز وجل الكتاب والسنة وإسلامنا وديننا ، يريد بعضنا أن يقلد الآخر في أن ننسحب بعيداً عن الدين ما الذي نستفيده ؟ ما قيمتنا ؟ لقد قال عمر كنا أذلة فأعزنا الله بالإسلام فإن ابتغينا العزة بغير الإسلام أذلنا الله . ماذا ترى دكتور عربي ؟

الدكتور عربي :

دكتور عمر كعادتك تقود بنا إلى جذور الظواهر الاجتماعية .

الدكتور عمر :

قبل أن ندخل على الجذور نلتقط أنفاسنا بهذا الفاصل .

مرحباً بكم مرة أخرى ونحن نتواصل في هذه الحلقة كلمات مضيئة وأنا سعيد بأن أقطف ثمرات وأزاهير ذات اليمين وذات اليسار من الدكتور محمد راتب النابلسي ومن الدكتور عربي الكشاط الذي معذرة أوقفناه قبل الفاصل وأنا أعرض عليكم مقولة تويمبي العقل الكبير الذي يقول إنا طاردنا الرجل التركي حتى يترك دينه لأنه كان ينظر إلينا من عل كأننا خنازير برية فلما ترك دينه واتبعنا احتقرناه لأنه لم يعد عنده ما يعطيه .

هذه الكلمة كبيرة كبيرة ونريد أن نسمع تعليقكم الكبير بارك الله بكم .

إدراك تويمبي سر القوة الموجودة عند المسلمين المستضعفين :

الدكتور عربي :

أنا الآن أبدأ بتعليق على كلمة العبقري الكبير تويمبي ، و تويمبي له سلف عندنا ابن خلدون ، ما الفرق بين تويمبي وابن خلدون ؟ أولاً الفرق الزمني وثانياً تويمبي وجد أمامه ذخيرة لغوية استطاع أن يعبر بها عن أفكار كان ابن خلدون يبحث لها عن مصطلحات ، وبين رجال الفكر صلة ، لأن العلم رحم بين أهله ، فالحقيقة تويمبي وضع يده على هذه الحقيقة أولاً ما الذي جعل المسلمين الذين ظلوا ردحاً من الزمن تحت الهيمنة ....

والدليل أننا إذا بحثنا في ماضيات قروننا نجد أناساً عرفوا نصف كلمة ، قالوا لنا انفصلوا وانسلخوا من دينكم ، فالرجل الذي كان يقود الجاموسة كما تفضلت هذا رجل الفطرة ، كنت تسأل أحدهم من أبناء المسلمين وهو يعاني ما يعاني وينظر إلى ما حوله فيلاحظ الفرق المادي ملاحظة واضحة ماذا كان يقول ؟ لنا السماء ولهم الأرض ، أنا لا أقول هذا تبريراً لا ، لا يجوز لنا أن نتأخر مادياً ، يذكر المفكر الفرنسي الكبير رونوه الذي قال مقال في الإسلام وردّ عليه جمال الدين الأفغاني ومحمد عبدو قال كان يتحدث إلى موريتاني بسيط راعي وكان رونوه عقلية كبير لكن كان ينظر من علٍ إلى هذا الراعي الموريتاني فتركه يتحدث يتحدث عن فضائل الحضارة الغربية وسمو الإنسان الغربي قال له اسمع نحن لنا السماء وأنتم لكم الأرض ، واعترف بهذا مكتوباً فأفحمه ، إذاً تويمبي أدرك سر القوة الموجودة عند هؤلاء المستضعفين المسلمين .

سيدنا بلال رضي الله عنه في ظاهر تاريخياً كان يسمى عبداً وسادته كانوا يسمون أحراراً ، لكن الواقع النفسي لبلال منذ شرح الله صدره بالإسلام كان حراً على الرغم من أن الناس يعتبرونه عبداً ، إذاً المشكلة نفسية داخلية ، وإشارة سبابة بلال رضي الله عنه التي كانت تشير ، أولاً إلى ماذا كانت تشير ؟ إذا رأى الأرض حوله وجد نفسه مقيداً فكان يشير إلى أن الأفق الذي تتحرك فيه أفكاره ، أفق أعلى من المضيق الذي كان يتخبط فيه أهل قريش ، هكذا المسلم .

على كل إنسان أن يخرج من مضيق العقل البشري إلى الأفق الأعلى :

أيضاً لما القرآن الكريم كل مرة يطلب إلينا شيئاً يقول الله عز وجل : تعالوا ، اخرجوا من مضيق العقل البشري الأرضي ، تعالوا ، والإنسان أحياناً إذا يمشي بمدينة من المدن والدخان يرتفع وضجيج السيارات فإذا ما رفع رأسه إلى السماء ارتفعت الآفاق نحوه ، لما تعقدنا في بلادنا نقلنا حتى المعمار طريق بناء البنيان مثلاً العمارات الشاهقة ، دراسات نفسية واجتماعية أثبتت أن سكان المدن الكبيرة

حيث ترتفع العمارات الشاهقة تقلل من قدرة الإنسان على التفكير ، تويمبي يقول في البداية قمنا برد فعل نحو هذا التركي الذي كان بالرغم من تحكمنا فيه كان يستعلي علينا وبذلنا كل الوسائل لإخراجه من الإسلام احتقرناه لماذا ؟ الإنسان مهما كان ولو كان عدواً شاء أم أبى يعشق أمرين ، يعشق الجمال والكمال ، أي إنسان ، ولذلكم فإن الله عز وجل أكرمنا بأن نستنشق عبير جماله وجلاله من خلال تعاملنا الصادق الفعال مع أسمائه الحسنى :

(وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا (180))

(سورة الأعراف)

في مرة من المرات كان شيخ يعلم التلاميذ فن التوحيد فلما خرجوا رأوا شيخاً آخر قال لهم مازحاً ماذا كنتم تتعلمون ؟ قالوا كنا نقرأ علم التوحيد ، إنسان بسيط أمي قال لهم التوحيد ؟ لماذا تتعبون أنفسكم ؟ أشار إلى شخص كان يبيع الحطب وكان يعرفه ، هذا الشخص كان من أثرياء الناس وتقلبت الأيام قال انظروا وحدوا الله عز وجل ، الحياة يوم لك ويوم عليك والثابت والباقي إنما هو الله عز وجل .

الجاهل هو الإنسان الذي امتلأ رأسه بالأفكار الخاطئة :

ذكرت كلمتين ذكرت لنا الفرق بين الرجل الذي يسوق جاموسته في البادية ورجل آخر من عندنا ، الرجل الذي يسوق الجاموسة رجل أمي ، الأمية في هذا السياق نعمة لماذا ؟ الأمية عبارة عن صفحة بيضاء ، مشكلتنا ليست من الأميين مشكلتنا من الجهلة ، ما معنى الجهلة ؟ هم الذين يملؤون رؤوسهم بأفكار خاطئة أو الأفكار مثل الفواكه ، إذا كانت فاكهة معطوبة الطبيعة البشرية تعافها ، وإذا كانت فاكهة سليمة فإن النفس تنشرح لها ، جرب قطة أعطها قطعة لحم غير سليمة تشم تبتعد ، حتى الفأر ، عادة الفأر لا يبالي ، ولكن الفأر إذا وجد نفسه أمام ما يمكن أن يتغذى به فإنه يعرف الفرق بين الذي يناسبه والذي لا يناسبه ، بعض المعقدين عندنا ذهبوا إلى مكان القمامة الفكرية ، إنسان يذهب إذا كان بحاجة إلى التغذية يذهب إلى مطعم محترم نظيف ، هم بعضهم يذهب إلى مكان القمامة ويلتقط القمامة ، والقمامة تحتوي على بقايا أغذية لكنها ميتة ويا ليتها ميتة فقط ولكنها مميتة مضرة .

إذاً هذا الشخص الجاهل الذي امتلأ رأسه بأفكار خاطئة يضيف إلى امتلاء رأسه بالأخطاء التقاط القمامات .

الدكتور عمر : ورجعوا دكتور عربي إلى بلادنا ليصيروا أعلاماً للأدب والفكر والفن .

تمجيد الإسلام للفكر :

الدكتور عربي : هناك في شبكة هيأت الأرضية ، ففي استراتيجية ، أولاً استراتيجية عبّر عنها تويمبي سابقاً نشكره على ذلك هو قال فعلنا وفعلنا ، شعرنا بأنه يحتقرنا ، ثم حاولنا ، في شبكة في الخفاء يدير خيوطها جن مختف ، لماذا ؟ فيأتي هذا الرجل فيعيش في وسط ملوث ، أنت كنت تفضلت في حوارك مع الدكتور راتب حول مسألة خطيرة شاب ، الشاب الذي يأتي للعالم يستفتيه أو للمفكر يسترشده هذا مازالت عنده فطرة وإلا ما جاء ، المشكلة أنه يعيش لحيظات في المسجد ترتفع فيها درجة حرارة الإيمان حينما يخرج يجد الجو مغاير ، ملوثات ، فهذه البيئة ماذا تنتج ؟ تنتج إنساناً مقلداً ، وقديماً قال علماؤنا لا فرق بين مقلد ينقاد وبهيمة تقاد ، فنحن يجب علينا أن ننشئ ثقافة تجعل أبناءنا يشعرون بأنه لا يليق بكرامة الإنسان أن يكون بهيمة تنقاد ولذلك الإسلام مَجَد الفكر .

الاستقامة يجب أن تكون عطر نوايانا وأفكارنا ونظراتنا و سلوكنا :

انظروا :

(قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُمْ بِوَاحِدَةٍ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنَى وَفُرَادَى (46))

(سورة سبأ)

نحن ما عندنا مشكلة لماذا القرآن الكريم نقل مقولات السفهاء ؟ وما الهدف من كل هذا :

(وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ (26))

(سورة فصلت)

إذاً هناك نتحدث عن الاستقامة ينبغي أيضاً أن لا يوحي حديثنا أننا نتحدث عن شخص أو عن صفة موجودة في بلاد الواق واق ، لا ، الاستقامة أولاً مثل العطر إذا كانت زهرة الواحد أولاً يحدد مكان العطر الزهرة كلها عطر ، فالاستقامة يجب أن تكون عطر نوايانا وعطر أفكارنا وعطر كلماتنا وعطر نظراتنا وعطر صمتنا وعطر سلوكنا :

(وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا (63))

(سورة الفرقان)

المجتمع السليم مجتمع يتمتع بقيم نبيلة :

ليس المقصود بالدرجة الأولى السلام اللفظي ، لا ، الموقف ، استقامة ، إذاً تصبح الاستقامة مفهوم الاستقامة عبارة عن تيار ينتقل من الفضاء النفسي إلى الفضاء الفكري إلى الفضاء القولي إلى الفضاء

المواقفي مواقف السلوك ، فعندما يأتي شاب مثلاً في الشارع ويرى الشارع كظاهرة اجتماعية يسير في اتجاه واحد ولم يكون مضطراً لمغالبة التيار ، المشكلة الذي يستقيم عندنا ويخرج إلى الفضاء الاجتماعي يجد نفسه مطالباً بمقاومة التيار ، يسبح ضد التيار وهذا لا يقدر عليه إلا القلائل ، ما العمل؟ نحن لا نقول إن المجتمع يجب أن يكون مجتمعاً ملائكياً نخطط ، الإسلام ما أنكر بذور الفساد في طوايا الإنسان ، الإسلام ينصحنا أن لا نترك الفساد ينتشر حتى لا يتبعثر ، مثلاً في بريطانيا إذا شخص سرق يشعر بأن هذا شاذ هذا المجتمع السليم ، المجتمع السليم وكل مجتمع عنده قيم ، أنا قرأت آية عجيبة الله عز وجل يقول لسيدنا موسى عليه السلام :

(فاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى (13)إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي (14)إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَى (15))

(سورة طه)

ما العلاقة بين الصلاة والسعي ؟ إذاً الصلاة تكيف السعي تجعله سعياً سليماً ، تجعله سعياً مستقيماً وفق البوصلة ، البوصلة الداخلية وأضيف وأختم العالم المعاصر أبدع في تثمين قيمة الوقت لكن مع كثرة الساعات الموجودة عندنا وهو دقيقة لتحديد الوقت فإننا فقدنا البوصلة ولذلك فإن الفطرة تصرخ تبحث عن جهة الشمال .

الدكتور عمر :

بارك الله فيك دكتور عربي ، هذا الكلام العطر الذي سمعناه دكتور عربي وهذا التوضيح والتحقيب المعرفي إذا أردنا أن نقول ، دكتور راتب هل لك من تعليق ؟

الجنة دار من عمل لها و ترك الدنيا :

الدكتور راتب :

طبعاً ، أولاً دخل سيدنا عمر على النبي صلى الله عليه وسلم وهو ينام على حصير ، وقد أثر في خده الشريف ، فبكى عمر ، فقال له : يا عمر ماذا يبكيك ؟ قال له : رسول الله ينام على الحصير ، وكسرى ملك الفرس ينام على الحرير ؟! أنا قرأت لهذا الحديث روايات ثلاث ، الأولى قال يا عمر أما ترضى أن تكون الدنيا لهم والآخرة لنا ، هذا أكبر ما ينسينا واقعنا المؤلم ، الشيء الثاني قال : يا عمر إنما هي نبوة ، وليست ملكاً ، قال يا عمر أنت في شك من هذا ؟

إذاً الإنسان إذا فاتته الدنيا وقد جهد من أجل تحصيلها مما يعزيه أن الله عز وجل وعده بجنة عرضها السماوات والأرض ، النقطة الثانية نحن نظن أن الجاهل إنسان ليس عنده معلومات ممتلئ معلومات ينطلق هذا من تعريف للعلم دقيق هي علاقة بين شيئين تطمح إلى أن تكون قانوناً ، علاقة ثابتة مقطوع

بصحتها يؤيدها الواقع عليها دليل ، فلو ألغي الدليل لكان تقليداً ، لو ألغي الواقع لكان جهلاً ، لو ألغي القطع لكانت وهماً أو ظناً أو شكاً ، فإذاً العلم الذي نبحث عنه هو الوصف المطابق للواقع مع الدليل .

حياة الإنسان متوقفة على إمداد الله عز وجل :

في شيء آخر ينبغي أن نشير إليه هو أن الله عز وجل أورد في القرآن الكريم كلمة عبيد وكلمة عباد ومن أجمل ما قرأت حول هذين المصطلحين القرآنيين العبيد جمع عبد القهر والعباد جمع عبد الشكر ، فالإنسان عبد لله شاء أم أبى لأن حياته متوقفة على إمداد الله له فالإنسان في قبضة الله .

الدكتور عمر :

يعني عندنا عبد عبادة وعبد عبودة .

الدكتور راتب :

فأي إنسان قطر شريانه التاجي الذي يمد قلبه بالدم يحدد نشاطه وصحته في يد الله ، سيولة دمه تحدد صحته ، نمو خلاياه ، فالإنسان في قبضة الله هذا عبد القهر ، الله عز وجل كل عباده عبيد له ، لكن الذي عرف الله مختاراً فكر في خلق السماوات والأرض ، قرأ كتابه ، أحبه أقبل عليه ، خدم عباده ، هذا عبد الشكر فلذلك :

(وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا)

(سورة الفرقان الآية : 63)

(وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ)

(سورة فصلت الآية : 46)

الدين ما هو إلا ممارسة لمنهج الله في بيتنا وعملنا وفي الطريق :

يوجد شيء آخر الحقيقة أنا هذا إيماني ، الدين أين مكانه ؟ أنا أرفض أن يكون مكان الدين المسجد ، في المسجد تتلقى التعليمات وفي المسجد تقبض الثمن ، الآن مندوبي المبيعات يأتون إلى الشركة صباحاً يأخذون التعليمات والأسعار يأتون مساءً يدفعون الغلة ويقبضون الأجرة ، أنا الدين في العيادة ، في المكتب الهندسي ، في مكتب المحامي ، في السوق في الحقل حينما نفهم الدين أنه ممارسة لمنهج الله في بيتنا وفي عملنا وفي الطريق :

((ترك دانق من حرام خير من ثمانين حجة بعد حجة الإسلام))

[ورد في الأثر]

((وإن الرجل ليتكلم بالكلمة لا يلقي لها بالاً يهوي بها في جهنم سبعين خريفاً))

[الترمذي عن أبي هريرة]

السيدة عائشة وصفت أختها صفية بأنها قصيرة فقال عليه الصلاة والسلام :

((يا عائشة ، لقد قلت كلمة لو مزجت بمياه البحر لأفسدته))

[أبو داود]

أنا مؤمن أن الله عز وجل يعاقب ، لكن لولا أنه يعاقب لا قيمة لهذا المنهج ، أي قانون لا بد له من مؤيد قانوني من عقوبات ، الله عز وجل يعاقب ، لذلك أنا أرى أن كل مصيبة على وجه الأرض من آدم إلى يوم القيامة هي بسبب خروج عن منهج الله ، وما من خروج عن منهج الله إلا بسبب الجهل والجهل أعدى أعداء الإنسان .

الدكتور عمر :

الشاب ما زلت مع بعض الشباب لأنهم أمل الأمة .

من توجه إلى الله عز وجل أذاقه طعم القرب منه :

الدكتور راتب :

ريح الجنة في الشباب ، هم المستقبل سيدي .

الدكتور عمر :

يأتي الشاب وهو يقول لك أنت تطلب مني أن أكون حليماً وأن أكون شفوقاً بالناس حنوناً على الناس إلى آخره والناس يؤذونني ، القريب يجفو والبعيد يغتاب والزميل يطعن في الصدر والمدير يؤذي والموظف يخون ، أنا أعيش في غابة وأنت تطلب مني أن أكون حملاً وديعاً وسط الذئاب ، وقالوا له خطأ إن لم تكن ذئباً أكلتك الذئاب ، أخرجني من غابة الذئاب إلى أو أعطني جرعة عملية أستطيع أن أحمي نفسي من أن أكون ذئباً .

الدكتور راتب :

يا سيدي لو أن مستنقعاً آسناً فيه مياه سوداء وأطفال يسبحون ويضحكون ويمرحون ويلعبون ويطربون ومرّ إنسان كان في حمام وقد نظف نفسه وتعطر ولبس ثياباً جديدة ، أنا لا اصدق أن يكون في الأرض إنسان دخل حمام وتنظف ولبس ثياباً يتمنى أن ينزل في هذا المستنقع الآسن .

الدكتور عمر :

دكتور راتب هو لم يدخل الحمام .

الدكتور راتب :

أنا مهمتي الأولى أن أدخله الحمام ، أن أعطيه مقياساً ، أولاً الله عز وجل مستحيل وألف ألف ألف مستحيل أن يتوجه العبد إليه ولا يذيقه طعم القرب .

الدكتور عمر :

لكن بصدق .

الدكتور راتب :

أنا حينما أقنع هذا الشاب أن يستقيم على أمر الله ولو لفترة حتى تنعقد هذه الصلة ، حتى يشعر بالقرب من الله .

كيفية إقناع الناس بمنهج الله عز وجل :

الدكتور عمر :

بنت جامعية أو تخرجت من الجامعة أو تزوجت زوجها يقول لها لو تحجبتِ لتزوجت عليك ، وأمها تقول لها أنت هكذا تتحجبي ، تلبسي خيمة كالغراب ، وبعد ذلك ابنة خالتك ما شاء الله شعرها يطير في كل الدنيا وتضع في وجهها الأسود والأحمر والأخضر ، كيف نحبب أو نقنع أو نقرب المسألة أن حجابها بالمقياس أيضاً (ليس كل واحدة تحجبت ، نحن نرى الآن حجاب أمريكي وحجاب ، حتى بيوت الأزياء يقولون حجاب للسهرة وحجاب الصباح ما علينا من هذا الكلام)، أريد أن أقنعها بالمنهج وبالمقياس وأجمل لها مسألة كيف تستشعر حلاوة هذا الأمر رغم أنها ترى أن الأمر خطير جداً لو تحجبت لربما سخر منها الناس أو هكذا شيطانها يقول لها .

1 ـ تنمية القناعات :

الدكتور راتب :

أنا أتصور أن الشهوات قوة كبيرة أودع الله في الإنسان شهوات وأن القناعات قوة كبيرة ، فأنا حينما أنمي القناعات ، أنا أشبه ميزان فيه عشرة كيلو شهوات وسمع محاضرة خمس غرامات ، لا تقوى هذه على مكافحة هذه الشهوات ، المحاضرة الثانية والثالثة إلى أن تصبح وزن قناعاته عشرة كيلو يدخل بالصراع .

الدكتور عمر :

يعني نسلط التيار النظيف على الماء العكر .

2 ـ الاستماع للحق مع الأدلة :

الدكتور راتب :

شيء آخر ، الإنسان حينما يستمع للحق مجرداً كفكر كأدلة قد لا يقنع ، أما حينما يرى إنساناً أنيقاً نظيفاً مثقفاً صادقاً أميناً ، نحن دائماً دكتور عمر جزاك الله خيراً قد نعجب بأستاذ في الجامعة متبحر في العلم لكن لا نحبه قاسي متكبر مثلاً ، وقد نحب أحد أقربائنا البسطاء وقد لا نقدر علمه جاهل ، أنا حينما أرى المؤمن بسيطاً ، أفقه محدود ، مستقيماً ، هيئته لا ترضي كثيراً ، عمله غير متقن ، لكنه صالح صاحب دين ، أنا هذا النموذج لا يثيرني إطلاقاً ، وحينما أرى إنساناً متكلماً فصيحاً متعلماً لكن لئيماً قاسياً أنا حينما أعثر على إنسان بقدر ما تحبه تحترمه ، بقدر ما تحب أخلاقه الرضية تقدر علمه ، فأنا أريد داعية أريد إنساناً يكون مثلاً أعلى ، هذا الشاب أقنعه .

3 ـ البيئة :

البيئة الآن .

الدكتور عمر :

البنت هذه وبنات خالاتها وبنات عماتها وزميلاتها في الجامعة أو زميلاتها في العمل ينظرن إليها هي تظن هكذا باحتقار إذا تحجبت ، أو إذا لبست الحجاب الشرعي كما أمر الله أن يكون فضفاضاً واسعاً ، يعني نص نص قليل شعر ، قليل لا أعرف ، نريد أن نذيقها حلاوة الطاعة .

الدكتور راتب :

لا بد أن أشير أن النبي صلى الله عليه وسلم حدثنا عن آخر الزمان :

((كيف بكم إذا لم تأمروا بالمعروف ، ولم تنهوا عن المنكر ؟ قالوا : أوَ كائن ذلك يا رسول الله ؟ قال : وأشد منه سيكون ، قالوا : وما أشد منه ؟ قال كيف بكم إذا أمرتم بالمنكر ونهيتم عن المعروف ؟ قالوا : أو كائن ذلك يا رسول الله ؟ قال : وأشد منه سيكون))

[ابن أبي الدنيا وأبو يعلى الموصلي في مسنده عن أبي أمامة بسند فيه ضعف]

أما أخطر حالة الحالة الثالثة ، قال :

((كيف بكم إذا أصبح المعروف منكراً والمنكر معروفاً ؟))

نحن في زمن صعب ، القابض على دينه كالقابض على الجمر .

عدم احترام ديننا إلا إذا تفوقنا في دنيانا :

لذلك لا بد من أن يكون هناك نماذج متفوقة في الدعوة تجمع بين الدين والدنيا ، أنا لي كلمة مشهورة وما لم تتفوق في دنياك فلا يحترم دينك ، مهندس أول ، طبيب أول ، صناعي أول ، بقدر ما هو متفوق في دنياه متفوق في دينه هذا يشد البصر ، أما إنسان بسيط درويش كما يتكلمون معلوماته محدودة صالح مستقيم ، الآن بعصر صعب .

الدكتور عمر :

نريد القوي الأمين .

الدكتور راتب :

لذلك نحن في عصر الإسلام محجوب بالمسلمين ، الإنسان حينما يرى المسلم متفوقاً ، أنا أريد داعية متفوقاً ، داعية أنيقاً ، داعية نظيفاً ، ذواق عالي جداً ، فصيح ، متكل ، علمه جيد .

الدكتور عمر :

أنت واحد منهم .

الدكتور راتب :

أستغفر الله ، هذا الذي يلفت نظر الشاب .

4 ـ الابتعاد عن الناس المتفلتين الذين يسخرون من الدين :

شيء آخر مادام هناك تداخل ، هناك علاقات حميمة وهناك علاقات عمل ، العمل لا تؤثر ، أما ما دام أعيش مع أناس متفلتين مع أناس يسخرون من الدين ، أنا لا أقوى على مجاراتهم فلا بد من أن أعطي طالب العلم حمية اجتماعية قليلة ، حمية اجتماعية ومنطق قوي ونموذج راقٍ ، هذا الشاب ، الإنسان يحب وجوده ويحب سلامة وجوده يحب كمال وجوده يحب استمرار وجوده ، أقول لكم بصدق الذي انصرفوا إلى الدين واصطلحوا مع الله أحياناً بسبب نموذج راق جداً ، والذين انصرفوا عن الدين بسبب داعية مقصر .

الدكتور عمر :

شكر الله لك ، دكتور عربي ونحن نتزود من أروقة التاريخ معك وتاريخ الفكر الغربي سارتر كتاب تأملات في المسألة اليهودية كان يقول إن اليهود عندهم متهمون بثلاثة أمور جمع الذهب ، نشر العقلانية في مواجهة المسألة الدينية ، ثالث أمر تعرية الجسد البشري ، وقرأت له بعد ذلك تبريرات

عجيبة لهذه الثلاث التافهة لا تقوم في ميزان العلم ولا في ميزان الفلسفة ، أنا أفتح لك عنواناً ونترك لك الحديث .

علينا أن نهتم بحياتنا الاجتماعية و نعتني بها :

الدكتور عربي : في إطار ما جرى الحوار الذي تفضلتم به يشد انتباهنا إلى ضرورة الاهتمام بمايلي ، الإنسان أي إنسان يتأثر بالمكان ويؤثر في المكان سلباً وإيجاباً ، قبل أن أعود إلى سارتر ، هذا الشاب معه حق يعيش في وسط متناقض ، نحن تعلمنا في كتاب الصلاة في كتب الفقه المصلي يجب أن يكون المكان الذي يصلي به طاهراً وأن يكون الثوب طاهراً وإلى ذلك لماذا لا نسحب هذه المطالب على حياتنا الاجتماعية .

الدكتور عمر :

ليس الأمر التعبدي فقط .

الدكتور عربي :

البعد الاجتماعي لطهارة المكان وروحانية الزمان ، مثلاً انظر إلى العمارة تدخل على كنيسة من الكنائس ، وإلى مسجد من المساجد ، الكنيسة تجدها مشغولة بالصور والتماثيل ، الإسلام ينشط ، الكنيسة تجدها من الناحية المعمارية ما عدا بعض الكنائس التي تأثرت بآثار المسلمين في الأندلس ، تجد الكنيسة امتدادها أفقي مقطوع الصلة وهذا الكنيسة فراغ تعبر عن ، بينما ثقافتنا مثلاً سبحان الله تدخل المسجد تجد نفسك منجذباً نحو الأعلى .

فقدان قدرتنا على العلو أدى إلى عدم تمثل أوامر الله تعالى :

لذلك المسلمون الأولون ليست قضية وسائل قضية يقينيات :

(وَلاَ تَهِنُوا وَلاَ تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ)

(سورة آل عمران)

لماذا نحن الآن لا نستطيع في غالب الأحيان أن نمتثل أوامر الله ؟ لأننا فقدنا القدرة على العلو ، التعالي، تعالوا أتلو عليكم ما حرم الله ، الذي لا يتعالى أولاً لا يفهم لا يعلو على نفسه على شهواته فوق أهوائه ، تعالوا أقول لكم ما هو الممنوع ، تعال أقول لك ما هو الذي يجب أن تفعله .

الدكتور عمر :

أقول لك من علو ، ولذلك الله عز وجل يقول :

(إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ)

(سورة القصص : الآية "4")

الدكتور عربي :

هذا من خداع الحواس ، يعني إنسان إذا وضع مسطرة في الماء قد تكون مستقيمة فتبدو العكس .

اللغة العربية لغة تصور خلجات النفس :

علو الذين لا يتصلون بالله علو تسفلي ، شكراً على هذه الملاحظة الدقيقة كلمة في تعني الانغماس ، وبعد ذلك اختلق الإنسان بينما العلو المصحوب بعلا هذا الارتفاع ، ارتفاع تحرك :

(أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ (5))

(سورة البقرة)

وفي المقابل :

(فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ)

(سورة الأعراف)

فالإنسان مختنق .

الدكتور عمر :

المحتوى اللغوي دكتور عربي لا بد من تذوقه ، اللغة العربية لغة القرآن الكريم لغة شاعرة ، لغة تصور خلجات النفس ، وتؤشر نحو الطريق الأسلم هذه معلم من المعالم .

الدكتور عمر :

كمدلول لغوي .

الدكتور عربي :

كمدلول لغوي .

تفوق ابن جني على غيره بفضل ما اهتدى إليه في أسرار اللغة :

قال لي أحد المستشرقين الكبار في جامعة السوربون وكان عالماً بالعربية كنا نتحدث في بعض المسائل ذكرها ابن جني رحمه الله يضحك معي قال يا فلان : أنا أظن أن شخصية ابن جني اسم انطبق على المسمى ، قال لي هذا ليس بشراً في الذكاء هذا جن ، وعادة الإنسان لما يكون فاهماً نقول له عبقري ، قال هذا جني صحّ ما اهتدى إليه في أسرار اللغة ، هو سبق المستشرقين الألمان الذي اهتموا بدراسة اللغة العربية قال سبق عصرنا بكثير ، عادة علماء الألسونيات يؤرخون للتطور تطور الألسونية

بظهور سوسور عالم سويسري الكبير ، ابن جني وهذا رجل خبير مختص باللسانيات ، قال هذا سبق عصره وسبق سوسور وغير سوسور ، هذا قوس على فتحناه بفضل ما ذكّرتنا به من علا في الأرض .

على كل إنسان ألا يكرر العبارات القلقة لأنها تبعث على العجز :

نرجع إلى سيد سارتر ، أولاً لا ننكر عبقريته ، هو من الناحية الفلسفية سبقه أساتذة بلا شك أساطين الوجودية كان ذا قدرة عجيبة في التعبير وتمطيط هذا الأفكار وكان ذا قدرة على الكتابة ، كان مسرحياً، كان روائياً ، كان مفكراً ، وإلا من سبقه أعلم منه ولكن شاع ، ولا تنكر بعض الكتابات مثلاً الغثيان ، أشياء كثيرة نقد فيها الاستعمار الفرنسي في الجزائر لكن نرجع إلى النقطة التي تفضلت لها هذه أولاً يجب أن نأخذها بنسبية لماذا ؟ لأن العرب والمسلمين اليوم نفسر أوضاعنا القلقة دائماً بقدرة الآخر ، وكلما كرر الإنسان نفسه هذه المقولات اقتنع بها وهذا قد يبعث على العجز ، الإنسان إذا قال عن الخطر هناك إذا كانت هذه إشارة تستحثني وتدفعني إلى العمل والانتقال كن جيداً لكن إذا بالغت وبقيت هكذا فإنني أنا الذي أجعل ذلك الأضعف أقوى مني .

الدكتور عمر :

وما الخوف إلا ما تخوفه الفتى .

كل إنسان يتأثر بالمحيط الذي يعيش فيه :

الدكتور عربي :

آية في القرآن الكريم أن عبّاد الأصنام هم الذين ينصرونها ، الأصنام لا تنصر شيئاً ، وكما يقول نيتشه يعني عندما يطلع نهار الوثن الفكرة تختفي . الفكرة عندها وجود ذاتي والوثن وجود غير ذاتي ، فالوثني هو الذي يصنع الوثن ، قضية الذات منذ سنتين أو ثلاث ، مفكر فرنسي كبير يهودي أسلف كتاب في هذا الموضوع لماذا ؟ (وأنا استمعت إليه في التلفزيون)وقال في الكتاب الناس يتهموننا ، يريد أن يجعل هذا الشيء لصرف الأذهان فالناس يقولون ما الدليل هم اعترفوا بما يقال عنهم والدليل تحرروا لا ، هذا لاستغفال الناس ، إذاً التعليق الذي نعلق به على سارتر أنا أقول لما هؤلاء يؤثرون ؟ لما نحن لا نثور ضد قابليتنا للتأثر ؟ فالإنسان يتأثر بالمحيط الذي يريد .

من ردّ على السيئة بالحسنة إنما يستلهم الإسلام :

مثلاً الآية التي تفتتحون بها :

(وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ)

(سورة فصلت : الآية 33)

مباشرة :

(وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ (34))

(سورة فصلت)

فالذي يرد على السيئة بالحسنة إنما يستلهم الإسلام ، الإسلام هو المؤثر وهو المثير ، إذا أردت أن تكون استجابتك لأي عامل من العوامل إيجابية فما عليك إلا أن تغير الموجة ، فإذا كان الراديو مربوط على موجة سلبية أنا أربطه على موجة إيجابية وموجتنا الإيجابية لا نجدها إلا في الإسلام .

الدكتور عمر :

الله أكبر بارك الله بك دكتور عربي ما شاء الله لا قوة إلا بالله ، دكتور راتب لا بد من تعليقك على هذا الكلام الجميل .

من خرق الاستقامة لابد من أن يدفع الثمن باهظاً :

الدكتور راتب :

الحقيقة الذي تقدم به شيء رائع جداً لكن الذي أريد أن أقوله يعاقب غير المستقيم لماذا ؟ لأن أي قانون سير من دون عقوبات لا قيمة له ، الجامعة ليس تفوقها في أن لا يرسب أحد عندها ، لا ، أن تأتي النتائج وفق المقدمات ، الآن نعطي مثلين الصحابة الكرام هم نخبة البشر :

((إن الله اختارني ، واختار لي أصحابًا))

[الطبراني في الكبير والأوسط عن عديم بن ساعدة ، وابن أبي عاصم في السنة عن أنس]

وعلى رأسهم سيد البشر النبي عليه الصلاة والسلام ، حبيب الحق ، سيد ولد آدم ، سيد الخلق في أحد في معصية لو أنهم انتصروا على معصيتهم لسقطت طاعة الله ، وفي حنين اعتدوا بأنفسهم بشرك خفي ولو أنهم انتصروا لسقط التوحيد ، الآن أنا كمعلم أعطي وظيفة في اليوم التالي إذا لم أعاقب الذي لم يكتب الذي يكتب لن يكتب ، وانتهى الأمر ، فلذلك حكمة بالغة بالغة أنه لا بد من دفع ثمن خرق الاستقامة .

الدكتور عمر :

الأمة الآن تدفع الآن .

الدكتور راتب :

نعم هذا الواقع نحن منا .

الدكتور عمر :

نحن ندفع ضريبة نومنا وضريبة عدم استقامتنا .

يجب أن يجتمع في قلب المؤمن تعظيم لله ومحبة له وخوف منه :

الدكتور راتب :

أولاً سيدي أنا أعتقد أن النصر له شرطان كل منهما شرط لازم غير كاف ، الأول الإيمان الذي يحمل على طاعة الله ، والثاني الإعداد ، أعدوا لهم أعدوا لنا ولم نعد لهم فنحن مقصرون في بندين كبيرين من أسباب النصر .

الدكتور عمر :

والمخلص في كفره ينتصر على المزين ...

الدكتور راتب :

الجامعة لا تُقيّم أن فيها طالباً ما رسب فيها ، لا ، تقيم أن تأتي النتائج وفق المقدمات ، فحينما نرى إنساناً أكل مالاً حراماً فدمر ماله ، حينما اعتدى على الآخرين هناك مصيبة سحقته ، هذا العقاب له دلالة كبيرة جداً من هنا فيما ورد في الأثر :

((يا رب ، أي عبادك أحب إليك حتى أحبه بحبك ؟ قال : أحب عبادي إلي تقي القلب ، نقي اليدين ، لا يمشي إلى أحد بسوء ، أحبني ، وأحب من أحبني ، وحببني إلى خلقك ، قال : يا رب إنك تعلم إني أحبك ، وأحب من يحبك ، فكيف أحببك إلى خلقك ؟ قال : ذكرهم بآلائي ، ونعمائي ، وبلائي))

[ورد في الأثر]

مهمة الدعاة : ذكرهم بآلائي كي يعظموني ، وذكرهم بنعمائي كي يحبوني ، وذكرهم ببلائي كي يخافوني . في بلاء كبير ، في مصائب ، فلا بد من أن يجتمع في قلب المؤمن تعظيم لله ومحبة له وخوف منه ، من هو الداعية الناجح ؟ الذي يجمع بين هذه المعاني الثلاث هذا من يهتم فقط بالعقوبات وجهنم ، أو بالجنة مشكلة .

الدكتور عمر :

الخاتمة إن شاء الله ننهي حديثنا ، ساعة ونصف ما شعرنا بها ، بارك الله بكم .

والحمد لله رب العالمين

الفهرس